الشيخ حسان محمود عبد الله

ظواهر اجتماعية من منظور إسلامي

السحر والتنجيم - الأحلام - الخيرة - الانتحار
المخدرات والتدخين - الإنترنت - العلاقات بين الجنسين - القمار



دار المحجة البيضاء

ظواهر اجتماعية من منظور إسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

ظواهر اجتماعية من منظور إسلامي

السحر والتنجيم - الأحلام - الخيرة - الانتحار
المخدرات والتدخين - الأنترنت - العلاقات بين الجنسين - القمار

الشيخ حسان محمود عبد الله

دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى
١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

دار المحجة البيضاء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١
تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - E-mail: almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com

الإهداء

إلى من جاء رحمة للعالمين.

إلى من أخرج الناس من مجتمع الجهل والظلام إلى مجتمع العلم والنور.

إلى كل داعية للبحث عن خلاص مجتمعاتنا من شوائب لا تمت للدين والإيمان بصلة.

إلى كل من يحلم بمجتمع بعيد عن المشاكل.

إلى كل من يبحث عن حياة مستقرة وعائلة مثالية.

إلى كل من يريد معرفة رأي الإسلام في ما نواجهه في مجتمعاتنا من ظواهر غير سليمة تسبب خرابه.

إلى كل مجاهد رفع راية الإسلام عالية في سماء بلادنا.

إلى الشهداء والجرحى والمعوقين.

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع سائلاً المولى أن ينفع الله سبحانه وتعالى به الناس وينفعني يوم لا ينفع مال ولا بنون.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف:

تذخر مجتمعاتنا الإسلامية بل والشرقية بشكل عام ومجتمعات العالم الثالث على وجه الخصوص بظواهر تشكل أحد الأسباب الرئيسية في تراجعه وتخلفه وعدم سيره في ركب التطور والتقدم. والمشكلة الرئيسية تكمن في انسياق الناس وخاصة جيل الشباب وراء مظاهر وعادات مقلداً فيها المجتمعات الغربية ظناً منه أن هذه المجتمعات المتقدمة على الصعيد التقني ومظاهر التطور المدني إنما يعود تطورها لهذه التصرفات والعادات فيترك ما سرى في بلاده من عادات وتقاليد اجتماعية ويقلد الغرب في هذه المظاهر فإذا به يُصاب بتخلف أشد، بل يصبح تابعاً للغرب حتى في هذه المظاهر، فإذا به دائم الانتظار لما تنتجه هذه المجتمعات على صعيد الموضة والموسيقى الصاخبة حتى يصل إلى حدود التقليد في الشكل والهندام وتصبح العادات السيئة كالتدخين والخمر والمخدرات عادات مقبولة لدى هذا الجيل، كل ذلك لأن هذه المجتمعات المتطورة من الناحية الشكلية والمظاهر تعتبر هذه العادات السيئة بسبب الحرية الشخصية التي يُسمح بها عندهم عادات مقبولة لا يتدخلون في منعها على صعيد التعاطي الشخصي فأراد شبابنا تقليدهم بذلك سعياً لتطورٍ كتطورهم ولكن النتيجة كانت مزيداً من التخلف والتراجع.

إن مجتمعاتنا سواء هيئات المجتمع المدني أو الحكومات لم

تتدخل في قمع هذه الحريات بل سعت في تركها بل أكثر من ذلك سعت للترويج لها فلا هم، طالما أن هؤلاء الشباب سيتركون من خلال التلهي بهذه الظواهر والمظاهر التدخل في الشؤون السياسية للدولة والعمل لتغيير الواقع السياسي للبلد. إننا لم نجد تحركاً مقبولاً على صعيد مجتمعاتنا إلا بعد أن التفت الغرب إلى الأخطار التي تجرها هذه الظواهر على المجتمع عندهم فأرادوا التصدي لها فقاموا مثلاً بمنع التدخين أو الدخول إلى المراقص والنوادي الليلية إلا لمن تجاوز الواحد والعشرين من العمر، فإذا بمجتمعاتنا تقوم وبتقليد أعمى باتخاذ هكذا قرارات وهذا ما يؤكد أن الدولة بل وهيئات المجتمع المدني في بلادنا لا تقوم بما تقوم به انطلاقاً من دراسة واقعية لمجتمعاتنا وما يفيدها وما يضرها، بل هي تنتظر ما يقوم به الغرب فتقلده من دون أن تنظر في نفس المشكلة وما يناسبها من حل انطلاقاً من طبيعة مجتمعاتنا وتقاليده.

لقد أردت من وراء هذا الكتاب أن أعالج بعض هذه الظواهر من عدة نواحي وخاصة من الناحيتين الفقهية والاجتماعية ولكن هذا لا يعني أن هذا الكتاب هو كتاب فقهي أو يسعى لإطلاق أحكام فقهية بقدر ما أردت من خلاله معالجة الظاهرة الاجتماعية انطلاقاً من الحكم الشرعي أولاً ومن خلال دراسة هذه الظاهرة وآثارها على الصعيد الاجتماعي. وقد تعرضت في هذا الكتاب للظواهر الاجتماعية التالية:

الوضوع الأول: تعرضت لظاهرة السحر والتنجيم والتعامل مع الجن هذه الظواهر التي سرت في المجتمع بشكل لافت حتى بات هناك محطات تلفزة فضائية متخصصة لها وحتى بات عدد كبير من الناس لا يتحرك من مكانه إلا بعد أن يعرف طالعه ولا يقوم السياسي باتخاذ أي قرار إلا بعد أن يستدعي المشعوذ سواء من يدعي تعاطيه مع الجن أو ذلك الذي يتعاطى مع الأرواح أو الآخر الذي يدعي أن إلهاماً يأتيه من السماء.

الموضوع الثاني: هو موضوع الأحلام وقد عنونتها بالأحلام تقود تحركاتنا، بل هي أكثر من ذلك تقود حياتنا وبطريقة لا تمت للعقل بصلة ولا للفهم الشرعي لمسألة الحلم صار هؤلاء يعتبرون أن كل منام يرونه سواء أكان أضغاث أحلام أو كان حلماً لا معنى له أنه رسالة من الله سبحانه وتعالى عليه أن ينفذه.

الموضوع الثالث: الذي تعرضت له هو موضوع خاص بالمجتمع المتدين وتعاطيه مع مسألة الخيرة والتي هي مسألة لا غبار على شرعيتها وأن الله ﷻ قد شرعها كما سيتبين معنا من أجل علاج مشكلات نواجهها بشكل استثنائي وطارئ فيما نتعاطى معه من أمور في حياتنا العملية، فإذا بنا نحرفها عن التوجه الأساسي لها ونحولها إلى سبب لتعطيل العقل وصرف الخيرة عن أصل تشريعها كعلاج استثنائي إلى أن تصبح المحرك الأساسي لكل عمل نقوم به في حياتنا العملية.

الموضوع الرابع: الذي تعرضت له هو ظاهرة اليأس والانتحار التي تعتبر ظاهرة العصر في كافة المجتمعات خاصة تلك المجتمعات التي توصف بأنها متقدمة إذ تبين من خلال الإحصاءات أن أكثر الدول التي تعاني من هذه الظاهرة هي الدول الأكثر تقدماً مما يعني أن هناك أزمة حضارة لدى هذه المجتمعات لا بد من البحث في أسبابها وكيفية علاجها ولله الحمد إن مجتمعاتنا أقل معاناة من هذه الظاهرة وإن كانت تصاعدت في العقود الأخيرة بشكل يجب أن ندرسه ونضع الحلول له بعد دراسة الأسباب.

الموضوع الخامس: الذي تعرضت له هو موضوع المخدرات والتدخين هاتان الظاهرتان اللتان انتشرتا في مجتمعاتنا انتشاراً رهيباً بعد أن أصبحتا ظاهرتين تفتكان بالمجتمعات الغربية ويصرف في سبيل مواجهتها أضخم الموازنات ولكنها في بلادنا ومع التنبه لخطرها إلا أن العلاجات والتعاطي معها لم يصل إلى الحدّ الذي يجب أن تكون عليه

وحاولت في هذا الكتاب أن أضع تصوراً لكيفية العلاج بعد التعرض لأسباب الانتشار.

الموضوع السادس: الذي تعرضت له هو موضوع التحادث عبر الأنترنت الذي يعتبر بجدارة ظاهرة عصرية هي من مميزات هذا العصر الذي سُمي بحق عصر الأنترنت وقد حاولت من خلال هذا البحث أن أعرض للمشاكل التي تنتج عن التعاطي مع هذه التقنية مع الإلفات إلى أهميتها وضرورة الاستفادة منها استفادة تساهم في تطور مجتمعاتنا لا أن تكون مساهمة في نشر الميوعة والخلاعة والفاحشة، فهذه الظاهرة ككل ظاهرة عصرية لا بد من وضعها على بساط البحث لدراسة سلبياتها وإيجابياتها فنعمل على تطوير الايجابيات والتقليل من السلبيات.

الموضوع السابع: الذي تعرضت له هو موضوع العلاقات المفتوحة بين الجنسين وقد أردت من وراء هذا البحث أن أوضح النظرة الإسلامية للعلاقات بشكل عام وللعلاقة بين الجنسين بشكل خاص ومفهوم الإسلام للصداقة والحدود والضوابط التي يجب أن تحكم العلاقات وبالأخص ما يذخر به مجتمعنا من علاقات مفتوحة بين الجنسين.

أما **الموضوع الثامن**: الذي تعرضت له هو موضوع القمار بأشكاله المختلفة هذه الظاهرة التي تسبب دماراً هائلاً في مجتمعاتنا بل حتى في المجتمعات الغربية وهي تبدأ بتدمير العائلة إلى أن تصل إلى تدمير المجتمع، إن هذه الظاهرة الخطيرة هي عنوان تخلف المجتمعات وليس تطورها وخطورتها تكمن في أنها تتخذ صوراً مختلفة والأخطر هو القمار الغير مباشر والذي تتعاطى معه المجتمعات على أنه نوع من لعب الحظ وليس قماراً في حين أنه في الواقع قمار قد يكون أخطر من القمار المباشر.

لم أهدف من وراء هذا الكتاب وضع قوانين عامة للتعامل مع هذه الظواهر بقدر ما أردت المساهمة في تقديم تصورات للحل انطلاقاً من استفادات عملية من تجربة متخصصة، ومن وجهة نظر شخصية لا تريد أن تعمم لتقول إن هذه الطريقة هي الحل الأوحد لكل المشاكل الناتجة عن هذه الظواهر بل ليحدد الطريق الأمثل لمواجهة كل ظاهرة على حدا، وأيضاً ليلقي الضوء على الأسباب التي أدّت للوقوع فيها ليمكن تلافيها من خلال التعرف على هذه الأسباب وبالتالي اجتناب الوقوع فيها.

أخيراً أسأل الله أن يكون هذا العمل مفيداً لأمتنا ومجتمعاتنا وللبشرية ويُسهم في تخفيف المشاكل والحدّ من أخطار تفاقمها وتعاظمها ولا يسعني إلا أن أشكر في هذا المجال كل من ساهم بإنجاح هذا العمل من دون التعرض لأسمائهم والحمد لله رب العالمين.

الشيخ حسان محمود عبد الله

الجمعة الواقع فيه

١٤/جمادى الأولى/١٤٣٠هـ.

الموافق لـ ١١/أيـار/٢٠٠٩م

(ظواهر اجتماعية من منظور إسلامي)

ماذا نعني بظواهر اجتماعية؟

١ ـ السحر والتنجيم والتعامل مع الجن.

٢ ـ الأحلام تقود تحركاتنا.

٣ ـ الخيرة وتعطيل العقل.

٤ ـ اليأس والانتحار.

٥ ـ المخدرات والتدخين.

٦ ـ التحادث عبر الأنترنت.

٧ ـ العلاقات المفتوحة بين الجنسين.

٨ ـ القمار بأشكاله المختلفة.

١

ظواهر اجتماعية من منظور إسلامي

ماذا نعني بظواهر اجتماعية؟

ما أريد التعرض إليه في هذا الكتاب هو بعض الأمور التي انتشرت في هذا العصر فاتخذ بعضها بعداً شرعياً بحيث بات البعض يعتقدها ذات أساس شرعي وأن الذي يقوم بها فإنما يمارس أمراً شرعياً في حين أنها لا صحة لها شرعاً وهي وإن كان بعضها موجوداً أو له أصل في الشرع فإنما هي موجودة إما على أساس أن لها أهل اختصاص وليست من شؤون عامة الناس أو أن التعامل معها أساساً يخالف ما يتعامل به الناس معها في أيامنا هذه.

هذه القضايا المتفرقة جمعتها تحت عنوان ظواهر اجتماعية باعتبار أن التعامل فيها من قبل الناس بات يشكل ظاهرة عامة وأن الذي يقف في وجهها أو في وجه التعامل معها على النحو الخطأ ويدعو للتعامل معها بأسلوب صحيح هو من يتعرض للانتقاد لا المخطئ والمسيء.

وقد تعرضت لهذه الظواهر دون غيرها لاعتقادي أن هذه القضايا هي أهم من غيرها فلا يمنع تعرضي لها دون غيرها من عدم وجود أخرى تصلح للمناقشة والبحث، وهذه القضايا أيضاً إما أُخذت بعنوانها مجالاً للأخذ والرد بين الناس في أيامنا هذه، أو لكونها من الأمور التي

نبتلى بها بسبب الأوضاع الاجتماعية الصعبة التي نمر بها في هذه الأيام خاصة مع ابتعاد الناس عن مراعاة الضوابط الشرعية في علاقاتهم.

والعناوين الواردة في هذا الكتاب من جهة أخرى لا تشمل كل ما يواجهنا في مجتمعاتنا ولكنني اخترتها لأنها تشكل عناوين بارزة لما نعاني منه في هذه المجتمعات وذلك من خلال ما كان يعرض علي من مشاكل في أثناء متابعتي لحل مشاكل الناس.

من المؤسف أن الضابط الشرعي أصبح بعيداً عن تصرفاتنا وهذا لا يشمل غير المتدينين بل إننا وجدنا أن بعض المتدينين كانوا يقدمون العامل الشخصي والنفسي والأنانية على الاعتبارات الشرعية، فكثيراً ما كان بعض المتدينين عندما تقول لهم إن هذا الأمر حرام من الناحية الشرعية ولا يجوز لك القيام به، كان يقول إنني لا استطيع ذلك، وكأنه كان يقول أوجد لي حلًّا غير هذا لأنني لا أستطيع أن أنفذه حتى لو كان شرعياً، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على ضعف الإيمان عنده وقلة تدينه إذ إن التدين الحقيقي يظهر عندما يقف الإنسان بين أمر الله فيه رضا وأمر لنفسه فيه رضا فيقدم ما لله فيه رضا على ما لنفسه وهذا هو الإيمان الحقيقي. وهو ما ورد في الحديث القدسي الذي رواه الإمام الباقر عليه السلام حيث قال:

«وعزتي وجلالي وعظمتي وبهائي وعلو ارتفاعي لا يؤثر عبد مؤمن هواي على هواه في شيء من أمر الدنيا إلا جعلت غناه في نفسه وهمته في آخرته وضمنت السماوات والأرض رزقه وكنت له من وراء تجارة كل تاجر»[١].

ومن الطبيعي نحن لا نتكلم عن حالة عامة وإن كانت كثيرة جداً

---

(١) وسائل الشيعة الجزء ١١ الصفحة ٢٢١.

بل عن حالات شاذة، وفي حقيقة الأمر إن الذين نتحدث عنهم أنهم يقومون بهذه التصرفات لا يكونون مؤمنين حقاً، بل هم يتلبسون بلبوس الإيمان وهم في الواقع بعيدون كل البعد عن الإيمان الحقيقي.

المشاكل الاجتماعية كثيرة جداً خاصة مع ازدياد التعقيدات الاجتماعية في أيامنا هذه وهذا ما يفرض علينا أن نواجه الواقع من خلال إعطاء الحلول للمشاكل الكثيرة التي تعاني منها مجتمعاتنا انطلاقاً من أحكام الشرع الحنيف.

١

السحر والكهانة والتعامل مع الجن والتنجيم

تعريف السحر لغةً وشرعاً:

السحر كما في لسان العرب هو:

«السحر عمل تقرب فيه إلى الشيطان وبمعونة منه، كل ذلك الأمر كينونة للسحر، ومن السحر الأخذة التي تأخذ العين حتى يظن أن الأمر كما يرى وليس الأصل على ما يرى ....»[١].

فالسحر إذاً هو عمل له علاقة بالشيطان ويقصد به في الغالب الإضرار بالآخرين بمعونة من الشيطان، ذلك أن الإنسان إذا فسد دينه واتبع شهوته بات يشتهي الشر والإضرار بالآخرين تماماً كالشياطين الذين يشتهون الشر ويعملون له، فترى السحرة يتقربون إلى الشياطين بعزائمهم وأقسامهم وكتبهم المستعملة على ما يحبون من الشر والكفر والشرك فيقضون لهم مطالبهم ويعينونهم على الشر الذي يريدونه من إضرار بالآخرين أو يتصرف بهم أو بأموالهم وأولادهم. ومنه أيضاً الذي يموه نفسياً ويسيطر على عقول الآخرين ويُريهم ما ليس واقعاً واقعاً، فيكون ذلك نوعاً من التصرف في شعور الآخرين وإدراكاتهم وهو حرام شرعاً.

---

(١) لسان العرب الجزء ٤ الصفحة ٣٤٨.

ومن الناحية الشرعية المراد بالسحر كما في تحرير الوسيلة هو:

«والمراد به كل ما يعمل من كتابة، أو تكلم، أو دخنة، أو تصوير، أو نفث، أو عقد ونحو ذلك يؤثر في بدن المسحور، أو قلبه، أو عقله، فيؤثر في إحضاره، أو إنامته، أو إغمائه، أو تحبيبه، أو تبغيضه ونحو ذلك»[١].

والدخن البخور وفي مجمع البحرين: «والدخنة كالذريرة يدخن بها البيوت»[٢].

إذا الدخنة هو البخور الذي يستعمله الساحر يستعين به على تنفيذ مراده لما ورد من مأثوراتهم أنهم يستعملون البخور في كل أعمالهم. فالسحر من ناحية شرعية هو كل الأعمال التي تؤدي إلى التأثير على الناس فيحببونهم بمن يكرهونه أو يكرهونهم بمن يحبونهم.

أنواع السحر:

للسحر أنواع مختلفة وما سأبينه من أنواع هو جامع إجمالي قد يكون عند أهل الفن له أقسام أخرى تدخل تحت هذا العنوان أو ذاك غير أني قسمتها على هذا الشكل اعتماداً على ما ورد من أقسام بحسب التقصي من أهل هذا الاختصاص. وهذه الأنواع هي ثلاثة على الشكل التالي:

(أ)- ما يعمل بالأسباب الطبيعية من خواص المادة المعروفة للعالم بها، المجهولة عند المسحورين، كاستعمال الزئبق في تحريك الحبال والعصي التي روي أن سحرة فرعون قد استخدموها في سحرهم.

---

(١) تحرير الوسيلة الجزء ١ الصفحة ٤٩٨.

(٢) مجمع البحرين الجزء ٢ الصفحة ١٩.

(ب) ـ ما يقوم على الشعوذة القائمة على البراعة وخفة اليدين في إخفاء بعض الأشياء وإظهار البعض الآخر.

(ج) ـ ما يقوم على تأثير النفوس ذوات الإرادة القوية في النفوس الضعيفة صاحبة الأمزجة العصبية القابلة للأوهام والانفعالات.

حكم السحر:

تعاطى علماء الإسلام مع موضوع السحر باعتبار أنه أمر واقع موجود ولا يمكن إنكاره وقد قال عنه ابن خلدون في مقدمته:

«واعلم أن وجود السحر لا مرية فيه بين العقلاء وأن علوم السحر والطلسمات كانت (في أهل بابل من السريانيين والكلدانيين وفي أهل مصر من القبط وغيرهم وكان لهم فيها التأليف والآثار ولم يترجم لنا من كتبهم فيها إلا القليل مثل الفلاحة النبطية من أوضاع أهل بابل فأخذ الناس منها هذا العلم وتفننوا فيه، ووضعت بعد ذلك الأوضاع مثل مصاحف الكواكب السبعة وكتاب طمطم الهندي في صور الدرج والكواكب وغيرها، ثم ظهر بالمشرق جابر بن حيان كبير السحرة في هذه الملة فتصفح كتب القوم واستخرج الصناعة وغاص في زبدتها واستخرجها ووضع فيها غيرها من التأليف، وأكثر الكلام فيها وفي صناعة السيمياء لأنها من توابعها لأن إحالة الأجسام النوعية من صورة إلى أخرى إنما يكون بالقوة النفسية لا بالصناعة العملية فهو من قبيل السحر... ثم جاء مسلمة بن أحمد المجريطي إمام أهل الأندلس في التعاليم والسحريات فلخص جميع تلك الكتب وهذبها وجمع طرقها في كتابه الذي سماه غاية الحكيم ولم يكتب أحد في هذا العلم بعده»[1].

والأقوال ليست واحدة في هذا الموضوع حتى في المذهب الواحد

---

(١) تاريخ ابن خلدون الجزء ١، الصفحة ٤٩٨ .

فقد ذهب البعض إلى أن السحر لا أصل له وهو غير موجود أصلاً، وذهب البعض الآخر إلى أنه وسوسة وأمراض، ورأى البعض الثالث أنه حق وله حقيقة، يخلق الله من عنده ما يشاء، ومنه ما يكون من عهود الشياطين، ومنه ما يكون أدوية وأدخنة وغير ذلك.

وكيف كان فإن من ذهب إلى أن السحر حقيقة موجودة كابن خلدون حكم على الساحر بالكفر واستدل على ذلك بقوله:

«ثم هذه الخاصية تكون في الساحر بالقوة شأن القوى البشرية كلها وإنما تخرج إلى الفعل بالرياضة ورياضة السحر كلها إنما تكون بالتوجه إلى الأفلاك والكواكب والعوالم العلوية والشياطين بأنواع التعظيم والعبادة والخضوع والتذلل فهي لذلك وجهة إلى غير الله وسجود له والوجهة إلى غير الله كفر فلهذا كان الساحر كافراً»(١).

وقد ذهب الفقهاء أعلى الله مقامهم إلى أن عمل السحر وتعليمه وتعلمه والتكسب به حرام، ويدل عليه الإجماع، بل أكثر من ذلك تعتبر حرمته من الأمور المتفق عليها بين المسلمين عامة حتى باتت من ضروريات الدين التي تُدْخِل منكرها في عداد الكافرين. ويدل على ذلك ما رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله **«من مشى إلى ساحر أو كاهن أو كذاب، يصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل الله تعالى من كتاب»**(٢).

فالحديث واضح بأن من يؤمن بقدرة الساحر على التأثير على الآخرين بحيث يكون مانعاً من قضاء الله سبحانه وتعالى وقدره، فإن ذلك يجعله كافراً بالله سبحانه وتعالى لكفره بما أنزل في كتابه الكريم،

---

(١) تاريخ ابن خلدون الجزء ١ الصفحة ٤٩٨.

(٢) وسائل الشيعة الجزء ١٢ الصفحة ١٠٩.

ولأنه ينسب إليه العجز عن تحقيق قدرته التي يمنعها إنسان ما من خلال السحر. والله ﷻ يؤكد في أكثر من مورد من القرآن الكريم عدم قدرة الساحر على التأثير على الإنسان إلا بإذن الله ﷻ. فإذا كان يعتقد بأن ما حصل مع إنسان ما إنما كان بتأثير من الساحر بشكل تنتفي قدرة الله سبحانه وتعالى فهذا كفر إضافة إلى حرمة السحر أساساً إذا اعتقد بذلك أم لم يعتقد. ويدل على ذلك قوله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[1].

وقد ورد في تفسير هذه الآية الكريمة أن الشياطين كتبت السحر ودفنتها تحت كرسي سليمان بن داود ـ عليه السلام ـ بعد موته وقالوا لبني إسرائيل: إن سليمان كان يستخدم الجن بهذه الكتب فطعن طائفة من أهل الكتاب في سليمان عليه السلام بهذا وقال آخرون: لولا أن هذا حق جائز لما فعله سليمان فضل الفريقان وأنزل الله: ﴿...وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ والسحر هو صورة من صور الاستعانة بالجن فى ضر الناس وإيذائهم، ويمكن تبسيط العلاقة بين الساحر والجني فنقول: إن الجني يعمل كخادم لساحر يحقق له بعض ـ وليس كل ـ ما يريد، نظير أداء الساحر لأعمال وطقوس السحر والتي في حدِّ ذاتها عبادة للجني من دون الله. فمن قال بتأثير الساحر على مصير

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

الإنسان معتقداً بذلك فهو كافر لاستلزام ذلك تكذيب القرآن الكريم، بدليل قول السحرة لمن يعلمونهم إنهم فتنة فلا تكفر، ومعنى ذلك أنه من الواضح أن السحر وعمله وتعلمه وتعليمه كفر بالله العظيم بالشرط الذي قدمنا. والدليل الآخر هو أن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾. فاعتقادك بأن الساحر يستطيع التأثير والإضرار تكذيب للقرآن الكريم.

والأدلة من القرآن الكريم على حرمة السحر وتعلمه وتعليمه كثيرة منها الآية الكريمة المتقدمة، ومنها أيضاً ما ورد في قصة نبي الله موسى عليه السلام حيث قال سبحانه وتعالى:

﴿وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾(١).

ومعنى ذلك أن الله سبحانه وتعالى يقول عن فعل الساحر إنه كيد وهذا الكيد لا يفلح أبداً ذلك أن ما يقوم به الساحر إنما يقوم به للإضرار والفتنة والكيد الشيطاني.

وفي مجال آخر قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾(٢).

وقول الله سبحانه وتعالى عن السحر بأنه عمل المفسدين دليل على حرمته لأن الإفساد حرام من الناحية الشرعية، وهو إن نجح مرة لكنه في النهاية سيفشل ولا يؤدي غايته.

ولا تقتصر حرمة السحر على الآيات بل يوجد في الروايات أيضاً ما يدل على حرمة السحر وتعلمه وتعليمه وهي كثيرة منها ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

---

(١) سورة طه، الآية: ٦٩.

(٢) سورة يونس، الآية: ٨١.

«إن علياً عليه السلام قال: من تعلم شيئاً من السحر، قليلاً أو كثيراً فقد كفر، وكان آخر عهده بربه، وحدُّه أن يقتل إلا أن يتوب»[1].

فالحديث يؤكد أن الساحر ليس مجرد خاطئ بل هو أكثر من ذلك هو كافر بسبب أنه يدعي ما ليس لبشر مما هو من مختصات الباري عزّ وجلّ وإذا ما كانت عند أحد فهي منحة من الله سبحانه وتعالى، ومن قام بعمل السحر فجزاؤه أن يقتل لأن الكافر كمرتد يقتل إلا إذا تاب.

متى يجوز تعلم السحر؟

هناك موارد عديدة يجوز تعلم السحر فيها منها ما لو كان الناس في عصر ما يتقنون هذا الفن الذي هو واقعاً إرائة الناس خلاف الواقع فيستعملونه من أجل صرف الناس عن دين الحق وإلجائهم إلى الكفر بالله عزّ وجلّ أو الإيمان بعقائد باطلة، فساعتئذٍ يجوز تعلم السحر من أجل منع هؤلاء من التأثير على عقول العامة وإثبات عدم صحة ما يفعله السحرة، وهذا ما فعله الشيخ الجليل البهائي العاملي (قدس الله سره) في فترة كان السحر منتشراً ومستعملاً من أجل إضلال الناس فتعلمه (قدس الله سره) وبرع فيه وأبطل عمل هؤلاء المضلين. ودليل الجواز هو التزاحم بين حرمة تعلم السحر وعمله ووجوب الدفع عن الدين ما يشكل خطراً عليه وعلى المسلمين، ومن الطبيعي أن دفع هذه المفسدة العظيمة أولى من تطبيق الحرمة الشرعية بالعنوان الأولي. نعم يجب أن لا تتحول هذه المسألة إلى حالة عامة، بل أن تقتصر على مقدار الضرورة بحيث يتعلم فئة من المسلمين ممن يُكتفى بهم لدفع الضرر على قاعدة أن الخروج عن العنوان الأولي لعنوان ثانوي بسبب الضرورة يُقتصر فيه على مورد الضرورة فلا يتعداه لغيره. بل أكثر من ذلك فإن الموضوع يتعدى الجواز إلى الوجوب إن توقف دفع المفسدة عن الأمة على هذا الأمر.

---

(١) وسائل الشيعة الجزء ١٢، الصفحة ١٠٧.

متى تجوز ممارسة السحر؟

في بعض الأحيان كما قلنا يجوز تعلم السحر، ولكن السؤال المهم هو إن من تعلم السحر هل يجوز له التصرف به في موارد أخرى غير ما تحدثنا به؟ أم يقتصر في ذلك على المورد الذي لأجله جاز له تعلم السحر باعتبار أن الضرورات تقدر بقدرها؟

والجواب إنه لا مانع من استعماله في غير هذا المورد في فرض حل مشاكل المسلمين الذين يقعون ضحايا لبعض السحرة الشريرين، ويدل على ذلك روايات متعددة منها ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام حيث دخل عليه عيسى بن شفقي الذي كان ساحراً يأتيه الناس، ويأخذ على ذلك الأجر فقال له:

«جعلت فداك، أنا رجل كانت صناعتي السحر، وكنت آخذ على ذلك الأجر وكان معاشي، وقد حججت منه، ومَنَ الله عليّ بلقائك، وقد تبت إلى الله عز وجل، فهل لي في شيء من ذلك مخرج؟ فقال له أبو عبد الله عليه السلام: حل ولا تعقد»[1].

ومن هنا يمكن أن نستدل أيضاً بنفس الملاك على أن من تعلم السحر معصية أو تعلمه لضرورة، فإنه يجوز له استعماله في موارد الضرورة لحل مشاكل المسلمين، نعم هذا مختص بمن تعلم السحر سابقاً عصياناً أو لضرورة أما تعلمه ابتداءً من دون مورد الضرورة فلا يجوز قطعاً.

وهنا يتبادر السؤال التالي ألم يقم النبي موسى عليه السلام بممارسة السحر عندما واجه أفاعي السحرة التي هي في الواقع حبال خُيل للناس أنها

(١) الكافي الجزء ٥ الصفحة ١١٥.

كذلك بأفعى أكلت ما يفترون؟ والجواب أن الذي أتى به النبي موسى عليه السلام هو معجزة وليس سحراً وهو ما أدركه السحرة مباشرة لأنهم أخبر بالسحر من غيره لذلك آمنوا به بسرعة بعد أن عرفوا أن ذلك معجزة من الله سبحانه وتعالى. وقد فرق العلماء بين السحر والمعجزة بأن السحر يمكن أن يقع من الساحر وغيره في حين أن المعجزة مقصورة على الرسل عليهم الصلاة والسلام. وأن المعجزة تكون مقترنة بادعاء النبوة بخلاف السحر، والمعجزة حق يجريه الله على يدي رسول، والسحر تمويه وخداع غالباً.

اقسام اخرى من السحر:

هناك أقسام أخرى كثيرة من السحر وكلها محرمة بنفس دليل حرمة السحر كونها من أقسامه، ومن قبيل ذلك: استخدام الملائكة، وتسخير الجن، وإحضار الأرواح المسمّى في عرفنا بتحضير الأرواح، وكذلك ما يسمى في أيامنا بالكتابة وأيضاً الشعبذة وهي على نحو ما يفعله سحرة هذا الزمان من إراءة غير الواقع واقعاً، بسبب الحركة السريعة. وهناك دليل آخر على حرمة هذه الأمور كون إحضار الأرواح وتسخير الجن واستخدامهما من دون رضاهما ظلم حقيقي غير جائز، فإضافة إلى حرمة السحر هذه الأمور محرمة كونها تصرفاً في الآخرين من دون وجه حق من خلال التسلط عليهم، وعليه لولا أصل حرمة السحر لكان الإحضار والتسخير والاستخدام مع رضاهم جائز من الناحية الشرعية ولكن بسبب أنها من أقسام السحر فهي حرام رضوا بذلك أم لم يرضوا .

هل الجن موجود فعلاً؟

الجن كما في معجم ألفاظ الفقه الجعفري هو:

«الجن جنس من المخلوقات سموا بذلك لاجتنابها عن الأبصار

ولأنهم استجنوا من الناس فلا يُرون، ويقابله الأنس وهو جنس الإنسان»[١].

وانطلاقاً من هذا التعريف يقع التباس عند البعض حول وجود عالم الجن أو عدم وجوده، على أساس أن أصحاب المدرسة المادية لا يؤمنون إلا بما يقع تحت الإحساس المباشر للإنسان، والحقيقة إنه في الإسلام هناك إجماع على اعتبار الإيمان بوجود الجن ضرورة من ضروريات الدين، ومنكر وجودهم كافر بإجماع المسلمين لأنه بإنكاره هذا يكون مكذباً لما ورد في القرآن الكريم، وبالتالي فهو مكذب للرسول ﷺ، ومكذب الرسول ﷺ والقرآن الكريم كافر بلا إشكال، ومن المعروف قطعاً أن هناك أكثر من آية قرآنية تتحدث عن وجود عالم الجن، بل إن هناك سورة مخصوصة باسم سورة الجن، وقد حُدد في بعضها أنهم خلقوا قبل خلق الإنسان وأنهم مخلوقون من نار فقد ورد في الكتاب الكريم قول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾[٢]. والنار السموم هي كما في تفسير الجلالين: «هي نار لا دخان لها تنفذ من المسام»[٣].

فقوله سبحانه وتعالى والجان خلقناه من قبل يعني أن الجان خلقه الله سبحانه وتعالى قبل خلق الإنسان، وفي نفس الوقت تحدد الآية الكريمة أن الجان هو مخلوق من نار، وهذا ما يدعونا إلى أن نقول إن من ينكر وجود الجن هو مكذب للقرآن الكريم وبالتالي من يكذب القرآن الكريم محكوم بكفره، وهناك أيضاً من الآيات آية تحدد أن الجن منهم المؤمنون بالإسلام فقد قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:

---

(١) معجم ألفاظ الفقه الجعفري الصفحة ١٤٣.
(٢) سورة الحجر، الآية: ٢٧.
(٣) تفسير الجلالين الصفحة ٣٤٠.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾(١).

وهذه الآية الكريمة تتحدث بشكل واضح عن وجود الجن وأنهم كانوا يستمعون إلى القرآن الكريم وأنهم آمنوا به وذهبوا إلى أهلهم منذرين يريدون هدايتهم إلى الدين الحق، وعليه فإن الله سبحانه وتعالى خلق عالم الجن كما خلق عالم الأنس وقد قال في كتابه الكريم قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(٢).

إذا لا إشكال في وجود هذا العالم وهم مثلنا منهم المؤمن ومنهم الفاسق ومنهم المسلم ومنهم الكافر، وأما الإشكال على وجودهم بأنهم غير مرئيين فإن المنطق يقول إنه لا يستلزم القطع بوجود شيء ما ضرورة أن نراه فالله سبحانه وتعالى موجود ولا نراه والكهرباء مثلاً كطاقة موجودة ولا نراها فلا مانع من ناحية منطقية من وجود مخلوقات أخرى غيرنا خلقها الله سبحانه وتعالى ولم يخولنا أن نراهم لغاية وحكمة قد لا ندركها.

هل لعالم الجن تأثير علينا؟

السؤال الآخر المهم في هذا المجال هو أنه هل للجن تأثير على الإنس أم لا؟ هناك كثير من الآيات والروايات التي تؤكد ذلك وسنستعرض البعض منها كنموذج فقد ورد في القرآن الكريم قوله سبحانه وتعالى:

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾(٣). وهذه

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٢٩.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٣) سورة الجن، الآية: ٦.

الآية تدل على أن هناك أناس كانوا يعوذون أي يلتجئون إلى الجن للتأثير من خلالهم على الآخرين فزاد هذا الأمر رجال الإنس رهقاً أي إثماً وطغياناً، مما يدل على حرمة هذا التصرف من الناحية الشرعية، ومن الناحية العملية عندما نقول إن الجن موجودون وأن منهم المؤمن ومنهم الكافر ومنهم الفاسق ومنهم المنافق فساعتئذٍ لا بدّ أن يكون كافر الجن يكن عداوة لمؤمن الإنس وقد يسعى للإضرار به إن قدر على ذلك، وكونه غير مرئي فإن الإنسان لا يستطيع مواجهته، في حين أن الجني يستطيع الإضرار بالإنسان لأنه مكشوف له، وهذا لو صح فإن فيه ظلم يستحيل أن يسمح به الله سبحانه وتعالى، وعليه فإن المنطق يقول إنه لا سلطة للجني على الإنسي إلا في حالات يسمح بها كل منهما من خلال كتابات معينة أو توسلات معينة، ولكن هذا لا يعني أنه لا يستطيع أي منهما حماية نفسه من خلال أدعية مخصوصة في هذا المجال وللدليل على ذلك نورد ما قاله أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام:

«لما حضر شهر رمضان قام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس كفاكم الله عدوكم من الجن والإنس، وقال: أدعوني استجب لكم، ووعدكم الإجابة ألا وقد وكل الله بكل شيطان مريد سبعة من ملائكته، فليس بمحلول حتى ينقضي شهركم هذا ألا وأبواب السماء مفتحة من أول ليلة منه ألا والدعاء فيه مقبول»[١].

وهذا يدل على أن هناك سلطة للجن على الإنس ولكن هذه السلطة غير مطلقة بل يمكن للإنسان أن يدفع عنه أذى الجن ومن يستعملهم من خلال أدعية مخصوصة أو حتى مطلق الدعاء لله عز وجل أن يحميه من أذى الإنس والجن. وهناك أحاديث أخرى تؤكد موضوع حصول أضرار من الجن على الإنس فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

---

(١) وسائل الشيعة الجزء، ٧ الصفحة ٢٢٠.

«أتى رجل فشكا: أخرجتنا الجن من منازلنا، يعني عمار منازلهم، فقال: اجعلوا سقوف بيوتكم سبعة أذرع، واجعلوا الحمام في أكناف الدار، قال الرجل: ففعلنا ذلك فما رأينا شيئاً نكرهه»(١).

وهنا يُعَلِم الإمام الباقر عليه السلام من جاءه شاكياً من الأذى الذي يتعرض له بسبب الجن ما يساعده على رفع هذا الأذى.

وفي مورد آخر يعلم رسول الله صلى الله عليه وآله الناس أن يعلموا أبنائهم ما يمنع أذية الجن لهم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«قولوا لصبيانكم إذا أرادوا المنام، أن يقرؤوا هذه السورة (يعني الجحد)، حتى لا يتعرض لهم الجن»(٢).

وفي حديث آخر يعلم الإمام الصادق عليه السلام المؤمنين صلاة معينة تعطي من يصليها القدرة على منع الجن من إمكانية التأثير عليه فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«قال أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام: من صلى ليلة النصف من شهر رمضان مائة ركعة يقرأ في كل ركعة بقل هو الله أحد عشر مرات أهبط الله إليه من الملائكة عشرة يدرؤون عنه أعداءه من الجن والإنس وأهبط إليه عند موته ثلاثين ملكاً يؤمنونه من النار»(٣).

كل هذا يؤكد أنه من الممكن أن يكون هناك قدرة للجن على التأثير علينا ولكن هذا التأثير لا قيمة له ولا فعالية على عباد الله المؤمنين عندما يواظبون على الصلوات والأدعية وقراءة القرآن الكريم وتشتد حصانتهم من ذلك عند قيامهم بالالتزام بالنصائح المخصوصة في هذا المجال.

---

(١) مستدرك الوسائل الجزء ٣، الصفحة ٤٥٤.
(٢) مستدرك الوسائل الجزء ٤، الصفحة ٢٩٥.
(٣) وسائل الشيعة الجزء ٥، الصفحة ١٧٧.

هل يوجد من يتقن التعامل مع الجن؟

هنا سؤال مهم: هل هناك بين الناس من له قدرة على التعامل مع الجن وتسخيرهم؟ الحقيقة أنه يقع في هذا المجال بحث كبير، فمنهم من يقول بأنه لا يوجد من له القدرة على ذلك، ومنهم من يقول إن هناك بعض من يقدر على ذلك من خلال القيام بممارسة طقوس معينة مستعملين آيات قرآنية وطلاسم، وبين هذين الرأيين يعتبر القول بأن بعض الناس لهم القدرة على ذلك قول صحيح لكن بشرطه وشروطه أي أن يعرف كيفية ذلك ويتقنه وهؤلاء في هذه الأيام نادرون إلى درجة يمكن معها اعتبار أنه من المستحيل العثور على أحدهم، وحسب معلوماتي فإن الناس الذين يعملون في هذا المجال يقومون بذلك استناداً إلى أيمان يوجهونها على الجن فينصاعون لأوامرهم ويفعلون ما يطلب منهم ضمن إطار طاقتهم، وهنا يطرح موضوع مهم وهو لماذا مكّن الله سبحانه وتعالى الإنسان من القدرة على إيذاء الآخرين بهذه الطريقة؟ والحقيقة إن هذا الأمر لا ينحصر بموضوع استخدام الجن، بل يشمل كل وسيلة يمكن أن تستخدم للإضرار بالآخرين ولكن الله ﷻ خلقها لفائدة أخرى، فمثلاً السكين الذي نستخدمه في كثير من الأمور التي لنا فيها فائدة من قبيل إعداد الطعام أو إجراء العمليات الجراحية يمكن أن تستخدم أيضاً في القتل، والمشكلة هنا ليست في خلق الله سبحانه وتعالى لها أو تمكيننا من ذلك، بل في الاستخدام السيئ للإنسان فهو المسؤول أولاً وأخيراً. وهنا يهمني أن أؤكد وبحسب تجربتي العملية أنه لا يوجد في أيامنا هذه من يتقن هذه المسألة وغالبية من يدعي ذلك حتى أولئك الذين يُظهرون التدين هم مُدّعون أو متوهمون والغالبية العظمى منهم دجالون كاذبون، لذا فإنني أنبه الناس أولاً بعدم اللجوء إلى هذه الوسيلة، وثانياً إن رأوا أنهم بحاجة إلى ذلك فعليهم قبل الرجوع إلى أحد من هؤلاء استشارة أحد العلماء الموثوقين من أجل الإرشاد والتوجيه.

الكهانة حرام:

والكهانة هي أيضاً نوع آخر من أنواع السحر وقد ورد في تفسيرها ما ورد في كتاب تحرير الوسيلة:

«تعاطي الأخبار عن الكائنات في مستقبل الزمان، بزعم أنه يلقى إليه الأخبار عنها بعض الجان، أو بزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات وأسباب يستدل بها على مواقعها»(١).

وهي محرمة أولاً لكونها من السحر، وثانياً لورود العديد من الروايات على حرمتها خصوصاً منها ما ورد فيما رواه أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من تكهن أو تكهن له فقد برء من دين محمد صلى الله عليه وآله»(٢).

وهنا يظهر أن الإشكال ليس محصوراً بمن يقوم بهذا العمل أي المتكهن نفسه بل يشمل الذي يسعى لطلب هذا الأمر منه، وأكثر من ذلك فإنه في رواية أخرى لرسول الله صلى الله عليه وآله يعتبر أن الكاهن ملعون واللعنة إنما تكون على الكافر، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام فيما رواه عنه نصر بن قابوس أنه قال:

«سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: المنجم ملعون والكاهن ملعون، والساحر ملعون، والمغنية ملعونة، ومن آواها ملعون، وآكل كسبها ملعون»(٣).

وفي رواية أخرى يصرح رسول الله صلى الله عليه وآله بأن الكاهن كالكافر فهو وإن كان لا ينكر وجود الله سبحانه وتعالى إلا إنه يكفر به عملياً من

---

(١) تحرير الوسيلة الجزء ١، الصفحة ٤٩٨.
(٢) وسائل الشيعة الجزء ١٢، الصفحة ١٠٨.
(٣) وسائل الشيعة الجزء ١٢، الصفحة ١٠٣.

خلال إخباره عن الغيب وكأنه يقطع بحصوله، وهذا ما لم يعطه الله سبحانه وتعالى إلا للأنبياء والرسل وليس بشكل مطلق بل بالقدر الذي أبلغهم به، لذلك ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«المنجم كالكاهن والكاهن كالساحر والساحر كالكافر والكافر في النار»[1].

بعد كل هذا فإن الهروب ليس من هذا العمل بحد ذاته بل من كل ما يكون قريباً منه مما هو معروف في زماننا من التبصير وقراءة الكف والأبراج يعتبر من الواجبات التي يجب التنبه لها.

اللجوء إلى الكهنة:

بنفس المستوى الذي حرم الله سبحانه وتعالى الكهانة بما هي إخبار بالغيب أي الحرمة على نفس الممارس لهذا العمل، حرم الله عز وجل أيضاً اللجوء إليهم من قبل الناس وتصديقهم به، فإن من يفعل ذلك يكون أيضاً مأثوماً من الناحية الشرعية لأنه يعتقد أن لهذا الشخص القدرة على معرفة ما سيحصل في ظهر الغيب وهذا ما لم يُطلع عليه الله عز وجل أحد، ومن جهة أخرى لو التزم الناس بعدم اللجوء إلى هؤلاء المشعوذين لما كان لهم ولعملهم شأن ولما كان لهم تأثير على السذج والبسطاء من الناس، وقد ورد في النهي عن اللجوء إلى الكهنة حديث لرسول الله صلى الله عليه وآله يقول فيه:

«من مشى إلى ساحر أو كاهن أو كذاب يصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل الله من كتاب»[2].

وعليه فإن حرمة الكهانة لا تنحصر في نفس عمل المتكهن بل

---

(١) وسائل الشيعة الجزء ١٢، الصفحة ١٠٤.

(٢) وسائل الشيعة الجزء ١٢، الصفحة ١٠٩.

تشمل من يلجأ إليه أيضاً. الذي اعتبر رسول الله ﷺ بأنه بعمله هذا يكون قد كفر بما أنزل الله سبحانه وتعالى من كتاب. وهنا لا بد من الإلفات إلى مسألة مهمة جداً وهي محاولة هؤلاء وغيرهم وخاصة أولئك الذين يتخذون من الدين وسيلة إما بالإيحاء بأنهم متدينون أو من البعض الذين يتزيون بالزي الديني أن يوحوا للعامة بأن ما يفعلونه شرعي لا إشكال فيه وله أساس في الشرع الحنيف فإن جرم هؤلاء أكبر بكثير من أولئك الذين لا دين لهم أو لا يدخلون الدين في عملهم.

اجر الكاهن:

من المعروف أن هؤلاء الناس يتقاضون من الناس في مقابل ما يقومون به من أعمال هي في الواقع كذب وتدجيل، أجراً مالياً، وهذا الأجر يكون في كثير من الأحيان أجراً كبيراً جداً، وطبعاً تختلف التسعيرة باختلاف الشخص طالب الاستشارة، فإذا كان غنياً مسؤولاً اختلف الأجر المطلوب عن الإنسان العادي، وكذلك باختلاف طبيعة الأزمة المسؤول عنها، فإن كانت قضية صغيرة كان أجرها عادياً، أما في الأزمات الكبرى فإن الأجر يكون قطعاً أكبر بكثير، المهم إن هذا المال هو من الناحية الشرعية سحت تماماً كثمن الميتة والخمر وغيرها من المحرمات، وقد ورد في النهي عن أجر الكاهن أحاديث متعددة منها ما ورد في رواية السكوني، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«السحت ثمن الميتة، وثمن الكلب، وثمن الخمر، ومهر البغي، والرشوة في الحكم، وأجر الكاهن»(١).

فبالمقارنة بين أجر الكاهن وهذه الأجور يتضح لنا مدى وضاعة هذا العمل ومدى بغض الله سبحانه وتعالى لمزاوله.

---

(١) وسائل الشيعة الجزء ١٢، الصفحة ٦٢.

تعريف التنجيم:

التنجيم اصطلاحاً كما ورد على موقع جمعية الفلك هو:

«التنجيم هو التصوّر الذي يحاول وضع علاقة بين بعض الأجرام الفلكية والأحداث الأرضية.

ويقوم بدرجة أساسية على رسم خريطة البروج أو الطوالع (Horoscope) لكل حدث. وهي عبارة عن رسم يوضح موقع الأرض والكواكب والبروج النجمية في وقت الحدث والذي يكون عادة ذا أهمية مثل وقت الميلاد أو الزواج. ومن هذا الرسم يتم التنبؤ بالأحداث التي تترتب على ذلك الحدث. وتلحق الشمس والقمر بالكواكب في التنجيم. وهناك عدة افتراضات وتنبؤات لمن يولد أو يتزوج أثناء الاقترانات المختلفة لتلك الأجرام لذلك يهتم المنجمون كثيراً باقتران الكواكب والمجموعة النجمية (البرج) التي يحدث فيها الاقتران»(١).

فالتنجيم بحسب التعريف الاصطلاحي هو ربط الأحداث التي تحصل على الأرض بحركة النجوم والبروج في وقت الحدث وهذا يعني أن هناك تأثيراً لهذه الكواكب والنجوم على الإنسان وحركاته.

أما التنجيم من الناحية الشرعية فهو كما في تحرير الوسيلة:

«التنجيم هو الإخبار على البت والجزم عن حوادث الكون، من الرخص والغلاء، والجدب والخصب، وكثرة الأمطار وقلتها، وغير ذلك من الخير والشر، والنفع والضرر، مستنداً إلى الحركات الفلكية، والنظرات والاتصالات الكوكبية معتقداً بتأثيرها في هذا العالم، على نحو الاستقلال، أو الاشتراك مع الله تعالى عما يقول الظالمون، دون مطلق التأثير ولو بإعطاء الله تعالى إياها، إذا كان عن دليل قطعي. وليس

---

(١) موقع جمعية الفلك الإلكتروني.

منه الإخبار عن الخسوف، والكسوف، والأهلة، واقتران الكواكب وانفصالها، بعد كونه ناشئاً عن أصول وقواعد سديدة، والخطأ الواقع منهم أحياناً ناشئ من الخطأ في الحساب، وإعمال القواعد كسائر العلوم»[١].

إذا التنجيم هو أن ينظر المنجم في حركة الكواكب ليتحدث عما يحصل في الزمان المقبل معتقداً تأثير هذه الكواكب على الناس وعلى الحوادث المستقبلية.

حكم التنجيم:

إن الشرع الحنيف يرد الحوادث كلها إلى قدرة الله ﷻ ويعتبر أن لا تأثير لأحد كالنجوم وغيرها على هذه الحوادث وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«إنما الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم شيئاً من ذلك فليكن فزعكم إلى الله»[٢].

وهذا القول من رسول الله ﷺ رد على من قال بأن الخسوف والكسوف بأنهما مؤشر على موت عظيم أو ولادة شرير أو سبباً لوقوع حوادث معينة فإن رسول الله ﷺ بكلامه هذا نفى وبشكل مطلق تأثير الكواكب على مصير البشر.

وقد أجمع الفقهاء على حرمة التنجيم مطلقاً وأعطى حكماً للمنجم وللذي يذهب إليه مصدقاً له فقد ورد في أن من يذهب إلى المنجم معتقداً بصحة ما يقول فإنه قد كفر بما قال رسول الله ﷺ فقد ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال:

---

(١) تحرير الوسيلة الجزء ١، الصفحة ٤٩٨.

(٢) كنز العمال الجزء ٧، الصفحة ٨٢٦.

«من جاء عرافاً فسأله وصدقه بما قال فقد كفر بما أنزل الله على محمد ﷺ وكان يقول إن كثيراً من الرقى وتعليق التمائم شعبة من الإشراك»[1].

ومن الملفت هنا أن الحديث الشريف أشار إلى موضوع التمائم والرقى أيضاً أن فيها إشكال قد يصل إلى حدّ الكفر.

وكذلك فقد حكموا بتكفير المنجم ولكنهم اختلفوا في أنه هل يصبح كافراً بمجرد أن يقوم بذلك أم لا بد من توافر شروط أخرى؟

هنا يوجد تفصيل، فالمنجم تارة يقول بأن هذه الكواكب لها تأثيرها على الإنسان على نحو الاستقلال، وأخرى يقول بأنها والله عز وجل لهما تأثير بحيث يكونان مع بعضهما يحددان المستقبل، وثالثة يقول بأن الله سبحانه وتعالى أودع فيها إمكانية التأثير، كما أودع في النار قابلية الإحراق.

في الحالة الأولى لا إشكال في كفر من يعتقد ذلك لأنه ينسب العجز لله عز وجل ويعتبر أن المؤثر في الكون هي هذه الكواكب لا هو سبحانه وتعالى عما يقولون، ويدعي أيضاً أن الله سبحانه وتعالى لا يمتلك تأثيراً على بعض مخلوقاته ولا إشكال في كفر من يقول بذلك في حين أن القسم الثاني الذي يعتقد بتأثيرهما معاً فهو حتماً مشرك بالله العظيم لأنه يعتقد بوجود شريك لله في تصريف أمر الكون وأمر العباد. أما الصنف الثالث وهو الذي يعتقد أن الله سبحانه وتعالى قد أودع عندما خلق الخلق في النجوم إمكانية التأثير بالحوادث والبشر وكل المخلوقات فهو وإن كان لا يُعتبر بذلك كافراً أو مشركاً إلا إنه حيث ينسب شيئاً لله عز وجل من دون دليل فيكون مأثوماً ومبتدعاً في دين الله عز وجل، فهو من هذه

---

(١) مستدرك الوسائل الجزء ١٣، الصفحة ١١٠.

الجهة مخطئ فإن كان عن جهل فلا إثم وإلا فهو مأثوم. وقد يحاول البعض الدفاع عن هذا الرأي بقوله إن الله سبحانه وتعالى جعل هذا الكون يسير ضمن قاعدة أن الأمور بأسبابها فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«أبى الله أن يجري الأشياء إلّا بأسباب، فجعل لكل شيء سبباً وجعل لكل سبب شرحاً وجعل لكل شرح علماً، وجعل لكل علم باباً ناطقاً، عرفه من عرفه، وجهله من جهله، ذاك رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن»[1].

فإن غاية ما تدل عليه هذه الرواية وشبيهاتها أنه أبى الله أن يجري الأشياء إلا بأسبابها كون كل حادث مسبباً. وأما أن السبب هو الحركة الفلكية أو غيرها، فلم يثبت ذلك، ولم يثبت أيضاً كونه مخالفاً لضرورة الدين. هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن قوله هذا ينفي الاختيار عن الإنسان فإن الكواكب إن كانت مؤثرة بالإنسان بحيث إنها تمنعه من أن يفعل ما يريد بل يفعل ما تؤثر به الكواكب عليه فإنه لا يجوز مع ذلك محاسبته على فعل لم يختره بل أكره عليه من خلال ما يقولون إن الله أودعه في الكواكب من قدرة تأثير على المخلوقات، ولا شك في أن هذا الكلام مخالف لأصل من أصول الدين وهو عدل الباري عز وجل، فإن حاسب الإنسان على فعل لا اختيار له فيه لم يكن عادلاً بذلك وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ويدل على ما ذهبنا إليه آنفاً ما رواه الشهيد في الذكرى عن زيد بن خالد الجهني أنه قال:

«صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله صلاة الصبح بالحديبية في اثر سماء كانت من الليل فلما انصرف استقبل الناس فقال: هل تدرون ما قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله اعلم، قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بالكوكب

---

(١) الكافي الجزء ١ الصفحة ١٨٣.

من قال مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب»[1].

فقد اعتبر رسول الله ﷺ نقلاً عن الله ﷻ أن من اعتبر أن الحادثة الكونية التي حصلت كانت بسبب أمور لا علاقة لله بها فقد كفر أما من قال أن هذه الحادثة هي تدبير من الله في النظام الذي أودعه في الكون فهو مؤمن.

لماذا الحكم بالكفر؟ وهل تستدعي القضية هذا الحجم من الحكم الشرعي؟ إن الجواب على ذلك هو بأن الإسلام يريدنا أن نبني عقيدتنا على أساس علمي بعيداً عن الأكاذيب والخرافات والأساطير، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الإسلام إنما يريدنا أن نؤمن بما هو واقعي ومنطقي وأن الله ﷻ هو المتصرف في الكون ومن قال بتصرف غيره فيه فهو حتماً كافر. إضافة إلى ذلك فإن القول بالتنجيم موجب لتكذيب القرآن الكريم وموجب أيضاً للاستغناء عن الله في جلب الخير ودفع الشر، ومن المعروف إن الإسلام يبتني على أن الخير والشر أمره بيد الله ﷻ وليس لأحد أن يجلب لنا خيراً أو يدفع عنا شراً إلا بأذنه سبحانه وتعالى، ولذلك كان التصديق بما يقول المنجمون كفر بالله العظيم.

وفي مطلق الأحوال يجب أن يكون واضحاً أن الحالات الثلاث محرمة شرعاً لأن النص على حرمة التنجيم واضح لا لبس فيه لما ورد معنا في حديث الإمام الصادق عليه السلام من أنه قال عن المنجم بأنه ملعون. ومن جهة أخرى فمن كانت صنعته في هذا المجال يجب عليه الاجتناب عنها وتركها كما أن الحكم في الكتب التي تحتوي هذه العلوم هو الحرق فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام فيما رواه عنه عبد الملك بن أعين أنه قال:

---

(١) مستدرك الوسائل الجزء ٦ الصفحتان ١٩٥ ـ ١٩٦.

«قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إني قد ابتليت بهذا العلم فأريد الحاجة، فإذا نظرت إلى الطالع ورأيت الطالع الشر جلست ولم أذهب فيها، وإذا رأيت الطالع الخير ذهبت في الحاجة. فقال لي: تقضي؟ قلت: نعم، قال: أحرق كتبك»(١).

فقد حكم الإمام الصادق عليه السلام بوجوب حرق هذه الكتب طبعاً لأنها كتب ضلال خاصة أنه يصدق بما تخبره به هذه الكتب التي تنبئ عن الطالع.

هل ما يخبر به المنجمون صحيح؟ وما خبر من تصح توقعاتهم؟:

من المقطوع به أنه ومن الناحية الشرعية لا صحة لما يدعيه هؤلاء من أنهم يعرفون ما يحصل في المستقبل، ومن يقول ذلك ويدعي أنه يعرف ذلك من خلال حركة النجوم والكواكب فهو كاذب، وإن قالها معتقداً فهو كافر لاستلزام فعله تكذيب الرسول صلى الله عليه وآله والكتاب الكريم، وهنا يسأل البعض فما خبر من يصدق في توقعاته؟ والجواب أنه يمكن أن يصيب أحد الأشخاص في توقعاته ولأكثر من مرة، ولكن هذا يكون من قبيل المصادفة وليس بسبب قدرته على الإطلاع على الغيب أو المستقبل، وقد يستند البعض فيما يقول إلى تحليلات منطقية فيتصور الآخرون أن له قدرة عجيبة على معرفة الغيب، فقد يقول هذا المنجم ونتيجة دراسة لظروف متأزمة سياسياً في بلد ما أن الأمور تتجه نحو التصعيد، وإذا كان هناك من مسلحين في الأوساط السياسية، فإنه قد يعلن أن تفجيرات ستحصل وستصيب بعض السياسيين، وهذا ليس إلا تحليلاً لا أكثر ولا أقل، وقد يقول البعض مثلاً أنه في هذا العام

---

(١) من لا يحضره الفقيه الجزء ٢ الصفحة ٢٦٧.

ستحصل فيضانات أو زلازل أو براكين في بعض البلدان ومتى لا يحصل ذلك في سنة من السنوات، أو أن يدعي أن شخصية مرموقة من دون تسمية ستموت، وكم شخصية مرموقة بلغت من العمر عتياً وقاربت الموت، فإن حصل فترى الناس يقولون أن فلاناً توقع ذلك، وقد أضحكني بعض من يظهر على التلفاز ثم يتحدث مع المشاهد ليعرف من خلال نبرة صوته مستقبله أو ما يعانيه، فإذا به يقول له أن لديك مشكلة في الجهاز الهضمي ومن منا لا يعاني من مشاكل في جهازه الهضمي خاصة مع أنواع الطعام الجاهز التي نأكلها، فإذا بنا نعاني من الغازات أو الاضطرابات المعوية أو الانتفاخ في القولون أو القرحة في المعدة، إن كل هؤلاء يتقنون فن التحايل على الناس مستغلين سذاجتهم وهذا طبيعي عند عامة الناس، أما أن يتحول فلان إلى منجم لدى كبار السياسيين أو المسئولين أو أصحاب رؤوس الأموال فهذا مما يضحك الثكلى.

فهؤلاء لا يستندون فيما يعلنون عنه أو يدعونه إلى معطيات علمية أو روحية دقيقة، ولذلك تراه يصيب مرة ولكنه يخطئ مرات عديدة، وقد ورد في المثال القول المأثور:

«كذب المنجمون ولو صدقوا».

الخلط بين علم الفلك والتنجيم:

يخلط البعض بين علم الفلك والتنجيم، حتى إن بعض الخاصة أيضاً يقعون في هذا الخلط فيتخذون موقفاً سلبياً من علم الفلك على قاعدة انه من التنجيم المحرم، والحقيقة إن الفارق كبير، بينهما فعلم الفلك ورصد حركات الكواكب والنجوم ودراسة ظواهر الكسوف والخسوف ومرور الكواكب في مسارات معينة هو علم قائم بذاته ويستند إلى حسابات دقيقة وبالتالي فإننا نصدق بما يتوصل إليه، وقد أثبتت

التجربة صحة هذا العلم ودقته لجهة تحديد الوقت بالدقة لبعض الظواهر الكونية حتى في جزء الثانية وهذا مختلف تماماً عن التنجيم الذي هو تنبؤ ببعض الحوادث من دون توافر معطيات دقيقة ذات أصل علمي وشرعي.

نعم قد يستخدم المنجم بعض الحسابات الفلكية في تكوين رأيه الذي يعلنه على أساس أن المنجم يعتقد أن لحركة النجوم تأثير على الحوادث، وهذا الذي يضطره للجوء إلى هذه الحسابات ولكن هذا لا يجعله علماً قائماً بذاته.

واللجوء إلى علم الفلك مباح شرعاً في الأمور التي لا علاقة لها بالإخبار عن الحوادث المستقبلية، بل لمعرفة الجهات الأربع والاستهداء إلى الطريق في البحر كما في معرفة الخسوف والكسوف وهذا ما عبر عنه الله ﷻ بقوله:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾[١].

إذاً لا مانع من تعلم علم الفلك، بل هناك حث عليها من قبل الشرع الحنيف، بل يمكن القول أن تعلم هذا العلم بما أنه ضروري للأمة والمجتمع يعتبر واجباً شرعياً كفائياً لا تبرئ ذمة المكلفين إلا بتعلمه من قبل من يُكتفى به.

الآثار النفسية للتنجيم:

من المعروف أن الذي يسعى للتنجيم يهدف من وراء ذلك للوصول لمعرفة المستقبل، بل إنه يبني مواقفه وخططه على أساس ما يخبره به المنجم، فلو كان صاحب شركة مالية مثلاً فإنه يسأل المنجم عن تقلبات

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٧.

الأسهم فيخبره بأنها سترتفع مثلاً فيحتفظ بها فإذا بها تنخفض ما يوقعه بخسارة كبيرة وتكون النتيجة عنده متفاوتة بحسب شخصه وحجم الخسارة، فمنهم من تؤدي به هذه الخسارة إلى الانتحار، ومنهم من يُصاب بمرض نفسي كالاكتئاب، وقد يصل إلى حد الجنون، كل ذلك لأنه اعتمد على أمر غير منطقي، ما يوحي بعدم توازنه منذ البداية وعدم استقرار شخصيته من الناحية النفسية.

إن دراسة أجرتها أحدى المؤسسات التي تعتني بالقضايا النفسية وجدت أن الذين يبنون حياتهم على أساس التوقعات ومحاولة معرفة المستقبل غالباً ما نجدهم يصابون بالصدمات النفسية نتيجة خيبة أملهم في كذب هذه التوقعات، وهذا يُوَلِد شيئاً من الإحباط عندهم مما يؤدي إلى حالات الاكتئاب المرضي. كل ذلك لأن حالة الترقب الدائم والانتظار للمستقبل على أمل تحقق ما أخبره به العراف تولد فيه حالة توتر نفسي وشد عصبي، فإذا لم يتحقق ما كان ينتظره فإن الغضب والانفعالات النفسية المختلفة سوف تسيطر عليه ما يؤدي إلى إصابته بالأمراض النفسية.

ما هي القيافة وما حكمها؟

القيافة هي كما في تحرير الوسيلة:

«القيافة وهي الاستناد إلى علامات خاصة في إلحاق بعض الناس ببعض وسلب بعض عن بعض على خلاف ما جعله الشارع ميزاناً للإلحاق وعدمه، من الفراش وعدمه»[1].

وهذه تعتبر من القضايا التي كانت تحصل في قديم الزمان، حيث كانوا عندما يجدون ولداً لا يُعرف أباه فإنهم، كانوا ينسبونه من خلال

---

(١) تحرير الوسيلة الجزء ١ الصفحة ٤٩٨.

علامات تشابه إلى أحدهم من دون وجود أي مستند شرعي لذلك من قبيل الفراش الشرعي، وكان هناك من يدعي علمه بذلك ويمارسه كعمل فجاء الإسلام لينهى عن ذلك ويحرمه ويضع الأسس الشرعية لكيفية نسبة شخص لآخر. وفي هذا الموضوع ورد فيما رواه أبو بصير عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«من تكهن أو تُكهن له فقد بريء من دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال: قلت فالقيافة؟ قال: ما أحب أن تأتيهم، وقيل: ما يقولون شيئاً إلا كان قريباً مما يقولون فقال: القيافة فضلة من النبوة ذهبت في الناس حين بعث النبي صلى الله عليه وآله»[1].

فالحديث واضح لجهة أنه لا يجوز الاقتراب من هذا العمل غير المحبوب من رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنه كان عملاً مختصاً بالأنبياء وما بقي عند الناس في ذلك الوقت كان فضلة من النبوة نُهينا عن التعامل معها كونها تسبب مشاكل كبيرة ولا تستند إلى معطيات شرعية صحيحة.

وقد أشرت إلى هذا الموضوع باعتباره مسألة مرتبطة بنفس المضمون الذي أتحدث عنه وهو الجزم بأمر معين من دون منطلقات علمية وشرعية صحيحة. هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن الناس في هذه الأيام يمارسون هذا النوع من النسب وإن في دائرة أصغر من دون التنبه إلى حرمته شرعاً، بل إنك قد تجد في بعض الأماكن من يقول أن فلاناً الذي هو بحسب الظاهر للناس أبن زيد أنه أبن عمرو نتيجة لموضوع القيافة أو ما يشابهها، وهذا ما يجب التحذر منه خوفاً من الوقوع في الحرام.

وهنا يمكن أن يسأل البعض أن النسب هل يصح من خلال الوسائل العلمية الحديثة التي تتم من خلال فحص أل «دي أن آي »؟

---

(1) وسائل الشيعة الجزء ١٢ الصفحة ١٠٨ ـ ١٠٩.

والجواب أنه لا مانع من الناحية الشرعية من الاعتماد على هذا الفحص باعتباره دليلاً قطعياً على نفي النسب عند عدم التطابق، أما إثبات أن هذا الولد أبن هذا الشخص من خلال ذلك فلا يمكن إلا مع توافر الشروط الشرعية الأخرى والتي أهمها ألعقد الشرعي، لأن النسب من الناحية الشرعية لا يتم إلا من خلال عقد شرعي فأبن الزنا لا يُنسب حتى مع القطع بأن الولد المولود هو أبنه. وعليه فإن الفحص وإن أثبت أن الولد بيولوجياً هو لفلان غير أن النسب لا يصح من الناحية الشرعية إلا من خلال عقد شرعي. إضافة إلى أن إثبات النسب من خلال هذا الفحص بأن فلاناً أبن زيد غير قطعي لأنه لم يتوصل بحسب ما أعلم إلى نتائج نهائية قطعية في هذا المجال، فإنه كما تطابقت هذه السلالات الجينية مع زيد فإنها متطابقة مع أبيه وأخيه ومن هم من أنسباؤه. فما يدريك أن يكون الأب هو أخوه أو أبوه أو خاله أو عمه. أما إذا توصل العلم إلى طريقة في هذا الفحص للقطع نهائياً بلا أي إشكال بأن فلاناً أبن فلان، فلا مانع من النسب مع توافر بقية المعطيات التي يجب توافرها كالعقد الشرعي كما بينا سابقاً.

الكتابة ما هي وما حكمها؟

ومن أنواع السحر المشهورة منذ القدم وما زالت تمارس حتى اليوم موضوع الكتابة. وهي أن يقوم شخص ما بكتابة نوع من أنواع الطلاسم على ورقة من أجل أن يفرض على آخر كره شخص ما أو حبه، أو من أجل جعله غير قادر على الزواج أو الإنجاب، أو أي أمر من أمور إكراه الأشخاص على فعل أو ترك أمر لا يريدون فيما لو خلوا وأنفسهم أن يفعلوه أو أن يتركوه. ويقوم الشخص الذي يريد ذلك بوضع هذه الورقة في مكان معين أو يذيبها بالماء ويجعل الضحية المستهدف يشربها، وهذا نوع من أنواع السحر ورد في الآية المتقدمة في أول البحث حول ما كان

يفعله الشياطين في أيام النبي سليمان عليه السلام من تعليم الناس السحر ليفرقوا بين المرء وزوجه، وهذه الكتابة على فرض وجود من يتقنها في هذه الأيام فهي محرمة من الناحية الشرعية لأنها تصرف في أمور الناس وقراراتهم وحياتهم الشخصية وحريتهم وتسلطهم على أنفسهم وأموالهم من دون وجه حق، ومن المعروف والبديهي أن الإسلام حرم التصرف في أموال الناس من دون إذنهم، وعليه فإن التصرف بأنفسهم يكون أشد حرمة من التصرف بأموالهم وبالتالي فهو حرام بطريق أولى. وأشد حرمة منه ما نسمعه وإن كنا لا نؤمن به من أن يقوم البعض بكتابة السحر على قطعة دهن ثم يضعها في مكان لتذوب تدريجياً فتمرض الضحية المستهدفة وتموت ببطء، وهذا إن صح فهو قطعاً أشد حرمة من السابق لأنه قتل نفس بغير حق.

التبصير:

يعتبر التبصير ظاهرة مستشرية في أيامنا هذه، ولعلك لا تجد منزلاً لا يمارس هذه المسألة بشكل شبه يومي خاصة عند الصباح بعد شرب فنجان القهوة أو عند المساء في السهرة بواسطة أوراق اللعب.

وقد تعرضت لهذه المسألة لأنها أصبحت عند البعض من العادات التي لا يستطيعون تركها، فهم لا يقدمون على فعل ما أو يحجمون عن آخر إلا بعد التبصير، فتعطلت عقولهم ولجئوا إلى ما لا يصح اللجوء إليه لا شرعاً، لأنه وكما تقدم معنا فإن هذا من أنواع السحر لما فيه من إخبار عن الغيب، ولا عقلاً لأنه لا عقل ولا منطق سليم يمكن أن يؤمن أن الخطوط التي تعملها القهوة بعد شربها يمكن أن نستكشف منها حاضراً أو مستقبلاً.

إن التبصير هو نوع من أنواع السحر بشكل آخر ولا يجوز اللجوء

إليه من الناحية الشرعية، والذي يلجأ إليه معتقداً بصحته فقد كفر بالله العظيم. وهنا يأتينا البعض ليسأل أنه لو فعلنا ذلك من باب التسلية ومع قناعتنا التامة بعدم صحة ما يقوله المبصر هل في ذلك إشكال؟ والجواب أن التسلية يمكن أن تكون بأمور أخرى مفيدة أكثر ولو قلنا بعدم حرمة المزاح في هذا الأمر إلا إن ترفع المؤمنين عن هذه الأمور هو الأفضل كي لا يقع غيرهم وخاصة أولادهم وأطفالهم بشبهة صحة ما يفعلون فيتأثرون بذلك.

وهنا لا بد من الإشارة إلى مسألة مهمة انه ومن خلال التجربة تبين لنا أن كثيراً ممن اشتهر بأنه مبصر بارع إنما حصل ذلك معه من خلال نجاحه في معرفة بعض الأمور عن ما سيحصل مع فلان أو فلانة من باب الصدفة، فقام هذا الشخص بنشر دعاية عن إتقان فلان للتبصير وصادفت معه إن أصاب في أمور أخرى، فإذا بصيته يذيع في الأفاق وتأتي الناس إليه، حتى بات هو نفسه مقتنع بوجود قدرة لديه على ذلك، وهو في واقع الأمر واهم، ولو درس مجمل ما قاله وأين أصاب وأين أخطأ لاكتشف أنه أخطأ أكثر بكثير مما أصاب، ولكن الناس دائما تنظر إلى الجانب الآخر لحبها في معرفة المستقبل. لذا فإن علاج هذه الظاهرة الخطيرة يكون من خلال محاربتها من قبل العلماء والمفكرين والمثقفين، وأن يتقي من يفعل ذلك الله ﷻ لأنه سيكون له عنده الحساب العسير على هذه المعصية الكبيرة.

ومن المعروف أن التبصير يكون عادة من خلال القهوة وأخرى من خلال أوراق اللعب وقد بينا أن كلا الأمرين حرام، غير أن التبصير بأوراق اللعب يمكن أن تضاف إليه حرمة استعمال آلة القمار ولو بغيره، بناء لمن يقول بحرمة استعمال أدوات القمار في غير القمار وخاصة وأن هذا الغير هو الإنباء عن الغيب الذي هو من اختصاص الباري ﷻ ومن أعطاه هذه المعرفة من نبي أو ولي أو وصي.

قراءة الكف:

ومن الأمور التي تستعمل في الإنباء عن الغيب وكشف المستقبل أيضاً موضوع قراءة الكف، وهذه أيضاً حرمتها واضحة ولا مستند شرعي وعقلي لجوازها، إذ كيف يمكن أن نقبل أن يكون مصير إنسان ما متعلق بخطوط موجودة على كفه؟ ولو كان هذه صحيحاً فإن اختيار الإنسان أصبح معدوماً، ذلك أنه مهما حاول أن يغير من واقعه فهو لن يستطيع، لأن هذه الخطوط موجودة من صغره وهي لن تتغير وبالتالي فإن كانت خطوطاً لمؤمن فسيكون مؤمناً شاء أو أبى، وإن كانت خطوطاً لكافر أو فاسق أو منافق فهو سيبقى كذلك، ولن تتغير حياته مهما جاهد نفسه لفعل الخير والصلاح وهذا ينافي نص القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ، كون الإنسان مخير في أفعاله يستحق الثواب أو العقاب بناء لما فعله هو باختياره، لا ما هو مجبر عليها من خلال ما هو مرسوم على كفه منذ ولادته.

وقد يشكل البعض علينا أنه كيف تقولون ذلك وهناك روايات عن رسول الله ﷺ تقول أن الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من سعد في بطن أمه. فنقول أن ما ورد عن الرسول ﷺ أو عن أمير المؤمنين علي عليه السلام في هذا المعنى إن صح وروده عنهما فهو مؤول بأنه عندما يعلم الله سبحانه وتعالى أن هذا الإنسان سيختار الخير فهو يعلمه كذلك سعيداً مذ كان في بطن أمه، ومن يعلم الله أنه سيختار طريق الشر فهو يعلمه كذلك من خلال ما سيختاره هو وأنه سيكون شقياً وقد فسر الإمام الكاظم عليه السلام هذا القول بقوله:

«عن أبن أبي عمير قال: سألت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام عن قول رسول الله ﷺ: الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من سعد في بطن أمه فقال: الشقي من علم الله وهو في بطن أمه أنه سيعمل

أعمال الأشقياء، والسعيد هو من علم الله وهو في بطن أمه أنه سيعمل أعمال السعداء. قلت له: فما معنى قوله ﷺ: اعملوا فكل ميسر لما خلق له؟ فقال: إن الله ﷻ خلق الجن والأنس ليعبدوه ولم يخلقهم ليعصوه، وذلك قوله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ فيسر كلا لما خلق له، فالويل لمن استحب العمى على الهدى»[1].

إذا ليس هناك في الإسلام جبر أو تفويض، بل كل إنسان يختار أفعاله وهو قد يكون في أول أيامه من أصحاب الهداية فيتحول في آخرها من أصحاب الضلالة والعكس صحيح، وقد يكون على وتيرة واحدة طوال حياته، فلا يعقل أن يكون مصير الإنسان كله مكتوب على كفه بحيث لا يستطيع تغييره، لأن معنى ذلك أنه مجبر على ما يفعل وإن كان كذلك لاستحال على الله ﷻ بوصف كونه عادلاً أن يحاسبه على فعل لم يرتكبه.

مشاكل عملية:

في هذا المجال هناك الكثير من المشاكل التي تحصل من الناحية العملية، وهي في أكثرها يعود إلى عجز الشخص الذي يلجأ إلى السحر عن مواجهة الواقع من خلال المنطق والعلم. وسأستعرض بعض المشاكل باختصار للتدليل على أهمية هذا الموضوع وخطورته على المجتمع. وهي على الشكل التالي:

١ ـ اللجوء للسحر لحل المشاكل الزوجية:

من المتعارف عليه في أجواء الخلافات الزوجية هو قيام الزوجة في غالب الأحيان، والزوج في بعضها باللّجوء إلى السحرة ممن يسخر الجن، أو لمن يستعمل الكتابة يطلبون إليه مساعدتهم بحل المشكلة من

(١) بحار الأنوار الجزء ٥ الصفحة ١٥٧.

خلال الكتابة لزوجها أن يكره من أحب عليها، أو أن يكتب له من أجل أن يعود إليها ويحبها بعد أن نفر منها، والحقيقة أنه وبالرجوع إلى كثير من القضايا التي عالجناها من هذا النوع وجدنا أن المرأة عادة عندما يحصل معها خلاف مع زوجها تحاول أن تفتش عن أسباب ذلك في كل الأماكن إلا نفسها، في حين أنها لو دققت لوجدت خاصة فيما لو كان زواجهما منطلقاً من حب سابق أن الأسباب كامنة فيها هي، فقد تغيرت كثيراً في معاملتها، فقد تركت مثلاً التزين له أو أهملته وأهملت الاعتناء به متذرعة مثلاً بالأولاد وانشغالات الحياة، أو تكون امرأة عاملة انصرفت إلى عملها ونسيت زوجها، فعندما تجد أن زوجها قد تغير تجاهها لا تفتش عن الأسباب الموضوعية لذلك وعن ما يمكن أن يكون سبباً واقعياً هي مسؤولة عنه، بل تحاول إلقاء التبعة على أمور كثيرة أخرى، فإذا وجدت أن هذه الأمور عند إصلاحها لم تحل المشكلة يوسوس لها الشيطان ويساعده في ذلك ما تسمعه من أقرانها بأنه ماذا لو كان زوجي مكتوب له؟ وتستلطف الفكرة، ثم تبدأ بالبحث عن الساحر المناسب وما أكثرهم فتلجأ إليه، وهو أي الساحر ومن دون أي وازع أو رادع من تقوى الله سبحانه وتعالى يعتبرها فريسة سهلة قد وقعت في براثنه فإذا به يستغلها تارة لابتزازها مادياً، وأخرى لابتزازها جنسياً، وهناك كثير من الحالات التي وردتنا من هذا النوع، ومنهن من كنا نساعدهن على الخروج من القضية قبل استفحالها، في حين أن بعضهن للأسف يكن قد وقعن في الفخ ثم أتين إلينا لنساعدهن في كيفية الخروج من المأزق الذي وقعن فيه.

إن العلاج لهذه المشكلة يكون أولاً من خلال اعتماد المنطق السليم في حل المشاكل، من خلال اللجوء إلى أهل الاختصاص في ذلك، وثانياً من خلال التفكير عن الأسباب الموضوعية لهذا الخلاف، لأننا إن عرفنا الأسباب سهل علينا معالجة النتائج، شرط عدم إهمال أي

عامل من العوامل التي ساعدت في نشوء المشكلة، ابتداءً من اتهام أنفسنا بأننا قد نكون سبباً أساسياً فيها، وثالثاً من خلال رفض فكرة اللجوء لهؤلاء الأشخاص الذين هم في غالبيتهم العظمى دجالون وبعضهم مُدَعون ونادراً ما تجد فيهم من هو من أهل التقوى ويمتلك هذه القدرة، علماً إن هذا العمل أساساً حرام شرعاً لا يجوز القيام به.

٢ ـ اللجوء للسحر لجلب قلب الحبيب:

في بعض الأحيان قد يقع الإنسان في حب شخص ما يجهد بشتى الأساليب للوصول إلى قلبه، ولكنه لا يوفق لذلك، فيحاول ولشدة ما يحب هذا الشخص التوصل إلى قلبه من خلال اللجوء إلى السحر والكتابة فيما أصطلح عليه بكتاب المحبة، ويبحث عن شخص يتقن ذلك فيسمع أن زيداً مثلاً الذي استطاع أن يُحَبِب فلاناً بفلانة يستطيع، وهو قد يكون فعلاً نجح في بعض الحالات صدفة، إما من خلال أن هذا الشخص قد أعجب بالآخر بعد أن لم يكن كذلك لأنه وجد أنه يحبه فعلاً من خلال الإلحاح الذي يبديه، أو بأن يساعده في توجيهه لبعض الأمور التي تلفت نظر الآخر إليه فيلتفت ويحبه، فيظن ذلك الشخص أن السبب هو الكتابة في حين أن السبب واقعاً هو إتباعه الإرشادات التي لو التفت إليها لكان وصل إلى قلب شريكه من دون الحاجة إلى اللجوء إلى هذا الساحر. المهم إنه بعد أن سمع عنه يلجأ إليه ليستكشف لاحقا أنه لم يستفد بشيء سوى أنه خسر وقته وماله وضيّع عمره في البحث عن وهم غير موجود، وهنا لا بد من الإلفات أن العاقل لا يلجأ إلى هذه الوسيلة إن صح أنها تحصل، لأنه بذلك يكون قد حصل على حب وهمي لا يلبث أن ينتهي ويعود البغض الذي كان موجوداً سابقاً، لذلك فإن المنطق السليم يقول بضرورة أن يكون الحب مستنداً إلى عوامل واقعية لا تزول مع الزمن بل تقوى وتترسخ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فهذا الفعل حرام أولاً لكونه سحراً غير جائز، وثانياً لكونه تصرفاً

في الآخرين من دون مبرر موضوعي وشرعي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى على كل من يريد أن يفعل ذلك أن يلتفت إلى الحديث الشريف الوارد عن رسول الله ﷺ حيث قال:

«الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»[1].

ومن خلال هذا الحديث الشريف نجد أن لا فائدة من كل وسائل السحر وغيره لجلب الحبيب إلينا، لأن هذه الأرواح إما أن تتعارف فتتألف أو تتناكر فتختلف، ولعل هذا هو السبب الموضوعي لما يسمى الحب من أول نظرة، لذلك فعلى الإنسان أن يتحلى ولو بقدر بسيط من العقل والمنطق ليعرف أن الأفضل له هو القيام بما يكون في دائرة المنطق السليم لإقناع الآخر بحبه له فإن لم يقتنع فلن يكون ذلك خسارة، بل لعل الله سبحانه وتعالى خبئ له في عالم الغيب الذي لا يعلمه إلا هو من هي أفضل له في حياته ومستقبله.

٣ ـ السحر وسيلة لابتزاز المال:

في بعض الأحيان تكون الكتابة وسيلة يستغلها الساحر لابتزاز المال من الذين يلجئون إليه، خاصة من أولئك الذين يمتلكون ثروات وأموال، وكثير منهم وقع فريسة أشخاص لا ضمير لهم ولا دين، وللاستفادة العملية أروي هذه القصة الواقعية كي تكون عبرة لمن يريد أن يعتبر، وكي تكون حاجزاً أمام الآخرين من الوقوع في مشكلة مشابهة.

وهذه المشكلة هي من المشاكل التي عالجناها وهي تعود لبنت مؤمنة لا تعرف شيئاً من الحياة سوى تلك النظرة المثالية لها، ولا تعرف عن المؤمنين سوى أنهم أولئك الأتقياء الأنقياء، ولا تتصور في ذهنها

(١) من لا يحضره الفقيه الجزء ٤ الصفحة ٣٨٠.

الطفولي البريء أن شخصاً متديناً من الممكن أن يكون كذلك ظاهراً في حين أنه في واقع الأمر منافق ومدعٍ للأيمان، لذلك فإنها وقعت في مشكلة نفسية ناتجة عن وقوعها في حب شخص وصل معها إلى حالة أن تواصل معها جنسياً ما أدى لافتضاض بكارتها، فطلبت منه الزواج فرفض، فلجأت إلى هذا الشخص المنافق واقعاً والمؤمن بحسب الظاهر ليساعدها في إجبار من اعتدى عليها ليتزوجها، وعندما عرف هذا الشخص أنها لم تعد بكراً وأنها ابنة عائلة غنية تكونت لديه الفكرة الخبيثة فأقنعها بأن تحبه وانه مستعد للزواج منها، بل إن زوجته كانت حاضرة معه لتقنعها بأنها ستكون أختها، ولكن وضعه المالي صعب جداً وبمجرد تحسن الوضع المالي سيُشهر زواجه منها، فاقتنعت تلك الباحثة عن حل لمشكلتها بذلك وابتدأت بتأمين الأموال اللازمة له من خلال الصندوق الذي تديره هي في متجر أبيها، وحيث أن الأب لا يراجع وراء أبنته وحيث أن المال المفقود وإن كان كبيراً جداً بالنسبة لهذا الشخص إلا إنه صغير جداً بالمقارنة مع غلة أبيها في اليوم الواحد، فصار هذا الشخص يغرف من مال أبيها ويُشبع غريزته من جسد هذه البنت المظلومة ودائما بتسهيل من زوجته التي شاركته في هذه المؤامرة، وبعد أن أصبح جاهزاً للزواج، فقد أشترى شقة فرشها بأحدث الأثاث الذي كانت زوجته الأولى هي التي تختاره والبنت كانت تعتبر ذلك تأكيداً على محبتها لها في حين أن الزوجة كانت ومن ضمن الخطة تفرش بيتها هي، واشترت له سيارة جديدة، وأمنت له مالاً ليفتتح به متجراً يؤمن فيه مستقبل العائلتين، في حين أنه كان يؤمن مستقبله هو وزوجته المخادعة، وبعد أن تم له كل شيء طالبته بالبر بوعده فما كان منه إلا أن ابتدأ بالتهرب منها فلجأت إلينا لتقول أنها ضحية عملية ابتزاز رهيبة، وفعلاً عندما سمعت منها قصتها بكيت عليها وتخيلت للحظة ماذا لو كانت أبنتي أو ابنة أخي الضحية لهكذا إنسان مخادع، ومن المعروف

أن هذه الجريمة هي ما يصطلح على تسميته بالجريمة الكاملة، لأنه لم يسرق منها أو من أبيها قرشاً واحداً، بل هي التي سرقت صندوق أبيها، ولم يأخذ قرشاً واحداً منها إلا برضاها، حتى ما أخذه من جسدها كان بعقد شرعي أمام الله سبحانه وتعالى وبرضا وقبول تامين منها، فعناصر الجريمة الكاملة متواجدة، فاستدعيناه وحاولنا جهدنا معه أن يعترف بفعلته ويبر بوعده، لكنه أنكر كل ما ادعته هذه الإنسانة المظلومة متهماً إياها بالجنون، وأنه كان يساعدها قربة إلى الله تعالى وأنه هو من كان يعطيها المال، وأنكر أن يكون على علاقة جنسية معها، ولأنه استعمل أسلوب الدهاء كان لا بد من الرد عليه بأسلوبه، فطلبنا منها أن تسجل له حديثاً حول الموضوع وزودناها بآلة تسجيل تساعدها على ذلك، وفعلاً حصلت منه على اعتراف واضح بكل ما اتهمته به، وعندما واجهناه به نزع عن وجهه قناع الحمل الوديع ليظهر على حقيقته في وجه المبتز الوضيع، وقال: كل ما فعلته معها كان برضاها وقناعتها التامين وأنه غير مستعد بالمطلق لرد قرش واحد لها. وهنا استعملنا معه أسلوب التهديد باللجوء إلى القضاء المدني وأقنعناه بأننا أبلغنا والدها بذلك وأنه سيرفع عليه دعوى في هذا الخصوص، لأن سلاحه الذي كان يحاربها فيه هو عدم استطاعتها أن تخبر والديها فماذا تقول لهما؟ هل تقول لوالدها أنها سرقته؟ أم تقول لأمها أنها كانت على علاقة جنسية مع هكذا شخص؟ فإذا به بعد أن فقد سلاحه هذا يدعونا إلى تسوية حبية، فتوصلنا إلى هذه التسوية وحصلنا منه على نصف ما أخذ وتابعنا علاج قضية هذه الأخت التي هي اليوم متزوجة من إنسان مؤمن تقي عرف كامل قصتها منا ورضي بها تعاطفا معها في البداية ثم من خلال العشرة أحبها حباً كبيراً وما زالا إلى اليوم عائلة من ثلاثة أولاد وزوجين متفاهمين.

لو أن هذه الأخت لجأت منذ البداية إلى علماء الدين أو لأهل الخير من أقاربها لما وقعت في حبائل هذا الماكر، ونأمل أن تكون هذه

القصة عبرة تستفيد منها كل أخت، فلا تقع فيما وقعت فيه هذه الأخت المظلومة.

٤ ـ اللجوء للسحر للبحث عن مال مسروق أو ضائع:

قد يضيع لشخص ما مال، أو قد يضيع له ولد، ولا يجد هذا المال أو الولد، وتضيع به السبل فيحاول بطريق أو بآخر الوصول إلى ضالته من دون جدوى فلا يحصل على شيء، ثم يرشده أحدهم إلى فلان الذي يكتب السحر ويمكن له من خلال ذلك أن يساعده على الوصول إلى المبلغ الضائع، وهنا تبتدئ المعاناة خاصة إن كان الضائع أو المسروق مالاً كثيراً فيكون سبباً للابتزاز المالي، ويأخذ منه المبلغ تلو المبلغ ليكتشف أخيراً إن المال الضائع قد زاد إليه بسوء تصرفه المبالغ التي سرقها منه هذا الساحر. ولو توقف الأمر عند هذا الحد لهان، ولكن المشكلة أن يقول له إن فلاناً هو الذي سرق المال، وتشتد المسألة خاصة عندما يكون هذا الشخص قريبٌ له، لتنتشر العداوة في الأهل والأقارب، وكثيراً ما كان يأتينا شخص ما متهماً لأخيه أو زوجة أخيه أو أحد أقاربه بأنه سرق له قطعة ذهب، لماذا؟ لأنه ذهب للساحر الفلاني الذي فتح له «المندل» كما يقولون ووجد انه هو السارق، ونتعب كثيراً معه لإقناعه أن هذا لا قيمة له وهو أمر محرم من الناحية الشرعية ولا يجوز بل لا يمكن الاستناد إلى ذلك في الاتهام، ومع إصراره نطلب من الآخر أن يقسم اليمين الشرعي على نفي هذه التهمة وتنتهي القضية المتعلقة بالسرقة عند هذا الحد، ولكن تبقى مشكلة الاتهام التي تورث العداوة بين العائلتين إلى الأجيال القادمة، وهنا نحاول أن نُفهم المتهم أن يستوعب الموضوع، فإن الشيطان وسوس لقريبه بذلك وساعده كيد هذا الساحر الملعون، ونطلب منه أن يُقدر الظروف وفي كثير من الأحيان نصل إلى نتيجة ولكن في بعض الأحيان يكون الجرح عميقاً ولا نصل إلى حل، خاصة إن كان المبلغ زهيداً لا قيمة له، فيقول هذا

الشخص أمن أجل ذلك جعلني أقسم يميناً واتهمني؟ ألم يراعِ حق القرابة والعشرة؟ نعم هذا جرح عميق يصعب علاجه، ولكن في نفس الوقت يمكن تجاوزه بشيء من التفهم، وكان من الأفضل أن لا يُوقع نفسه بذلك من خلال عدم تصديق الساحر، أو على الأقل أن يُعمم التهمة لكل من كان في المكان وقتها ويطلب اليمين منهم جميعاً فلا يُغضِب أحداً لأنه ليس متهماً بشكل مباشر، والأفضل من ذلك كله عدم اتهام أحد بلا بينة وترك الأمر لله ﷻ فهو القادر على إعطاء الحق وإرجاعه له إن لم يكن في الحياة الدنيا ففي الآخرة وهو أفضل.

٥ ـ اللجوء للسحر من أجل الطبابة:

عندما ييأس الإنسان من علاج لمرضه فإنه يتعلق بأي أمل يلوح في الأفق يظن أنه من خلاله يمكن أن ينقذ نفسه من موت محتم من الناحية العلمية الطبية، خاصة أولئك الذين يبتلون بمرض عضال كالسرطان أو السيدا، والحقيقة هنا إنه من الصعب إقناع الشخص الذي هذه حالته بعدم اللجوء لهذه المحاولة، ذلك أنه لن يخسر شيئاً من ورائها، ولكن الذي يجب أن يتنبه له هو أن لا يترك الإنسان الطبابة العلمية واللجوء كلياً إلى هذه الأمور المحرمة من الناحية الشرعية، وهنا نقول لهذا الإنسان إنك على أعتاب الانتقال إلى الحياة الأخرى إلى لقاء الله سبحانه وتعالى وعليه يجب أن لا تلجأ إلى ما هو محرم من الناحية الشرعية لأنك لو مت على هذا الحال وكان آخر عهدك في الدنيا هو عمل محرم فإن الله ﷻ سيحاسبك حساباً عسيراً، بل الأفضل أن تُسلم بقضاء الله سبحانه وتعالى وتلجأ إلى الطب من جهة، والدعاء وقراءة القرآن الكريم من جهة أخرى، ولا مانع من الناحية الشرعية من اللجوء إلى من يستخدم الأدعية والرقى وقراءة القرآن الكريم كوسائل علاج إيماني روحي فإن ذلك واردٌ شرعاً. فإن الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم:

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾[1].

فالقرآن كما قال الله سبحانه وتعالى هو شفاء للإنسان المريض لذلك لا يعتبر اللجوء إلى الإستشفاء بالقرآن من السحر، بل إن فَعَل ذلك تصديقاً لما ورد في القرآن الكريم يعتبر دليلاً على الإيمان الحقيقي لهذا الشخص، ما يساعد على تدخل إلهي غيبي في شفائه، وكثيرة هي الحالات التي عرفناها وكان فيها علاج الإنسان من مرضه مستحيلاً من الناحية العلمية وتم له الشفاء من خلال اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى، ومن ناحية أخرى كنا نرى كثيراً ممن لجأوا إلى السحرة والمشعوذين أنهم لم يحصلوا على شيء بل تدهورت حالتهم، خاصة اولئك الذين تركوا العلاج الطبي إستنادا إلى هذا الوهم.

ومن المؤسف أن هؤلاء المشعوذين الذين لا يخافون الله سبحانه وتعالى يستغلون حالة من يقع في براثنهم بهكذا سبب ويبتزونهم مادياً ويحصلوا منهم على مبالغ طائلة، تصل في بعض الحالات إلى حد تكوين هذا الساحر ثروة كبيرة من هذا المريض المسكين ولعله لو دفع هذه المبالغ للفقراء أملاً في تدخل إلهي غيبي في شفائه لكان وصل إلى ما يريد من الشفاء في الدنيا، وإلا فإن هذه المبالغ ستتحول إلى نور في قبره ويُدخله الله سبحانه وتعالى بسببها إلى الجنة التي وعد بها أوليائه المتصدقين.

٦ ـ اللجوء للسحر لمعرفة المستقبل:

يعتبر المستقبل كواقع مجهول إضافة إلى حب الفضول عند الإنسان من الأسباب التي ساهمت في تنوع أشكال التنجيم والتبصير والتكهن

---

(١) سورة الاسراء، الآية: ٨٢.

وانتشارها بين الناس منذ قديم الزمان، بل إن السبب الرئيس في صمود هذه العادات والظواهر واستمرارها عبر القرون ناتج عن سعي الإنسان الدائم لمعرفة المستقبل الذي يتوجس دائماً منه، حتى بات هؤلاء السحرة والمنجمون والمبصرون ملجئاً لكثير من السياسيين فضلاً عن الناس العاديين، وأصبح أولئك الذين يتقنون فن الدجل من المقدمين في المجتمعات تلجأ إليهم الناس ويُعرّف عن بعضهم في وسائل الإعلام بالعالم الروحاني وهو أبعد ما يكون عن العالِمية فضلاً عن الروحانية، بل هو إنسان مدعٍ وكاذب وفي التعبير الشرعي هو إنسان كافر عندما يخبر على نحو الجزم بان هذا الأمر أو ذاك سيحدث في هذه السنة، لذلك يجب على علماء الدين التصدي لهذه الخرافات والأكاذيب التي تسبب في حرف المجتمع والناس عن عناوين الإيمان الحقيقي، والمشكلة أن هذا المدعي يُصدر كتاباً، أو يتحدث في وسيلة إعلام فيطرح عشرات الأمور المتوقعة ثم يصادف أن يحدث أربعة أمور منها أو خمسة، فإذا بالناس تركز على ما صادف معه وقوعه وتنسى عشرات الأمور التي لم تحصل، مع العلم انه لو التفت إلى ذلك لعرف أن النسبة الأكبر لعدم حصول ما تحدث عنه خير دليل على كذبه وعدم صحة ما يقول، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن هناك نوع من الغش تمارسه وسائل الترويج الإعلامي والإعلاني لهذا الشخص، حيث أنه يقول مثلاً أنه سيموت في هذه السنة شخصية سياسية مهمة ومن المعروف أنه ومن ناحية علمية ونتيجة للعدد الكبير للسياسيين في العالم أنه يموت عادة في السنة عددٌ لا بأس به من الشخصيات، فإذا به يعلن عند أول وفاة لشخصية سياسية أنه صدق في توقعاته وأنه منجم ناجح، في حين أن هذه الصدفة ناتجة بحسب حساب الاحتمال عن دراسة واقعية تقول أن عشرة آلاف سياسي موجودون مثلاً في منطقة الشرق الأوسط سيتوفى منهم كل سنة على الأقل كذا، وفي مجال آخر يقول أن حدثاً كونياً

سيحصل في هذه السنة ومن المعروف علميا أن الكرة الأرضية تتعرض سنوياً لكثير من الظواهر الكونية أو الحوادث الجيولوجية أو الفلكية كالزلازل والخسوف والكسوف والفيضانات، ولا تجد سنة من السنوات لا يحصل فيها مثل هذه الأمور فإذا حصلت أدعى أن ذلك عائد إلى ذكائه وعلمه الكبيرين.

ومن المؤسف أنك ترى بعض الشخصيات خاصة السياسية التي يفترض أن تكون من الشخصيات الواعية والذكية والتي تتمتع بمصداقية تراها تلجأ خاصة في الأزمات السياسية إلى هؤلاء، وكثيراً ما اتخذوا مواقفهم بناء للكلام الذي يقوله هذا المنجم أو ذاك، وقد اكتشف أن كثيراً من هؤلاء المنجمين تخترقهم أجهزة المخابرات الدولية خاصة المعادية منها، ويعرفون من خلالهم كثيراً من أسرار السياسيين الذين يلجئون إليهم كونهم يزودونهم بكثير من المعلومات الشخصية والسياسية والأمنية لمعرفة ما يحصل في المستقبل، فتعرف الجهة المخابراتية ماذا يحصل في كواليس السياسة، وتوجه المنجم لإعطاء هذا السياسي إيحاءات تساهم في تعميق أزمات معينة، ما يساهم في إضعاف المجتمع الذي يجب على هذا المنجم المساهمة في حمايته فإذا به يكون سبباً في دماره.

باختصار إن موضوع السحر بكافة أشكاله يعتبر من الناحية الشرعية عملاً محرماً لا يجوز تعاطيه ولا يجوز للإنسان المؤمن اللجوء إلى هؤلاء الأشخاص، ويعتبر التصديق بأن هناك قدرة لهذا المنجم أو الساحر أو المسخر للجن بأن يعرف الغيب أو تغيير المستقبل المكتوب كفراً بالإسلام وبالله العلي العظيم، لذا فإنه من الناحية الشرعية لا يجوز التساهل مع هؤلاء الأشخاص ولا بد من توضيح الحكم الشرعي للناس كي لا تقوم قائمة لهذه الفئة الضالة من الناس التي تساهم في إعاقة مجتمعاتنا عن التطور والرقي، ونحن عندما نقول بأن ممارسة السحر

حرام فإن ذلك يشمل تعلمه وتعليمه، فإنه من الناحية الشرعية لا يجوز ذلك، والأجر المأخوذ بسبب هذا العمل هو سحت تماماً كثمن الميتة والخمر، نعم في بعض الحالات الخاصة يجوز تعلمه كما في حالة انتشار السحر واستغلاله في حرف الناس عن الدين فيجوز التعلم لصد هؤلاء الأشخاص وإبانة كذبهم لعامة الناس، والأمر الآخر الذي يجب الالتفات إليه أن هذه المجموعة الضالة من الناس تستعمل هذه الوسيلة لابتزاز الناس، حيث أنهم يطلعون على أسرارهم فيتخذونها سببا للابتزاز، فإما أن تعطيه ما يريد من مال أو يفضحك أمام من أسررت له عنه، كالزوجة التي تتحدث مع هذا الساحر عن أمر اقترفته فإذا به يستغل هذه الحادثة من أجل الابتزاز المالي أو الجنسي، وكثيرة هي هذه الحالات من هذا النوع، وكثيرة هي الاغتصابات التي قام بها هؤلاء السحرة بامرأة لجأت إليه، فإذا به يستغل ضعفها وجهلها وصغر عقلها ويوقعها بحبائله الشيطانية. وهناك حالة حصلت مع امرأة لجأت إلى من يكتب لها لكي يحبها زوجها فأقنعها أن الكتابة لكي تعطي مفعولها لا بد من أن تكون على فرجها فكشفته له وأستغل الموضوع من خلال الأجواء الحميمة واعتدى عليها، فيجب التنبيه إلى خطر هذا الصنف من البشر على الدين والمجتمع والناس.

٢

الأحلام تقود حركتنا

تعريف الرؤيا:

الرؤيا والمنام والحلم مفردات لمعنى واحد من الناحية اللغوية، وإن ميز البعض بينها في بعض الخصوصيات من الناحية الاصطلاحية، المهم أن المعنى اللغوي لمفردة الرؤيا كما في مجمع البحرين:

«ما يرى في المنام»[١].

أما الحلم فمعناه كما في لسان العرب:

«حلم: الحلم والحلم: الرؤيا، والجمع أحلام. يقال: حلم يحلم إذا رأى في المنام»[٢].

أما المنام فمعناه كما في المنجد في اللغة والأعلام:

«جمع منامات ومعناه النوم وموضعه والحلم»[٣].

هذا من الناحية اللغوية أما حقيقة الرؤيا في الاصطلاح الشرعي

---

(١) مجمع البحرين الجزء ٢ الصفحة ١٢١.

(٢) لسان العرب الجزء ١٢الصفحة ١٤٥.

(٣) بحار الأنوار الجزء ٥٨ الصفحة ١٩١.

فقد ورد أن ما نراه في المنام في القرآن الكريم بعدة مفردات هي على الشكل التالي:

فقد ورد ما نراه في المنام بلفظ الرؤيا مستقلاً عن غيره من الألفاظ الأخرى وذلك في قوله سبحانه وتعالى:

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾(1).

وكذلك في قوله سبحانه وتعالى:

﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾﴾(2).

وكذلك في قوله سبحانه وتعالى:

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾(3).

وورد ما نراه في نومنا أيضاً بلفظ المنام وذلك في قوله سبحانه وتعالى:

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾(4).

وقد وردت في مكان آخر في حديث الله سبحانه وتعالى لنبيه محمد ﷺ حول إحدى معارك المسلمين وهي معركة بدر الكبرى وذلك في قوله سبحانه وتعالى:

---

(1) سورة يوسف، الآية: ٥.

(2) سورة الصافات، الآيتان: ١٠٤ ـ ١٠٥.

(3) سورة يوسف، الآية: ٤٣.

(4) سورة الصافات، الآية: ١٠٢.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[1].

وقد ورد ما نراه في المنام بلفظ الحلم وذلك في قوله سبحانه وتعالى:

﴿بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾[2].

وقد مُيز بين مصطلحي الرؤيا والحلم بأن نسب الأول إلى الله والثاني إلى الشيطان على التفصيل الذي سيأتي معنا لاحقاً في طي البحث وقد ورد في هذا المعنى عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«الرؤيا من الله والحلم من الشيطان»[3].

وبالرجوع إلى القرآن الكريم يمكن أن نجد تفسيراً لما نراه أثناء نومنا انطلاقاً من قوله سبحانه وتعالى:

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4].

فالروح كما في الآية الكريمة حين المنام تصعد إلى بارئها، فإن أراد موتها أبقاها عنده وإن لم يرد موتها أرجعها إلى الجسد، وفي رحلتها هذه تخرج من نطاقها المادي إلى العالم الروحي فترى أموراً تارة هي كلام الرب لعبده وأخرى هي وسوسات الشيطان، وهذه هي

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٣.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٥.
(٣) المنجد في اللغة والأعلام ص ٨٤٨.
(٤) سورة الزمر، الآية: ٤٢.

المنامات. فالمنام هي أمور يراها النائم في لحظة خروج الروح من الجسد، وهي تنقسم إلى نوعين منها حديث الرب وهي الرؤى الصالحة، ومنها وسوسات الشيطان التي هي أضغاث الأحلام. وفي هذا المعنى روي عن أبي الحسن عليه السلام أنه قال:

«أن المرء إذا نام فإن روح الحيوان باقية في البدن، والذي يخرج منه روح العقل. فقال عبد الغفار الأسلمي: يقول الله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ إلى قوله: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[1]. أفليس ترى الأرواح كلها تصير إليه عند منامها فيمسك ما يشاء ويرسل ما يشاء؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: إنما يصير إليه أرواح العقول، فأما أرواح الحياة فإنها في الأبدان لا يخرج إلا بالموت، ولكنه إذا قضى على نفس الموت قبض الروح الذي فيه العقل ولو كانت روح الحياة خارجة لكان بدناً ملقى لا يتحرك، ولقد ضرب الله لهذا مثلاً في كتابه في أصحاب الكهف حيث قال: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾[2]، أفلا ترى أن أرواحهم فيهم بالحركات»[3].

والعبرة من هذا الحديث الشريف أنه يؤكد على أن الإنسان حال نومه تخرج من جسده روح العقل، وبالتالي فإن ما يراه في منامه من أمور يتلقاها من دون قدرة منه على تمييز الحق من الباطل فيها والخطأ من الصواب، ذلك أن الإنسان حال يقظته يستطيع من خلال حواسه أن يميز الحق من الباطل والصواب من الخطأ، ولكنه عند نومه تتعطل تقريباً جميع حواسه ما يؤدي إلى أخذ ما يعرض عليه من دون تمييز وهنا تفيد عصمة المؤمن من الشيطان عن غيره من الفساق والمنافقين.

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٤٢.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١٨.

(٣) بحار الأنوار الجزء ٥٨ الصفحة ٤٣.

أهمية الرؤيا:

لا يمكن لمسلم أن يقلل من أهمية الرؤيا وذلك لعدة أسباب، منها أن الرؤى أمر ورد في القرآن الكريم وكانت سبباً في كثير من المواقف التي اتخذها بعض الأنبياء عليهم السلام، وقد ورد في موضوع الرؤيا أنها مبدأ الوحي وبالتالي فإنها مصدقة ويجب الاعتماد عليها، ولكن هذا ليس صحيحاً على إطلاقه وذلك لما سيرد معنا أنه ليس كل منام صادق بل بعضها إن لم يكن أكثرها كاذباً، وما هو مبدأ الوحي إنما هو متعلق بالأنبياء عليهم السلام ورؤياهم وحي باعتبار أنهم معصومون من الشيطان وهذا باتفاق الأمة، ولهذا أقدم الخليل على تنفيذ أمر الله له في المنام بذبح ابنه إسماعيل عليه السلام، وعليه فإن رؤياهم لا يمكن قياسها على رؤى الناس بأجمعهم التي يجب أن تعرض على القرآن والسنة من خلال العلماء الثقاة وبناء عليه يعمل بمضمونها أو لا يعمل، ومع ذلك فإن هذا الموضوع يعتبر مهماً ولا يمكن تجاهله بل لا بد من دراسته على ضوء الشرع الإسلامي.

وإذا كان النوم يستغرق حوالي ثلث حياة الإنسان، على أساس أن الإنسان الطبيعي ينام في المتوسط لثمان ساعات، فإن الأحلام والرؤى المنامية لها حيز مهم تشغله في هذا الثلث، بحيث أن ذهن الإنسان النائم لا يكون في حالة سكون تام، فقد تثير المنبهات الخارجية أو العضوية الداخلية ألوانا من الصور الذهنية يراها النائم، وقد تنطوي على معان ذات دلالات، وإذا كان من الأحلام المنامية ما له صلة بمجريات النهار، وبما يرد على الذهن من الخواطر والأفكار في حال اليقظة، فإن منها ما له علاقة بما عاشه الإنسان من أحداث وخاصة من تجارب في حياته الماضية، وخاصة ما يكتسي منها سمة الانفعال والصدمة.

ويكفي أن للأحلام والرؤى المنامية من التأثير على مسار الحياة

اليومية للفرد ما لا يستطيع أن ينكره أحد، ثم إنه يمثل أحد ضروب المعرفة البشرية، الذي بإمكانه أن يساعد كثيراً على فهم الذات الإنسانية، ويسهم في إضاءة جملة من الزوايا المعتمة، واستكشاف كثير من مجاهل وخفايا الإنسان، هذا فضلا عن كون الأحلام والرؤى هي مواد تُستقى منها الأفكار، والصور، والمشاهد وغيرها من العناصر.

انطلاقاً من كل ما تقدم نرى أن البحث في موضوع المنامات أمر مهم يساعد في فهم أمر بات الشاغل الأكبر لحياة الناس في هذا العصر.

الرؤيا في القرآن الكريم:

وردت الرؤية في القرآن الكريم بعدة معاني منها ما ورد في سورة يونس حيث قال الله سبحانه وتعالى:

﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[1].

والرؤيا هنا أتت بمعنى البشرى ويدل على ذلك ما روي عن رسول الله ﷺ فيما رواه عنه أبو جعفر عليه السلام أنه قال:

«قال رجل لرسول الله (ﷺ) في قول الله عز وجل: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ قال: هي الرؤيا الحسنة يرى المؤمن فيبشر بها في دنياه»[2].

فقد جعل الله سبحانه وتعالى لنا بشرى في منامنا من خلال الرؤى الصالحة ومنها رؤيا الله سبحانه وتعالى والأنبياء والأئمة عليهم السلام والصالحين والشهداء رضوان الله سبحانه وتعالى عليهم، فإننا برؤيتهم ترتاح نفوسنا ونستبشر فيما نستقبله من أيامنا ونصر على الصمود في وجه كل المصاعب التي تقف بوجهنا من خلال تمسكنا بنهج الحق.

---

(١) سورة يونس، الآية: ٦٤.

(٢) الكافي الجزء ٨ الصفحة ٩٠.

وقد ورد في معنى الرؤيا ما ورد في كتاب الله العزيز من سورة يوسف حيث قال الله سبحانه وتعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1].

وفي هذه الآية الكريمة جاءت الرؤية بمعنى الحديث لأنها في واقع الأمر حديث كما بينا سابقاً، وهو إما من الله سبحانه وتعالى أو من الشيطان الرجيم.

وقد وردت الرؤيا بمعنى آخر في قوله سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[2].

والنجوى هنا هي كما في بعض الأحاديث، حديث الشيطان إلينا في منامنا عندما نرى ما نكره فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«إذا رأى الرجل ما يكره في منامه فليتحول عن شقه الذي كان عليه نائماً وليقل: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ ثم ليقل: عذت بما عاذت به ملائكة الله المقربون وأنبياؤه المرسلون وعباده الصالحون من شر ما رأيت ومن شر الشيطان الرجيم»[3].

فقد حدد لنا الإمام الصادق عليه السلام كيفية التعامل مع المنام عندما يكون فيه تدخل من الشيطان. والذي يهمنا في هذا المجال هو انه استعمل القرآن الكريم المنام والرؤية بمعنى النجوى.

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٦.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ١٠.

(٣) الكافي الجزء ٨ الصفحة ١٤٢.

أنواع ما نرى في المنام:

المنامات التي نراها ليست على نسق واحد، ولا هي دائماً تصدق أو تكذب، بل هناك أنواع مختلفة منها نبينها بحسب ما ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام. فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«الرؤيا على ثلاثة وجوه: بشارة من الله للمؤمن وتحذير من الشيطان وأضغاث أحلام»[1].

فقد حدد الإمام الصادق عليه السلام أنواع المنامات بثلاثة، بشارة من الله للمؤمن أو تحذير ووسوسة من الشيطان أو أنها لا هذا ولا ذاك ولا تعبر عن شيء إنما هي ناشئة من أوضاع كان يمر بها النائم في النهار قبل منامه أو أمر حدّث به نفسه طويلاً فبقي عالقاً في عقله الباطن ثم رآه في منامه. وهو ما سماه الإمام الصادق عليه السلام بأضغاث الأحلام.

ويمكن أن نصنف المنامات باعتبار الدافع لحصولها إلى أنواع خمسة، يمكن اختصارها على الوجه التالي:

النوع الأول: الرؤية الصادقة:

وهو ما يكون الدافع له خاطراً من الله سبحانه وتعالى، جعل الإنسان يراه من أجل أن يدفعه نحو أمر ما أو يردعه عن فعل ما، وهو لا يحتاج في حصوله إلى مقدمات تحصل معه في اليوم الذي يسبق المنام، بل قد لا يكون خاطراً على باله بالمرة، ولا يتوقعه في يقظته حتى يفكر فيه. ومن قبيل ذلك أن يقوي الله المؤمنين في مواجهتهم للكافرين، فيريهم في منامهم النصر على الأعداء والتقليل من قوتهم لدفعهم للمواجهة بشكل أفضل، كما حصل مع رسول الله صلى الله عليه وآله في أحدى غزواته حيث قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:

---

(١) الكافي الجزء ٨ الصفحة ٩٠.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[1].

فقد جعل الله ﷻ رسوله يرى في منامه أن العدو قليل يسهل النصر عليهم وبذلك استطاع المسلمون الانتصار في المعركة، وهذه الرؤية هي الرؤية الصادقة وهي كما في الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام:

«رأى المؤمن ورؤياه في آخر الزمان على سبعين جزءاً من أجزاء النبوة»[2].

فالمنام هنا رؤية صادقة كما رؤيا النبي ﷺ رؤية صادقة، وفي هذا المنام البشرى أو التحذير، وعليه يدور الكلام في هذا البحث في موضوع الإقدام والإحجام عن عمل معين بسبب المنام.

النوع الثاني: الرؤية بلا مقدمات ومبررات:

وهنا يرى الإنسان في منامه ما لا يكون له سبب يقتضيه، ولا يوجد له مقدمات في الحياة اليومية، ولا يكون من النوع الأول الذي يعتبر من الرؤى الصادقة بحسب معطيات يعرفها أهل التعبير من العلماء المتخصصون في هذا المجال، وهذه الرؤى قد تكون كما ورد معنا في التقسيم الأول أضغاث أحلام، وقد تكون إشارات لا بد من التنبه لها ولكن باللجوء إلى أهل الاختصاص في مجال تعبير المنامات.

النوع الثالث: الرؤية لما حدّثت به نفسك نهاراً:

وهنا تكون الرؤية ناتجة عن أمر شغل بال الإنسان قبل نومه وحدّث به نفسه طويلاً، حتى بات في عقله الباطن حاضراً بحيث عندما ينام ولا يعود هناك ما يشغل النفس من خلال الحواس تقفز الصورة المخزنة في

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٣ .

(٢) الكافي الجزء ٨ الصفحة ٩٠ .

العقل الباطن إلى الواجهة وتتحول إلى حلم، قد يضع النائم نفسه حلاً للمشكلة التي يواجه من خلال ما يتمناه ويكون في هذه الحالة مناماً سعيداً، أو قد يتصور وقوع المحذور الذي يخافه ويحدث نفسه به دائماً ويكون مناماً صعباً، وهذا ما اصطلح عليه بأضغاث الأحلام التي لا تعبير لها ويجب أن تهمل ولا يبني عليها الإنسان أي موقف في حياته العملية.

النوع الرابع: رؤيا من الأمراض والأخلاط:

عندما يكون الإنسان مريضاً خاصة عندما يصاب بالحمى فإنه بسبب هذا المرض يرى كوابيس، وهذه لا تكون مستندة إلى أية حالة يمكن الركون إليها، بل هي من قبيل أضغاث الأحلام التي لا قيمة لها ولا تعبر عن شيء في المستقبل، بل هي ناتجة من المرض الذي يعاني منه، فالمصاب بالحموضة أو بقرحه بالمعدة أو أي نوع من الأمراض أو الحريق دائماً يرى الأحلام المفزعة بالمنام، فيرى مثلاً أنه تردى من مرتفع شاهق، أو يرى حريقاً هائلاً شب في المكان الذي هو فيه فيرى الرؤيا المفزعة المروعة، وذلك ناتج عن حالته النفسية ومن الأمراض التي في جسده وهذا النوع من المنامات لا يفسر. ولا يتذكره الإنسان كاملا عندما يستيقظ وكذلك فإنه يستيقظ مفزوعا منه.

النوع الخامس: وساوس الشيطان (الحلم والكابوس):

وهذه الوساوس تتخذ أسماء، مختلفة منها الأحلام، ومنها الكوابيس. وجميعها قد تكون ناتجة عن مرض أو مشكلة نفسية أو أنها تُنتج في الشخص مشاكل وأمراض نفسية، وهنا يكون المنام تدخل من الشيطان في حياة الإنسان، على قاعدة أن الشيطان كما يزين لنا عمل الشر في يقظتنا، فإنه يستطيع التسلل إلينا في مناماتنا فيوقع في أنفسنا أننا يجب علينا الإقدام على هذا الفعل، الذي يكون في نفسه فعلاً شريراً ولكنه يزينه لنا ليصوره وكأنه فعل خير يجب الإقدام عليه، وهذا المنام

الذي يكون من وساوس الشيطان ينجح فيه الأخير في حرف غير المؤمن الواعي عن طريق الصواب، أما المؤمن فلا سبيل له عليه، وقد ورد في هذا المعنى قول الله سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾(١).

فقد اعتبر الله ﷻ أن حديث الشيطان لنا من خلال النجوى التي بينا سابقاً أنها من المنامات إنما تنفع مع غير المؤمنين، أما مع المؤمنين فإن الشيطان لا سبيل له عليهم لأنهم على ربهم يتوكلون ولا يعيرون أهمية لهذه المنامات ولا يربطون حياتهم بها، بل يربطونها بالمواقف المنطلقة من الحكم الشرعي، ومن التفكير العميق المنطلق من المنطق والعقل السليمين.

وبحسب ما تقدم معنا فإن الرؤيا للأنبياء حق، ولغيرهم من الصالحين تصدق في الغالب، وفيها تبشير ونذر وتوجيه وتطمين وتثبيت، وبعضها تكون واضحة لا تحتاج إلى تأويل، وبعضها تحتاج إلى ذلك، وبعضها لا تُعرف إلا بعد وقوعها. وأحد أهم علامات الحلم هو أنه محزن أو مخيف، لأن الشيطان الرجيم يكره الإنسان وبخاصة المؤمن كراهية شديدة ويريد أن يراه حزيناً.

والأحلام من الشيطان فيها كيد منه يفسد بها ويتلاعب على بني آدم إلا من عصمه الله تعالى، تعرفها بمخالفتها للكتاب والسنة وبإفسادها، كمن رأى رجلاً صالحاً يأمره بمعصية أو مخالفة، وهي تكثر عند الكفار والمنافقين ومن شابههم، وقد يحلم المؤمن وذلك قليل جداً وهو تحزين من الشيطان وليس بضارهم بشيء إلا بإذن الله.

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ١٠.

رؤى من القرآن الكريم:

للدلالة على أهمية الرؤى وتدخلها في الواقع العملي لحياة الإنسان فقد أورد القرآن الكريم عدة مواضع تحدث فيها عن رؤى للأنبياء، وكان لهذه الرؤى التأثير على السير العملي لهذا النبي، بل إن تأثيرها يتعدى الزمان والمكان الذي يعيش فيه النبي ليصبح حدثاً تاريخياً يسجل في صفحات التاريخ وتؤثر على المسار الإنساني ككل، وهذا الواقع الثابت هو ما يضطرنا للبحث لاحقاً في الإجابة عن السؤال المهم في هذا البحث ألا وهو: إذا كان الأنبياء عليهم السلام قد تصرفوا في حياتهم على أساس منامات ورؤى أليس من المنطقي كونهم قدوة لنا من أن نسير على خطاهم والتأسي بهم أن نفعل نحن كذلك؟ إن الإجابة عن هذا السؤال سنبينها في طي البحث. أما الآن فسأعرض لبعض النماذج لرؤى الأنبياء عليهم السلام، فقد تحدث القرآن الكريم في أكثر من موقع عن منامات وأحلام خاصة مع نبينا محمداً ﷺ والنبي يوسف عليه السلام وإبراهيم عليه السلام سأعرض لها بإيجاز من خلال ما يلي:

١ ـ رؤى النبي محمد ﷺ:

ورد في القرآن الكريم عدة آيات عن منامات لرسول الله ﷺ، منها ما ورد في رؤيا النبي ﷺ للمشركين من قريش يوم بدر أنهم قليل، وذلك تثبيتاً لرسول الله ﷺ ومن معه في حربهم. فقد قال الله سبحانه وتعالى:

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[1].

وفي آية أخرى الرؤيا التي رآها رسول الله ﷺ حول دخوله المسجد الحرام، وهي رؤية تحققت وكانت أيضاً تأكيداً من الله عز وجل

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٣.

وتأيداً منه بأن المسلمين سيفتحون مكة من بعد أن أخرجوا منها بضغط من قريش. فقد قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:

﴿لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[1].

كان رسول الله ﷺ قد رأى في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت، فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة فلما ساروا عام الحديبية لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا ستفسر هذا العام، فلما وقع ما وقع من قضية الصلح ورجعوا في عامهم ذلك على أن يعودوا من قابل ووقع في نفس بعض الصحابة رضي الله عنهم من ذلك شيء وسألوا الرسول عن هذا المنام فقال لهم: بلى رأيت هذا المنام ولكن لم أخبركم أنكم تأتونه عامكم هذا؟ وإنكم آتوه ومطوفون به، ولهذا قال تعالى: (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله) هذا لتحقيق الخبر وتوكيده، وقد صدق الله رسوله وعده ودخل المسلمون فاتحين ما يدل أولاً على أن رؤى الأنبياء كلها صادقة. وثانياً على أن الرؤية يمكن أن يكون لها دخل في التقديرات المستقبلية لأعمال مهمة في مستقبل الفرد أو الجماعة وهذه هي النقطة الأهم التي يدور حولها البحث. ومن ناحية ثالثة تدل هذه المسألة على أن حصول مضمون المنام إن كان صادقاً قد لا يكون تحققه مباشراً، بل يتعداه لفترة طويلة تصل في بعض الأحيان إلى سنوات طويلة.

وكتب الحديث والسنة تذكر جانباً كبيراً من منامات الرسول ﷺ، كمثل رؤيته لدار الهجرة قبل ذهابه إليها، وما أصاب المؤمنين يوم أحد

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٧.

من قتل، ورؤيته لبعض أصحابه الذين سيغزون بعد موته ويركبون البحر، ورؤيته عليه وعلى آله الصلاة والسلام لمفاتيح خزائن الأرض التي وضعت بين يديه، ورؤيته لجانبٍ من عذاب البرزخ، ورؤيته لعيسى عليه السلام وهو يطوف بالكعبة، ومشاهدته للمسيح الدجّال، ولموضع السحر الذي أصيب به، ولرجلين من مدّعي النبوّة في عهده. ونحن نقتصر على ما أوردناه كي لا ننحرف عن الهدف الأساسي من البحث ومن أراد الاستفاضة والاستفادة فليرجع إلى كتب السيرة النبوية الشريفة.

٢ ـ رؤيا النبي يوسف عليه السلام:

أما النبي يوسف عليه السلام فإن قصته كلها كما وردت في القرآن الكريم تتحدث عن موضوع المنامات فمن رؤياه هو عليه السلام أولاً، ثم رؤيا صاحبيه في السجن، ثم رؤيا عزيز مصر، كل هذه الآيات تؤكد على أن الرؤى والمنامات تتحدث عن أمور تحصل في المستقبل، ويمكن أن نعتمد على هذه الرؤى في المواقف التي نتخذها مستقبلاً، وهذا ما يدعوني للتوسع قليلاً في المنامات الواردة في قصة النبي يوسف عليه السلام كما وردت في القرآن الكريم. فقد قال الله سبحانه وتعالى:

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾[١].

لقد روى يوسف لأبيه عليهما السلام أنه رأى في المنام أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رآهما له ساجدين، وهذه الرؤية جعلت النبي يعقوب عليه السلام يخاف على أبنه يوسف عليه السلام المحسود من أخوته أن يكيدوا له، فطلب منه أن يكتم الأمر عليهم ويبقيه بينه وبينه وهذا ما ورد في القرآن الكريم حيث قال الله عز وجل على لسان يعقوب عليه السلام:

(١) سورة يوسف، الآية: ٤.

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾[1].

وهذا إن دل على شيء فإنه يدل أولاً على أن النبي يعقوب عليه السلام قد عرف من تأويل هذا المنام أن نبي الله يوسف عليه السلام سيصل إلى مرتبة عالية في حياته، وحيث أنهم يكرهونه ويحسدونه، وبما أن هذا الأمر أي تعبير المنام معروف أيضاً من قبل أخوته أو يمكن لهم الاستعلام عنه، فإنهم وبسبب الغيرة العمياء منه سوف يكيدون له كما فعلوا معه فعلاً، ولذلك طلب منه يعقوب عليه السلام كتمان الأمر عنهم. وثانياً إن المنامات يمكن أن تكون أداة إخبار حقيقية عن وقائع ستحدث لاحقاً.

وبالرجوع إلى القصة كما وردت في القرآن الكريم، فإن نبي الله يوسف يصل إلى مرتبة عالية يستوي فيها على عرش السلطة، ثم بعد أن غاب عنهم لفترة طويلة يعودون إليه ليتصور المشهد الذي رآه في منامه أمامه مرة أخرى، فأبواه الذين هم الشمس والقمر، وأخوته الذين هم الأحد عشر كوكباً، كلهم يحضرون في مجلس عرشه ما يؤدي إلى تحقق الرؤيا بالصورة التي حلم بها وقد صور الله سبحانه وتعالى هذا المشهد بقوله:

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[2].

وفي نفس السرد لقصة النبي يوسف عليه السلام يكون للرؤيا دور كبير، فهذا يوسف يشتهر عنه في السجن الذي أدخله فيه العزيز أنه يعبر الرؤيا،

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٥.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٠.

ويورد لنا القرآن الكريم قصة للعبرة لطيفة، وهي أن زميلين له في السجن كان أحدهما ساقي الملك والآخر خبَّازه وسبب حبس الملك إياهما أنهما تواطئا على سمه في طعامه وشرابه، وكان يوسف عليه السلام قد اشتهر في السجن بالجود والأمانة وصدق الحديث وحسن السمت وكثرة العبادة ومعرفة التعبير، ولما دخل هذان الفتيان إلى السجن تآلفا معه وأحباه حبا شديدا، ثم إنهما رأيا مناماً فأرادا منه تفسيره لهما، وكان أحدهما صادقاً بما يرويه والآخر كاذباً يريد اختبار ما يدعيه يوسف عليه السلام. فقد قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(١).

فإن أحدهما وهو الساقي قال له أني رأيت أصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فجنيتها وعصرتها في كأس الملك وسقيته إياها، وقال الآخر وهو الخباز إني رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها الخبز وأنواع الأطعمة وسباع الطير تنهش منه. فقال للأول أما العناقيد الثلاثة فإنها ثلاثة أيام تبقى في السجن ثم يخرجك الملك في اليوم الرابع وتعود إلى ما كنت عليه والرب المالك، وقال للآخر بئس ما رأيت أما السلاسل الثلاث فإنها ثلاثة أيام تبقى في السجن فيخرجك الملك فيصلبك فتأكل الطير من رأسك، فقال عند ذلك: ما رأيت شيئاً وكنت ألعب فقال يوسف عليه السلام: ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ۝٤١﴾، أي إن ما تسألاني عنه هذا تأويله وهو كائن لا محالة. وهذا المعنى هو ما أشار له القرآن الكريم من خلال قوله سبحانه وتعالى:

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْرًاۖ وَأَمَّا ٱلْأٓخَرُ فَيُصْلَبُ

(١) سورة يوسف الآية: ٣٦.

﴿فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾[1]. وهنا يفتح الأمر على أن تعبيره للأول عن منام حصل أمر نفهمه، فما بال ذلك الذي لم يرى وإنما اخترع مناماً، فكيف نفسر قول النبي عليه السلام له أن ما اخبره من تفسير واقع لا محالة؟ والجواب أنه قد يكون المنام حاصل فعلاً ولكنه أراد أن يتراجع كي لا يحصل التفسير وعرف النبي عليه السلام منه ذلك وقال له لا مجال لتغيير الواقع، أو أن هذا من معجزات النبي عليه السلام فيما علمه إياه الله عز وجل لإثبات المعجزة بتحقيق تفسير لرؤيا مبتدعة لأن من يريد الاستهزاء بالنبي ومعجزاته سيكون هذا مصيره. وهناك احتمال ثالث وهو أن من يدعي مناماً يرويه لآخرين وهو لا يكون قد رآه واقعاً فإن هذا المنام سيحصل وسنتعرض لهذه النقطة في طي البحث بإذن الله.

وكيف كان فإن ما حصل مع النبي يوسف عليه السلام في السجن تأكيد على أن المنامات تُخبر عن أمورٍ تحصل في المستقبل لكن الذي يجب أن يُعَبِرها يجب أن يكون شخصاً خبيراً عالماً في هذا الباب من العلم.

وبعد أن خرج ساقي الملك من السجن نسي موضوع النبي يوسف عليه السلام، إلى أن رأى الملك في منامه أمراً عجيباً فقد رأى في المنام سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان، ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبع أخر يابسات قد استحصدت وأدركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها، فاضطرب الملك بسبب هذا المنام فجمع الكهنة والمعبرين وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ﴾ فلم يستطيعوا حل رموز هذا المنام وعجزوا عن ذلك فما كان منهم إلا أن قالوا له إنها أضغاث أحلام لا يعرفون تأويلها. وقد عبر القرآن عن هذا الموضوع بقوله سبحانه وتعالى:

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٤١.

﴿سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾[1].

وهنا تذكر السجين السابق النبي يوسف عليه السلام وقدرته على تفسير المنامات فطلب أن يأخذوه إليه ليحصل منه على الجواب وهذا ما حصل وأجابهم النبي يوسف عليه السلام عن الحل لهذا المنام وقد نقل لنا القرآن الكريم تفسيره من خلال قوله سبحانه وتعالى:

﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾[2].

وهنا أجابهم النبي يوسف عليه السلام من أنه ستمر عليهم سبع سنوات يزرعون فيها ويحصدون بشكل طبيعي، ففسر البقر بالسنين لأنها تثير الأرض التي تأكل منها الثمرات والزروع وهن السنبلات الخضر ثم بعد، ذلك تأتي سبع سنوات عجاف لا يوجد فيها مواسم وهن البقرات العجاف اللاتي تأكلن السمان، وكان الحل أن يصار إلى أن يأكل الناس حاجتهم من حصاد المواسم السبع الخصبة، ويحتفظون بما سيحتاجون إليه في السنوات السبع العجاف، بعد أن يذروه في سنبله حفاظاً له من الفساد، على أن يكون ما يأكلونه في السنوات الأولى قليلاً ثم يأكلونه في السنوات العجاف والتي بعد نهايتها تعود الأمور إلى طبيعتها.

وهنا نرى أن هناك تدخلاً إلهياً بأن جعل الملك يُبصر هذا المنام ومن خلاله يصل إلى هدفين يريد تحقيقهما وهما:

١ ـ التمهيد لنبوة النبي يوسف عليه السلام:

---

(١) سورة يوسف، الآيتان ٤٣ ـ ٤٤ .

(٢) سورة يوسف، الآيات: ٤٧ ـ ٤٨ ـ ٤٩.

٢ ـ حماية الناس في ذلك الوقت من كارثة محققة بالمجاعة.

إن قصة النبي يوسف عليه السلام وما حوته من هذا الكم من المنامات تدل على أن تعبير المنام وتفسيره أمر من اختصاص أهل العلم، وإن المنامات في بعض الأحيان تخبر عن وقائع ستحصل مستقبلاً، يرينا الله إياها في منامنا كي نتنبه ونأخذ حذرنا، فنُقدم أو نُحجم بحسب ما هو الواقع الذي نتعامل معه.

٣ ـ رؤيا النبي إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام:

من الأمور التي أوردها القرآن الكريم في موضوع المنامات الحقة ما ورد في قصة نبينا إبراهيم مع أبنه إسماعيل عليهما السلام، فقد رأى النبي إبراهيم عليه السلام في المنام انه يذبح أبنه فتصرف على أساس أن هذا المنام هو أمر من الله عز وجل إليه، باعتبار أن الأنبياء لا يرون أضغاث أحلام وما يرونه هو حق وإلهام ووحي من الله عز وجل، وبالتالي فإنهم يتصرفون على أساس أن رؤياهم حق يجب الانصياع إليها. وقد نقل الله سبحانه وتعالى إلينا هذه القصة من خلال قوله سبحانه وتعالى:

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1].

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ أي لما شب إسماعيل عليه السلام وأصبح قادراً على فعل ما يفعله أبوه من السعي والعمل، قال: ﴿يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«رؤيا الأنبياء في المنام وحي»[2].

وإنما أعلم إبراهيم ابنه إسماعيل بذلك ليكون أهون عليه، وليختبر

---

(١) سورة الصافات، الآية: ١٠٢.

(٢) تفسير إبن كثير الجزء٤ الصفحة ١٧.

صبره وجَلَدَه وعزمه في صغره على طاعة الله وطاعة أبيه، وحيث أن إسماعيل عليه السلام هو أيضاً نبي فقد أدرك بشكل واضح أن ما رآه أبوه النبي عليه السلام أمر لا بد من تنفيذه، والمصلحة من وراء ذلك أمر يدركه الله سبحانه وتعالى، فسلم نفسه لأبيه ليفعل ما يريد، وكان الأمر تجربة يريد الله عز وجل من خلالها أن يعلم الناس معنى التضحية فقال إسماعيل عليه السلام: ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾ أي: امض لما أمرك الله من ذبحي، ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ أي: سأصبر واحتسب ذلك عند الله عز وجل وصدق عليه السلام فيما وعد ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ أي: فلما استسلما وانقادا إبراهيم امتثل أمر الله تعالى وإسماعيل يشاهد وجهه عند ذبحه ليكون أهون عليه ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ﴾ فنودي من خلفه فالتفت إبراهيم فإذا بكبش أبيض أقرن أعين .﴿قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾ أي قد حصل المقصود من رؤياك بإضجاعك ولدك للذبح .﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ﴾ قال ابن عباس:

«خرج عليه كبش من الجنة قد رعاها قبل ذلك أربعين خريفاً فأرسل إبراهيم ابنه واتبع الكبش، فأخرجه إلى الجمرة الأولى فرمى سبع حصيات، فأفلته عنده، فجاء الجمرة الوسطى، فأخرجه عندها فرماه سبع حصيات ثم فأفلته فأدركه عند الجمرة الكبرى فرماه سبع حصيات فأخرجه عندها ثم أخذه فأتى به المنحر من منى فذبحه»(١).

وقد بين لنا الله ذلك بقوله:

﴿قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧﴾(٢).

فإن تصديق النبي إبراهيم عليه السلام للرؤيا كان طبيعياً، وبالتالي فإن الجزاء له ولأبنه أن خلدت هذه الحادثة لتتحول منسكاً دائماً يقوم به

---

(١) جامع البيان الجزء ٢٣ الصفحة ١٠٤.

(٢) سورة الصافات، الآيات: ١٠٥ ـ ١٠٦ ـ ١٠٧.

المسلمون في حجهم، وما هو محل البحث أنه هل يعتبر المنام هنا من قبيل المنامات العادية، وبالتالي على المؤمنين أن يقوموا بالتزام ما يرونه في منامهم من أمور أو لا يجب عليهم ذلك؟ وكثيراً ما يسألني أناس عن أمور رأوها في منامهم ويريدون تنفيذها باعتبار أن ذلك أمر إلهي، والصحيح أن رؤيا النبي مختلفة عن رؤيا الناس العاديين، وبالتالي لا يجب شرعاً تنفيذ ما يراه الإنسان العادي في منامه، ولكن في نفس الوقت إن ما ورد من موضوع الرؤى في القرآن الكريم يدل على أن هذا العالم هو عالم حقيقي، ولكن المشكلة تكمن فيمن يميز بين المنام الذي هو رؤية من الله سبحانه وتعالى وبين غيرها من أنواع المنامات والتي قلنا أنها من مختصات أهل هذا العلم.

تدخل الشيطان في الرؤيا:

منذ أن عاقب الله ﷻ إبليس لعصيانه وطغيانه على الإرادة الإلهية برفضه السجود لآدم عليه السلام، والشيطان أخذ عهداً على نفسه أن يغوي بني آدم ويحرفهم عن الصراط المستقيم. وقد قال الله ﷻ كما ورد في القرآن الكريم:

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾[1].

فقد أخذ الشيطان لنفسه وسائل مختلفة للدخول على بني آدم يستطيع من خلالها حرفهم عن الصراط المستقيم، ومن هذه الوسائل أن يوسوس لهم في منامهم من خلال صور يُريهم إياها تزين لهم الباطل وتُكرههم بالحق، وبالتالي فإن الشيطان قد يُدخل على الإنسان في منامه ما يجعله حائراً في أي رؤية من معرفة أنها من وسوسة الشيطان أو أنها

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ١٦ ـ ١٧.

رؤية صالحة أراه إياها الله سبحانه وتعالى، وفي هذا المجال ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«إن لإبليس عوناً يقال له تمريج، إذا جاء الليل ملأ ما بين الخافقين»[1].

وتمريج هذا من أعوان إبليس، والظاهر أن اختصاصه أن يساعده في الليل وبخصوص موضوع المنامات. وقد سمي بهذا الاسم للمبالغة في إفساده وتخليطه فقد ورد في تفسيره كما في شرح أصول الكافي ما نصه:

«قوله: (إن لإبليس عوناً يقال له تمريح) تسمية بالمصدر للمبالغة في إفساده وتخليطه من المرج بالتحريك: وهو الفساد والاختلاط ومنه أمر مريج أي فاسد مختلط»[2].

فالشيطان على ما ورد في الحديث الشريف يسعى لخلط الأمور على النائم، فلا يعود قادراً على تمييز الصواب من الخطأ والحق من الباطل.

وفي نفس هذا المعنى ما ورد في القرآن الكريم من قوله سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[3].

وكما ورد معنا سابقاً فإنه وفي جملة من الأخبار الشرعية ورد أن المراد من النجوى في هذه الآية الكريمة وساوس الشيطان في المنام، والأحلام التي يراها فيه الإنسان. وبالتالي بات من الثابت أن الشيطان يدخل في منام الإنسان، وبالتالي لا نستطيع أن نعتبر أن كل منام نراه هو

---

(١) الكافي الجزء ٨ الصفحة ٢٣٢.

(٢) شرح أصول الكافي الجزء ١٢ الصفحة ٣١٣.

(٣) سورة المجادلة، الآية: ١٠.

أمر نستطيع البناء عليه شرعاً إذ لا نستطيع نحن بمفردنا من دون اللجوء إلى أهل الاختصاص التمييز بين المنام الذي يكون رؤية من بشائر الله إلينا وبين وساوس الشيطان ونجواه لنا.

بين رؤيا المؤمن ورؤية غيره:

قلنا إن الشيطان يعمل على أن يقعد للإنسان المؤمن صراط الله سبحانه وتعالى المستقيم، ولكنه لن يستطيع عليه إلا إذا مكّنه هذا المؤمن من نفسه، من خلال ترك المستحبات أو القيام ببعض الآفات لأن الله سبحانه وتعالى قال للشيطان:

﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾[1].

فلذلك من الصعب أن يُبتلى المؤمن الحقيقي بأضغاث الأحلام إذا ما كانوا قائمين بواجباتهم الشرعية وتاركين للمحرمات ومبتعدين عن المكروهات، خاصة تلك التي تكون مدخلاً للشيطان وسبباً لضعف الإيمان، وفاعلين للمستحبات الشرعية خاصة تلك التي تقوي الإيمان وتبعد الشيطان، إذ إنه يجب التنبه إلى أن فعل الواجبات وترك المحرمات لوحدها ليست كافية لعصمتنا من تدخل الشيطان في حياتنا، بل إننا بحاجة دائمة إلى تحصين أنفسنا منه من خلال فعل المستحبات وترك المكروهات.

وعندما نقول أن المعصومين عليهم السلام بمنأى عن وساوس الشيطان فهذا ليس بسبب شخصهم العظيم أي أنهم اكتسبوه لصفات بيولوجية، بل بسبب أن المستحبات عندهم واجبات والمكروهات محرمات، فلا مجال بعد هذا أن يكون للشيطان أن يكون له عليهم من سبيل.

---

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ٦٤ ـ ٦٥.

أما الكفار والمنافقون فإنهم يكونون عرضة للشيطان من خلال المنامات عبر تصوير أمور لهم يريد من ورائها إغراقهم في ظلمات الجهل، وذلك بسبب تركهم للواجبات فضلاً عن المستحبات وارتكابهم للمحرمات فضلاً عن المكروهات، وبكلام آخر يمكن لنا أن نقول إن الإنسان حاله في المنام حاله في اليقظة، فإن كان بعيداً عن الشيطان حال يقظته كان في المنام في منأى منه، أما إن كان في يقظته مستسلماً للشيطان وأوامره ووسوساته فإنه سيكون كذلك في حال منامه.

ومع ذلك قد يرى الكافر رؤيا صحيحة كما ورد في رؤيا كسرى في المنام زوال ملكه وظهور محمد ﷺ، أو رؤيا النمرود حين رمى إبراهيم الخليل عليه السلام في النار أنها روضة خضراء وفيها عين جارية فكان كذلك، ورؤية فرعون أنه دخل البحر وجنوده فغرقوا فكان الأمر كذلك. فهذه الرؤى هي إما تحذير لهؤلاء أو أنها ليست لهم بل لنبيِّهم وقومهم وبشرى لأمة النبي الذي سيأتي.

رؤية من أريد في المنام:

هل يستطيع الإنسان أن يتحكم في منامه فيرى ما يريد ولا يرى ما يكره؟ الحقيقة أن هذا الأمر قد ورد في الروايات ما يساعد عليه فإن هناك بعض الأعمال التي يعملها الإنسان كي لا يرى أحلاماً مزعجة، وهناك بعض الأعمال التي يعملها الإنسان كي يرى في منامه نبياً معيناً أو إماماً يريد رؤيته، فإنه يمكن لنا أن نرى الأنبياء والشهداء والصالحين، بل من نحب من أقاربنا إذا ما مارسنا أموراً معينة.

ومن المعروف أن رؤية الأنبياء والصالحين في المنام هي رؤية صحيحة فقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال له رجل من أهل خراسان:

«يا ابن رسول الله ﷺ رأيت رسول الله ﷺ في المنام كأنه يقول لي: كيف أنتم إذا دفن في أرضكم بضعتي، واستحفظتم وديعتي، وغُيب في ثراكم نجمي؟

فقال له الرضا عليه السلام: أنا المدفون في أرضكم، أنا بضعة نبيكم، وأنا الوديعة والنجم، ألا فمن زارني وهو يعرف ما أوجب الله عز وجل من حقي وطاعتي فأنا وآبائي شفعاؤه يوم القيامة، ومن كنا شفعاؤه نجا، ولو كان عليه مثل وزر الثقلين الجن والأنس، ولقد حدثني أبي، عن جدي، عن أبيه عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال: من رآني في منامه فقد رآني لأن الشيطان لا يتمثل في صورتي ولا في صورة أحد من أوصيائي، ولا في صورة واحدة من شيعتهم، وأن الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزءاً من النبوة»[1].

والشاهد الذي نريد الاستفادة منه في هذا الحديث الشريف هو أن الشيطان قد يدخل في منام المرء كما بينا، سابقاً ولكنه لا يستطيع أن يتمثل في صورة نبي أو إمام أو وصي لأن الشيطان لا يتمثل بهؤلاء الصالحين العظام.

وبالتالي فإنه وحيث أن الشيطان لا يتمثل بهؤلاء، فإن السعي لرؤيتهم يعتبر مسألة مهمة نستطيع من خلالها أن نتبين أموراً في مستقبل حياتنا إن وفقنا لرؤيتهم عليهم السلام فهل نستطيع أن نراهم في المنام؟ ورد الكثير من الأحاديث التي يمكن أن نستفيد منها أننا بقيامنا بأعمال معينة نستطيع رؤية الرسول ﷺ أو أحد الأئمة عليهم السلام، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام فيما رواه عنه سهل بن صغير أنه قال:

«سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من أراد أن يرى سيدنا رسول

---

(١) من لا يحضره الفقيه الجزء ٢ الصفحتان٥٨٤ ـ ٥٨٥.

الله ﷺ في منامه فليصل العشاء الآخرة، وليغتسل غسلاً نظيفاً، وليصل أربع ركعات بأربع مرات آية الكرسي وليصل على محمد وآله عليه وعليهم السلام ألف مرة، وليبت على ثوب نظيف لم يجامع عليه حلالاً ولا حراماً، وليضع يده اليمنى تحت خده الأيمن، وليسبح مائة مرة سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، وليقل مائة مرة: ما شاء الله فإنه يرى النبي ﷺ في منامه»[1].

ولم يقتصر الأمر عند رؤية النبي والأئمة عليهم السلام، بل يتعداه لرؤية شخص ما عزيز عليك تريد أن تراه، فقد ورد في هذا المجال عن الإمام الجواد عليه السلام ما نصه:

«جاء رجل إلى الإمام الجواد عليه السلام فقال له: يا أبن رسول الله ﷺ إن أبي مات وكان له مال ولست أقف على ماله، ولي عيال كثيرون، وأنا من مواليكم فأغثني، فقال أبو جعفر عليه السلام: إذا صليت العشاء الآخرة فصل على محمد وآل محمد، فإن أباك يأتيك في النوم، ويخبرك بأمر المال. ففعل الرجل ذلك فرأى أباه في النوم فقال: يا بني مالي في موضع كذا فخذه، واذهب إلى ابن رسول الله ﷺ فأخبره أني دللتك على المال، فذهب الرجل فأخذ المال وأخبر الإمام بأمر المال، وقال: الحمد لله الذي أكرمك واصطفاك»[2].

مع أنك تجد من يقول أن هذه واقعة خاصة فيها تدخل خاص إعجازي ليرى هذا الشخص أباه بقرينة أنه عندما رآه في المنام طلب منه أن يذهب للإمام ليخبره بما رآه، ولكن مع ذلك فإننا يمكننا الاستفادة من الحديث الشريف بأن هناك منامات يمكن لنا أن نراها بإرادتنا، وبالتالي فإن هذا الأمر موجود وعالم حقيقي ولكن نؤكد مرة أخرى أن الغوص فيه له أربابه وأهل الاختصاص فيه.

---

(١) بحار الأنوار الجزء ٧٣ الصفحة ٢١٤.

(٢) بحار الأنوار الجزء٥٠ الصفحة ٤٢.

بين الرؤيا الصادقة والكاذبة:

قلنا فيما سبق أن الرؤى على أنواع يجمعها عنوانان فهي إما رؤى صادقة أو رؤى كاذبة والعبرة في التمييز بينهما، والمعبر العالم هو الذي يقدر أن يميز بينهما تمييزاً دقيقاً، وكلما كان المعبر للمنام قادراً بشكل أكبر على التمييز بين الصادق منها وبين الكاذب، كلما كان عالماً أكثر من غيره. فالعبرة هي في امتلاك هذه الملكة وعدمها، وبالتالي لا بد من الرجوع إلى أهل العلم في هذا المجال.

وقد ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام إشارات لتمييز الصادق من الرؤى عن الكاذب منها، سواء من ناحية وقت الرؤيا أو من ناحية ظروفها الأخرى. ومن هذه الروايات ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام فيما رواه عنه أبي بصير أنه قال:

«قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك الرؤيا الصادقة والكاذبة مخرجهما من موضع واحد؟ قال: صدقت أما الكاذبة المختلفة فإن الرجل يراها في أول ليله في سلطان المردة الفسقة، وإنما هي شيء يُخيل إلى الرجل وهي كاذبة مخالفة لا خير فيها، وأما الصادقة إذا رآها بعد الثلثين من الليل مع حلول الملائكة، وذلك قبل السَحَر فهي صادقة لا تختلف إنشاء الله، إلا أن يكون جُنباً أو ينام على غير طهور ولم يذكر الله عز وجل حقيقة ذكره فإنها تختلف وتبطئ على صاحبها»(1).

ويلاحظ في هذا الحديث الشريف أن الذي يميز الرؤيا الصادقة عن الكاذبة هو وقت رؤيته، والأمر الثاني هو الظروف المحيطة من كون النائم جنباً لم يغتسل، أو من كونه نام على غير طهور، أو أنه نام من دون أن يذكر الله سبحانه وتعالى، وهنا نستنتج أن الذي يريد أن يفسر

(1) الكافي الجزء ٨ الصفحة ٩١.

المنام يجب أن يسأل عن كل هذه الأمور، فإذا لم يفعل فعلى ماذا اعتمد في تفسيره للمنام؟!.

من الأدلة على أن بعض الرؤى صادقة الآية الكريمة التي تحدثت عن البشرى، وفسرت البشرى بأنها الرؤيا الحسنة يراها المؤمن فيبشر بها في دنياه. ومن الروايات التي تؤكد وجود رؤى صادقة ما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«رؤيا المؤمن تجري مجرى كلام تكلم به الرب عنده»(١).

وعندما تكون الرؤيا كلام الله لعبده فهذا يعني أن هذه الرؤيا صادقة لا شك فيها.

أما الرؤى الكاذبة فقد سميت بأضغاث أحلام، والضغث كما في اللغة هو الحزمة من النبات تقطعها من الأرض فيختلط فيها الطويل والقصير الرطب الأخضر واليابس الأصفر. وقد ورد هذا التفسير كما في مختار الصحاح في تفسير مادة ضغث:

«الضغث قبضة حشيش مختلطة الرطب اليابس وأضغاث أحلام الرؤيا التي لا يصح تأويلها لاختلاطها»(٢).

ملخص الكلام أن الرؤى نوعان صادقة وكاذبة والعبرة في تمييزها عن بعضها الذي هو من اختصاص أهل العلم.

لماذا الرؤيا الكاذبة والصادقة؟:

السؤال الذي يتبادر إلى الذهن في موضوع الرؤية الكاذبة والصادقة هو لماذا جعلها الله كذلك؟ أليس ذلك مدعاة لأن يضيع الناس بين ما

---

(١) بحار الأنوار الجزء ٥٨ الصفحة ٢١٠.

(٢) مختار الصحاح الصفحة ٢٠٢.

هو بشرى من الله سبحانه وتعالى وبين ما هو من الشيطان؟! ألم يكن من الأفضل أن تكون كل الرؤى من الله سبحانه وتعالى فيعرف الناس ما يجب عليهم عمله؟ والحقيقة إن هناك أكثر من تفسير لهذا الأمر، ولكن ما يمكن أن نعتمد عليه هو ما ورد على لسان أئمتنا ﮓ، ففي توحيد المفضل عن الإمام الصادق ﮒ أنه قال:

«فكر يا مفضل في الأحلام كيف دُبر الأمر فيها فخرج صادقها بكاذبها، فإنها لو كانت كلها تصدق لكان الناس كلهم أنبياء، ولو كانت كلها تكذب لم يكن فيها منفعة، بل كانت فضلاً لا معنى له فصارت تصدق أحياناً فينتفع بها الناس في مصلحة يُهتدي إليها أو مضرة يُتحذر منها، وتكذب كثيراً لئلا يعتمد عليها كل الاعتماد»[1].

فندرك من خلال حديث الإمام الصادق ﮒ للمفضل أن لله حكمة في جعل المنامات على هذه الحال، فلا يمكن أن تكون كلها صادقة وهذا معناه أن يتحول كل منا إلى نبي يصله ما يجب عليه عمله من خلال الرؤيا من دون حاجة إلى رسول ورسالة، ولا يمكن أن تكون كلها كاذبة فتصبح الرؤى كلها أضغاث أحلام لا قيمة لها، وحيث أنها أصبحت كذلك فلا يجوز كما في الرواية أن يعتمد على المنامات كل الاعتماد، بعد أن كانت تصدق أحياناً وتكذب كثيراً، مما يعني أن كذبها أكثر من صدقها، وهذا ما يجعلنا نعود لنؤكد على أن النظرية ألتي يجب الاعتماد عليها هي ما الذي يميز صادق الرؤيا من كاذبها؟ وهذا ما لا يعرفه إلا الراسخون في هذا العلم.

شروط تحقق الرؤيا:

ما دام أن الرؤى فيها الكاذب وفيها الصادق فلا بد من معرفة

---

(١) توحيد المفضل الصفحتان: ٤٣ ـ ٤٤.

الأسس التي يُميز فيها بين الصحيح والكاذب، وقد ورد في كثير من الروايات عرض لبعض المؤشرات التي يستطيع فيها المرء التمييز بين الصحيح والفاسد. وسأعرض لبعضها بشكل موجز، وهي على الشكل التالي:

١ ـ من أول المؤشرات على وقوع المنام صحيحاً وقوعه وقت السحر، كما ورد معنا في الحديث السابق المتعلق بالرؤية المروي عن الإمام الصادق عليه السلام[١]. فأصدق الرؤى رؤى الأسحار فإنه وقت النزول الإلهي واقتراب الرحمة والمغفرة وسكون الشياطين، وعكسه رؤيا العَتَمة عند انتشار الشياطين والأرواح الشيطانية.

٢ ـ من المؤشرات التي تدل على صدق الرؤية هو وقوعها حال الظهيرة فقد ورد في خبر خروج الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء ما نصه:

«ثم سار حتى نزل العذيب فقال فيها قائلة الظهيرة، ثم انتبه من نومه باكياً، فقال له ابنه: ما يبكيك يا أبه؟ فقال: يا بني إنها ساعة لا تكذب الرؤيا فيها، وإنه عرض لي في منامي عارض، فقال: تسرعون السير والمنايا تسير بكم إلى الجنة»[٢].

وهذا الحديث الشريف يؤكد من خلال قول الإمام الحسين عليه السلام: «إنها ساعة لا تكذب الرؤيا فيها ...» أن الرؤى التي نراها وقت الظهيرة هي رؤى صادقة لا تكذب فيها الرؤى.

٣ ـ وهناك مؤشر على صحة المنام متعلق بكيفية النوم فيجب أن ينام على جانبه الأيمن كي يصح منامه فقد ورد عن ابن سيرين أنه قال:

«من نام على جنبه الأيمن فرأى رؤيا فهي من الله سبحانه وتعالى،

---

(١) راجع الحديث المروي عن الإمام الصادق عليه السلام الصفحة ٨٩.

(٢) بحار الأنوار الجزء ٥٨ الصفحة ١٨٢.

ومن نام على جنبه الأيسر أو على ظهره ورأى رؤية فإنها من قبل الأرواح، وربما يصح بعض ذلك، وما كان منها في منامه على بطنه فهو أضغاث أحلام»[1].

٤ ـ من المؤشرات المهمة على صدق المنام هو أن يكون النائم على طهارة، فيستحب أن ينام الإنسان على وضوء كي تكون الرؤيا صادقة صالحة إذا رآها، وبوضوئه لا يستطيع الشيطان أن يُريه رؤيا كاذبة. ويدل على ذلك نفس الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام التي قال فيها ما نصه: (إلا أن يكون جنباً أو ينام على غير طهور..)[2].

٥ ـ من المؤشرات على صدق الرؤية هو أن يكون الذي رآها صادقاً في أقواله وأفعاله، فكل ما كان كذلك كانت رؤياه صادقة، ومن كان كاذباً في حديثه كانت رؤياه كذلك. وقد تحدث الرسول صلى الله عليه وآله عن العلاقة بين صدق الحديث مع صدق الرؤيا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إذا تقارب الزمان لم تكذب رؤيا المؤمن، وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثاً»[3].

فبحسب الحديث الشريف هناك علاقة راسخة بين الرؤية وبين المواصفات الشخصية للنائم وعلى مفسر المنام أن يدرك حال من يفسر له لهذه الجهة قبل البدء بالتفسير. وهنا نلفت إلى ما مر معنا في قصة النبي يوسف عليه السلام مع صاحبيه في السجن، كيف أن من كذب في رؤياه تحققت هذه الرؤيا من قبيل أن الكاذب لا يفلح أبداً.

٦ ـ من شروط تحقق الرؤيا أكل الحلال فلا تصح رؤيا من نام

---

(١) الإشارات في علم العبارات الجزء ١ الصفحة ٦.

(٢) راجع الحديث المروي عن الإمام الصادق عليه السلام الصفحة ٨٩.

(٣) بحار الأنوار الجزء ٥٨ الصفحة ١٧٢.

على أكل الحرام، سواء أكان حراماً في ذاته كالميتة، أو في مقدمات الحصول عليه كالمغصوب بنفسه أو من خلال ثمنه.

٧ ـ من شروط تحقق الرؤيا المحافظة على الأمر الشرعي واجتناب ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ أي أن يقوم بالواجبات ويترك المحرمات.

٨ ـ من شروط تحقق الرؤيا أيضاً أن ينام الإنسان مستقبلاً القبلة، وأن ويذكر الله حتى تغلبه عيناه فإن رؤياه لا تكاد تكذب البتة.

٩ ـ ومن الشروط لتحقق الرؤية أن يأتي بالأوراد الثابتة عند النوم، ويسأل الله الخير بقوله مثلاً: «خيراً إنشاء الله سبحانه وتعالى»، فساعتئذٍ يرى ما يسره ويبتعد عن كل مكروه في منامه.

١٠ ـ من المشاكل التي تؤدي إلى كذب الرؤية، هو أن ينام الإنسان متخماً، في حين أن من نام بعد طعام معتدل لا يقع في محذور الرؤية الكاذبة.

١١ ـ ورد في بعض الروايات علاقة بين الرؤيا والفصول، فأكدت أن أصدق ما تكون الرؤيا في الربيع والصيف، وأضعف ما تكون في الخريف والشتاء.

أخيراً لا بد من التأكيد على أن هذه الأمور هي من قبيل ما يساعد على التفسير، وإن كانت لوحدها غير كافية في الحكم على المنام بأنه صادق أم كاذب، بل أمر هذا الموضوع متروك للعالِم الذي اطلع على الموضوع وتفصيلاته.

علامات أضغاث الأحلام:

لأضغاث الأحلام والرؤى الفاسدة علامات تعرف بها، منها أن النائم يرى في منامه مناظر متناقضة ومتداخلة، لا يُعرف أولها من آخرها، ولا علاقة بين حوادثها، ولا سياق واضحاً لها بل هي من قبيل

مجموعة المشاهد من أفلام متعددة لا جامع بين مواضيعها ضمت إلى بعضها كي يُشكل منها فيلماً جديداً.

ومن علاماتها أن بعض الناس يمرض فيرى في منامه ما يوافق مرضه، ومن علاماتها أن يرى مستحيلات لا يمكن أن تقع، أو يرى ما تحدّث به نفسه في اليقظة. فهي تفريغ لأحاسيس الإنسان وانعكاس لمشاعره وآلامه وآماله ومخاوفه وعقده النفسية وأفكاره الشاغلة له وغير هذا من خبايا العقل الباطن، و لا يتذكرها الإنسان كثيراً ولا يكون لها عادة تأثير كبير على حالته المزاجية وهي أشبه بالتخاريف.

أسس وقواعد تفسير الأحلام:

هنا ندخل في المسألة الأهم، وهي أنه كيف نفسر المنام تفسيراً صحيحاً كي لا نقع في مشكلة السير على ضوء نجوى الشيطان إن كان المنام الذي رأيناه من وسوساته، أو أن يكون المنام صحيحاً، ولكن التفسير الخاطئ يؤدي بنا إلى الوقوع في المحذور. وهنا سأعرض لبعض القواعد التي لا بد من مراعاتها كي يكون التفسير صحيحاً وهي على الشكل التالي:

١ ـ أن يكون المفسر مؤمناً خبيراً:

لا بد في المفسر كي يصح الرجوع إليه في هذا المجال من أن يكون خبيراً، فقد روي عن رسول الله ﷺ قوله:

«الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر، فإذا عبرت وقعت ولا تقصها إلا على وادّ وذي رأي»[1].

والوادّ بتشديد الدال اسم فاعل من الوُدّ، أي أن يكون من تقصها عليه محباً ودوداً لك. والمستفاد من الحديث الشريف أنه لا بد فيمن

---

(١) كنز العمال الجزء ١٥ الصفحة ٣٦٤.

نقص الرواية عليه من أن يكون محباً، وطبعاً لا بد من أن يكون ذا رأي في علم الرؤى والمنامات، وأن يكون وصل إلى مرحلة من العلم في هذا المجال حتى أصبح مجتهداً ذا رأي في هذا العلم.

والخوف من اللجوء إلى غير الخبير يكمن في أن بعض الروايات ذكرت أن الرؤيا تتحقق بحسب ما تفسر، وبالتالي إن فسرها المعبر خطأ فهذا يعني وقوعها كما قال، وبالتالي إن كان الأمر سيئاً فإنه سيضره فيما لو لجئ إلى الخبير فإنه سيفسره بطريقة أفضل، ولذلك قال النبي ﷺ:

«الرؤيا تقع على ما تعبر، ومثل ذلك مثل رجل رفع رجله فهو ينتظر متى يضعها، فإذا رأى أحدكم رؤيا فلا يحدث بها إلا ناصحاً أو عالماً»[(١)].

فمن الخطورة أن يستوضح صاحب الرؤيا أو يطلب تأويلها من أي أحد، فقد تكون سبباً في هلاكه أو وقوع الضرر به، فعليه ألا يسأل إلا من يثق بعلمه ودينه.

٢ ـ تفسير الرؤيا وتحقيقها:

ورد في كثير من الروايات أن المنام إذا أخبرت به أحد فإنه سيقع، وإذا أبقاه بينه وبين نفسه فإنه لن يقع خاصة إن كان المنام رؤيا قبيحة. فقد ورد عن رسول الله ﷺ في هذا المجال ما نصه:

«إذا رأى أحدكم الرؤيا الحسنة فليفسرها وليخبر بها، وإذا رأى الرؤيا القبيحة فلا يفسرها ولا يخبر بها»[(٢)].

وبالتالي لو أردنا أن لا يحصل ما نخاف من وقوعه مما حلمنا به فالطريق لذلك أن لا نخبر أحد بما رأيناه.

---

(١) بحار الأنوار الجزء ٥٨ الصفحة ١٧٥.

(٢) كنز العمال الجزء ١٥ الصفحة ٣٦٤.

٣ ـ أن يكون المفسر خاليا من الحسد والبغي:

كي يكون التفسير صحيحاً ولا يدخل فيه عوامل أخرى، كان لا بد من تحلى المفسر بمواصفات، منها كما في بعض الروايات أن يخلو من الحسد والبغي، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«الرؤيا لا تقص إلا على مؤمن خلا من الحسد والبغي»[١].

ذلك إنه لا بد من كون المفسر ناصحاً سليم الصدر من الموبقات، فهو إن كان باغياً أو حاسداً فسر الرؤية على أساس ما يوجب الضرر في الرائي لا على أساس ما هي واقعاً وهو ما يوجب ضرره وانقباض نفسه مما يسمع ما لا يوافقها من المكاره.

٤ ـ ما يجب على المفسر أن يقوله قبل التفسير:

يجب على مفسر المنام أن لا يستقبله من الرائي كيف كان، بل لا بد من أن يقول المعبر إذا قُصت عليه الرؤيا ما نقل عن رسول الله ﷺ أنه قال لأحدهم يريد أن يفسر مناماً رآه:

«خيراً رأيت وخيراً تلقاه وشراً توقاه وخير لنا وشر لأعدائنا الحمد لله رب العالمين أقصص رؤياك»[٢].

٥ ـ التمعن بالرؤيا:

لا يكون التعبير صحيحاً في أغلب الأحوال إن تسرع المفسر في تفسيره، بل لا بد من أن يمعن النظر في هذه الرؤيا ويحيط بكافة جوانبها، ثم بعد ذلك يفسرها له خاصة بعد أن يكون أخذ منه كافة المعلومات الضرورية للتفسير فلذلك ورد في أكثر من مورد أنه يستحب للمعبر أن لا يستعجل الجواب بل أن يتمعن بما يطرح عليه.

---

(١) الكافي الجزء ٨ الصفحة ٣٣٦.

(٢) كنز العمال الجزء ١٥ الصفحة ٣٨١.

٦ ـ معرفته بتفاصيل الشخص المفسر له:

حيث أن تفسير المنام الواحد يختلف باعتبار الرائي من شخص إلى آخر، كان لا بد من أن يكون المفسر ملماً بكل تفاصيل الشخص الذي يريد أن يفسر له المنام، خاصة تلك المعلومات المتصلة بنفس المنام ومضمونه، لذلك لا بد للمفسر أن لا يعبر الرؤيا قبل أن يعرف لمن هي وما هو جنس من يعبر له ومستواه الإجتماعي وحالته التفصيلية.

٧ ـ وقت التعبير:

يمكن أن نفسر المنام في أي وقت، ولكن ورد أنه يفضل أن لا يكون التفسير عند طلوع الشمس وغروبها وعند الزوال، فهذه أوقات يفضل الاجتناب عن تفسير المنام فيها.

٨ ـ أن لا يكذب صاحب المنام:

قد يقوم بعض الأشخاص بالإدعاء أنهم رأوا في منامهم كذا، وهم يريدون استغلال هذا المنام في سبيل فرض أمر ما على آخرين، ومن قبيل ذلك أن يقوم شخص بالطلب من آخر أن يفعل كذا لأنه رأى أباه في المنام يقول له أفعل كذا، أو قل لأبني أن يفعل كذا، وهو لا يكون قد رأى شيئاً ولكنه يريد فقط أن يلزمه بفعل هذا الأمر المطلوب له أصلاً ولا علاقة للمتوفى به، وهذا كذب حرام في الأصل وقد حذر النبي ﷺ منه فقد قال:

«عن رسول الله ﷺ أنه قال: من كذب في رؤياه أعطي شعيرة وكلف أن يعقد بين طرفيها، فيعذب أن يعقد بين طرفيها ولن يعقد بين طرفيها أبداً»(١).

---

(١) كنز العمال الجزء ١٥ الصفحة ٣٧٤.

وفي حديث آخر عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«إن أعظم الفرية أن يفتري الرجل على عينيه يقول رأيت ولم ير، ويفتري على والديه، أو يقول سمعني ولم يسمعني»[1].

كيفية تفسير المنام:

تأويل المنامات يكون على أنحاء متعددة، فقد يكون بدلالة من جهة الكتاب، أو من جهة السنة، أو من الأمثال السائرة بين الناس، وقد يقع التأويل على الأسماء والمعاني، وقد يقع على الضد والقَلْب (أي العكس) وهذا ما سنتوسع به فيما يلي:

١ ـ التأويل من كتاب الله:

من المعروف أن القرآن الكريم ليس كتاباً لتفسير الأحلام، ولا يجوز لنا شرعاً التعامل معه كذلك، ولكن هناك بعض الإشارات فيه يمكن الاستفادة منها للوصول إلى التفسير الأفضل إن وجد المعبر فيه شاهداً، كمن يرى نفسه في السفينة فيعتبر أن تفسير ذلك أنه سيقع بأمر يخيفه وسينجيه الله من ذلك قال تعالى:

﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَصْحَـٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَـٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾[2].

أو كتفسير الحبل بالعهد لقوله سبحانه وتعالى:

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾[3].

أي التزموا بعهدكم مع الله ﷻ. ومن هنا نستنتج ضرورة أن يكون المعبر ملماً بالقرآن الكريم كي يمتلك إحاطة شاملة في تفسير المنامات

---

(١) كنز العمال الجزء ١٥ الصفحة ٣٧٥ .

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ١٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

ومن كل الجهات. لذلك كان من الأصول في تعبير الرؤى الاهتمام بقراءة القرآن الكريم وحفظه ومعرفة أحكامه وتفسيره.

٢ ـ التأويل من الروايات:

ورد في الروايات كثيراً من المنامات التي تم تعبيرها من الأنبياء أو الأئمة عليهم السلام. وكذا ورد كثيرٌ من الصفات التي أطلقها النبي صلى الله عليه وآله أو الأئمة عليهم السلام، كأن تفسر رؤية الغراب بالرجل الفاسق لأن رسول الله صلى الله عليه وآله سماه فاسقاً. فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه:

«كره أكل لحم الغراب لأنه فاسق»[١].

ومثل هذه الرواية يوجد الكثير، لذا فإنه لا بد في المعبر من أن يكون أيضاً ملماً بالأحاديث الشريفة كي يكون قادراً على التفسير الدقيق. لذلك كان من الأصول الاهتمام بالسنة الشريفة حفظاً وفقهاً وعملاً بها ومعرفة الصحيح من الضعيف منها.

٣ ـ التأويل بالأمثال:

تعتبر الأمثال خلاصة تجربة الأمم، وهي غالباً ما تكون منطلقة من لسان حكيم، أو من تجربة إنسانية تم التوصل فيها إلى عبرة صارت مثلاً. ولربما كان بعض هذه الأمثال منطلقاً من أحاديث أنبياء وصلحاء وعرفاء، لذا فقد ذهب البعض إلى إمكان أخذ إشارات من بعض المنامات وربطها بالأمثال لإعطاء تفسير لها، كمن شاهد نفسه يحفر حفرة فيقع فيها أحد الأشخاص فهذا يعني أنه ينصب مكيدة لهذا الشخص، وأنه سيقع هو في حبائل مكره لأن المثل يقول: «من حفر حفرة لأخيه وقع فيها».

---

(١) علل الشرائع الصفحة ٤٨٥.

٤ ـ التأويل بالأسماء:

ذهب البعض إلى تفسير المنامات انطلاقا من معاني الأسماء التي يراها في منامه، كمن يرى شخصاً أسمه سعيد فيستدل على وقوع السعادة، وهذا النوع من التفسير لا أجد له مبرراً منطقياً معقولاً.

٥ ـ التأويل بالضد والقلب:

في هذا النوع من التفسير يعبر المفسر المنام بضده دائماً، فإذا رأى النائم أنه مات فإنه يفسره له بأنه ستكتب له حياة جديدة، وإذا ما رأى نفسه في المنام خائفاً فإنه يفسره له بأنه سيأمن من الخوف لقوله تعالى: ﴿...وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗا... ﴿٥٥﴾﴾[1].

وهناك بعض الروايات المنسوبة للإمام الصادق عليه السلام تحدد الأيام التي تفسر فيها الأحلام بضدها، فقد روى ألمجلسي رضوان الله تعالى عليه ما نصه:

«إن النوم في أول الشهر باطل، وفي الثاني والثالث بالعكس، وفي الرابع والخامس في التأخير، وفي السادس والسابع والثامن والتاسع كل ما رآه صدق، وفي العاشر كذب، وفي الحادي عشر والثاني عشر تأخير، وفي الثالث عشر والرابع عشر باطل لا خير فيه ولا شر، وفي الخامس عشر صدق، وفي السادس عشر والسابع عشر يؤخر تعبيره، وفي الثامن عشر والتاسع عشر صدق، وفي العشرين والواحد والعشرين كذب، وفي الثاني والعشرين والثالث والعشرين فرح وسرور، وفي الرابع والعشرين على العكس، وفي الخامس والعشرين والسادس والعشرين أيضاً ينعكس، وفي السابع والعشرين والثامن والعشرين صحيح، وفي التاسع والعشرين والثلاثين صدق»[2].

---

(١) سورة النور، الآية: ٥٥.

(٢) دار السلام الجزء ٣ الصفحة ٧٦.

وعليه فإن المتحصل معنا هو أنه يمكن الاعتماد على التفسير بالآيات والروايات من دون إشكال، ويجوز الاعتماد على الأمثال وإن كان بنسبة ضعيفة، أما غيرها فلا أجد لها مستنداً يمكن الركون إليه، ولذلك كان لا بد من أن يكون المفسر عارفاً بالقرآن وبالأحاديث بشكل جيد يمكِّنه من التفسير بشكل أصح وأدق.

كيف نتعامل مع المنام المزعج؟:

كثيراً ما نرى في منامنا ما يزعجنا ويؤرق ليلنا ويمنعنا من النوم فماذا نفعل والحالة هذه؟ فإذا رأى الإنسان في منامه رؤيا أزعجته فعليه أن يقوم بما يلي:

١ ـ أثناء المنام:

لو انتبه في أثناء منامه حال الرؤية فإنه يجب عليه أن يغير طريقة نومه ويقرأ بعض آيات القرآن الكريم. فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«إذا رأى الرجل ما يكره في منامه فليتحول عن شقه الذي كان عليه نائماً وليقل: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ ثم ليقل: (عذت بما عاذت به ملائكة الله المقربون وأنبياؤه المرسلون وعباده الصالحون، من شر ما رأيت، ومن شر الشيطان الرجيم»[1].

والتحول عن شقه هو تغيير طريقة نومه، فإن كان نائماً على جنبه اليمين فلينتقل لجنبه الشمال والعكس صحيح.

٢ ـ بعد الاستيقاظ:

أما ماذا يفعل لو حصل له حالة الخوف مما رأى بعد استيقاظه؟

---

(١) الكافي الجزء ٨ الصفحة ١٤٢.

إن الوارد في الأحاديث عن أئمة أهل البيت عليهم السلام أنه إذا رأى الإنسان مناماً خاف منه على نفسه أو أهله فليتصدق، فإن الصدقة تدفع غضب الرب كما ورد في كثير من الروايات، وقد ورد في هذا المعنى عن الإمام الصادق عليه السلام فيما رواه عنه أبي ولاد أنه قال:

«سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: بكروا بالصدقة وارغبوا فيها، فما من مؤمن يتصدق بصدقة يريد بها ما عند الله ليدفع الله بها عنه شر ما ينزل من السماء إلى الأرض في ذلك اليوم إلا وقاه الله شر ما ينزل من السماء إلى الأرض في ذلك اليوم»[(١)].

وحيث أن المنام الذي رآه قد أزعجه وأخافه، وحيث أنه يتوقع بسبب ذلك حصول مكروه له نفسه أو ماله أو لأحد أفراد عائلته، وحيث أن الصدقة تدفع البلاء، فإنه يستحب والحالة هذه أن يتصدق بنية دفع البلاء ويُدفع عنه بإذن الله سبحانه وتعالى، وقد ورد في هذا المعنى عن الحسن بن علي الوشاء عن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه قال:

«سمعته يقول كان رجل من بني إسرائيل ولم يكن له ولد فولد له غلام وقيل له: إنه يموت ليلة عرسه، فمكث الغلام فلما كان ليلة عرسه نظر إلى شيخ كبير ضعيف فرحمه الغلام فدعاه فأطعمه فقال له السائل أحييتني أحياك الله قال: فأتاه آت في النوم فقال له: سل ابنك ما صنع، فسأله فخبره بصنيعه، قال: فأتاه الآتي مرة أخرى في النوم فقال له: إن الله أحيا لك أبنك بما صنع بالشيخ»[(٢)].

إن هذه الرواية وغيرها كما كثير من المجربات عند المؤمنين تؤكد على أنه في حال خوفك من أي شيء في المستقبل يمكن لك أن تستنجد بالصدقة فيدفع الله عنك ما هو مقدر من بلاء أو يلطف لك فيه.

---

(١) الكافي الجزء ٤ الصفحة ٥.

(٢) الكافي الجزء ٤ الصفحة ٧.

وقد ورد في بعض الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه قال لمن رأى في منامه أمراً يزعجه أن فليتفل عن يساره ثلاثاً وليقل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم لا يهتم لأمرها فإنها لن تضره. فقد ورد عن الحارث بن ربعي أنه قال:

«سمعت رسول الله ﷺ يقول: الرؤيا الصالحة من الله وإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب، وإذا رأى رؤيا مكروهة فليتفل عن يساره ثلاثاً، وليتعوّذ بالله من شر الشيطان وشرها، ولا يحدث بها أحداً؛ فإنها لن تضره»[١].

فيجب الاهتمام بأن لا نخبر أحداً بمناماتنا كيفما كانت وخاصة إذا كانت رؤية أخافته.

الوقت الفاصل بين المنام وتفسيره:

ليس من الضروري أن يكون تحقق المنام مباشرة بعد حصوله، بل يمكن أن يفصل بينهما فاصل طويل كما حصل في تحقق رؤيا النبي يوسف عليه السلام التي نقلها لأبيه، فقد حصل التحقق بعد أربعين سنة وقيل ثمانون. وقد يحصل تحقق المنام مباشرة، ففي حالة صاحبي السجن مع النبي يوسف عليه السلام فقد تحقق ما يقولون خلال ثلاثة أيام.

وهناك من قال بأن الرؤيا الردية تتحقق بسرعة بينما يبطئ تحقق الرؤيا الجيدة فقد قال النيسابوري:

«قال علماء التعبير: إن الرؤية الردية يظهر أثرها عن قريب لكيلا يبقى المؤمن في الحزن والغم، والرؤيا الجيدة يبطئ تأثيرها لتكون بهجة المؤمن أدوم»[٢].

---

(١) مستدرك الوسائل الجزء ٥ الصفحتان ١١٢ ـ ١١٣.

(٢) بحار الأنوار الجزء ٥٨ الصفحة ١٥٣.

المهم إنه ليس هناك ضابطة من حيث الوقت للفاصل الزمني بين رؤية المنام وتحققه.

أخطاء الناس في التعامل مع الرؤى والأحلام:

نتيجة لخوف الناس من المستقبل وما يمكن أن يحصل لهم أو لأهلهم، تراهم دائماً يلجئون لمعرفة المستقبل فيندفعون في تفسير مناماتهم بصورة تفتقد كل مقومات الوعي والإدراك، وهدفهم من وراء ذلك أن يقرروا كيفية التعامل مع الأمور التي سيواجهونها أو معرفة مستقبلهم، وهم في ذلك يقعون في أخطاء كثيرة قد تؤثر في البناء الفكري والعقدي والسلوك الفردي والاجتماعي للإنسان المسلم. إذ من الملاحظ أن هناك الكثير من الارتباكات والتخبطات الفكرية والنفسية والروحية والسلوكية يعيشها عدد غير يسير من المسلمين، ولا سيما من الشباب المسلم المتدين نتيجة انعدام الرؤية الواضحة عندهم في ما يتعلق بالغيب والغيبيات. وقد نقل العلامة الكراكجي في فوائده عن الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه كلاماً يلقي الضوء على ما نحن فيه حيث قال:

«إن الكلام في باب رؤيا المنامات عزيز، وتهاون أهل النظر به شديد، والبلية بذلك عظيمة، وصدق القول فيه أصل جليل»[1].

وهذا ما يؤكد أن هذا الباب من العلم لم يُطرق على النحو المناسب، ولم يتصدى له أهل العلم بالشكل المطلوب، بل إنهم تهاونوا فيه ولم يكترثوا إليه، ولعلهم أرادوا الابتعاد عن التصدي له لما فيه من بلية عظيمة، لذلك كان لا بد من الإلفات إلى الأخطاء الواردة في هذا المجال على ما تحصل معنا بحسب التجربة العملية، ولذلك يهمنا أن ننبه منها فيما يلي:

---

(١) كنز الفوائد الصفحة ٢١.

أولاً: الرجوع إلى من لا يفقه التفسير:

بمجرد ما يرى الإنسان المنام خاصة المزعج منها تراه لا يترك أحدًا إلا ويسأله عنها، وهو لا يهتم في أن يكون من يسأله من أهل العلم في هذا المجال، بل إنه يسأل أحيانًا جهالاً لا يفقهون فيها شيئًا. وهذا أمر كما بينا منهي عنه، وهذا علم لا يفقهه كل الناس، بل ليس كل علماء الدين على معرفة فيه بل هو اختصاص أناس محددين، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«إن الرؤيا تقع على ما عبر، ومثل ذلك مثل رجل رفع رجله فهو ينتظر متى يضعها، وإذا رأى أحدكم رؤيا فلا يحدث بها إلا ناصحًا أو عالمًا»[1].

ومن هنا يُعلم خطورة من نصب الإنسان نفسه مفتيًا في الرؤى، وهم في هذه الأيام كثر، وأكثريتهم العظمى جهلة لا يفقهون من التفسير شيئاً بل يتكلمون بتخمينهم وظنونهم، فأين هم من قول الله ﷻ:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[2].

فإن من يجب أن ندعوهم لتقوى الله وعدم الخوض في هذا المجال هم من يدعون العلم وهم أبعد ما يكونون عن ذلك، أكثر من العامة الذين يجب تحذيرهم من الوقوع في حبائل من يدعي علماً وهو إما جاهل مدع أو جاهل محتال.

ثانياً: الكذب في المنام:

من الأخطاء التي تقع في مجال الرؤيا هو أن يكون الشخص

---

(١) بحار الأنوار الجزء ٥٨ الصفحة ١٧٥.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

موجوداً في مجلس يتحدثون فيه عن منامات رأوها، بينما هو لم ير شيئاً، ويخطر في باله من باب أن يكون له دخل في الحديث أن يخترع مناماً رآه وهو لم يره مطلقاً، فيقع في مشكلة كبيرة إذ من أخطر الأمور التي يبتلى فيها في المنامات هو الكذب فيها، ففيه إثم عظيم، وقد أوردنا الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ الذي يتحدث عن الكاذب في المنام أنه يكلف أن يعقد بين شعيرتين[١].

ثالثاً: تقديس المنامات وصرف الوقت في الاهتمام فيها:

من المشاكل التي تحصل في عالم المنامات هو انشغال الناس بهذه الرؤى وتقديسها، وصرف الأوقات الكثيرة في تذاكرها والسؤال عنها، ولو سألت كثيراً من أولئك عن صلواتهم وبعض أحكام دينهم لرأيت ما يحزنك، ولا أدل على ذلك من واقع الناس اليوم، انظر إلى مجالس المعبرين ولقاءاتهم كم يحضرها، وكم يحضر مجالس تعلم أحكام الشرع والدين، ألا فاقدروا للأمر قدره فلا إفراط ولا تفريط.

رابعاً: دور وسائل الإعلام في نشر موضوع الأحلام:

كثرت في الآونة الأخيرة عرض الفضائيات لبرامج تفسير الأحلام، ومنها بعض الفضائيات الدينية مما زاد في إشغال الناس بهذا أكثر وأكثر، وإذا احتججت عليهم بأن ذلك قد يوقع العامة بمحاذير هم بغنى عنها رفضوا ذلك وتذرعوا بما ورد عن أن رسول الله ﷺ كان كثيرًا ما يسال أصحابه بعد الفجر: «من رأى منكم رؤيا؟»، فقد ورد أنه قال:

«كان إذا صلى بالناس الغداة أقبل عليهم بوجهه فقال: هل فيكم مريض أعوده؟ فإن قالوا: لا قال: هل فيكم جنازة أتبعها؟ فإن قالوا لا قال: من رأى منكم رؤيا يقصها علينا»[٢].

---

(١) راجع الحديث الشريف الصفحة ٩٨.

(٢) كنز العمال الجزء ٧ الصفحة ٥٠.

ولكن هذا لا يشكل رداً فإن من تتكلمون عنه هو رسول الله ﷺ، ولا يقاس عليه غيره، وقد كان في طور تنزّل الوحي، ومن ثم لم يثبت عن الأئمة عليهم السلام والصحابة رضوان الله تعالى عليهم أنهم أقاموا مجالس لتفسير الأحلام كما يحصل اليوم، نعم كانوا يجيبون عن سؤال الناس الذين يلجئون لهم، ولكن هناك فرق بين اللجوء إلى العالم واللجوء إلى الجاهل أو المشكوك علمه.

أما لماذا هذا الرواج لمثل هذه الأمور فإنه يعود لكثير من الأسباب أهمها: ضعف الإيمان والتوكل على الله والتعلق بالغيبيات لحل ما يعانيه الفرد في حياته، والضغوط التي يعاني منها كثير من الناس في حياتهم، وتضطرهم إلى التعلق بما يخلصهم منها ويزين لهم مستقبلهم فيعيشون على أمل رأوه في رؤيا أو حلم، ويطيلون الانتظار لما قد لا يأتي، أو يسعدون كثيراً بجميل أحلامهم و يغترون بها ورؤيا المؤمن بشرى من الله تسر الرائي ولا تغرّه.

خامساً: ما يعمل له لنشر بعض المنامات:

تنتشر بين الفينة والأخرى ورقةٌ مذكور فيها رؤيا لبعض الأشخاص معروفين أو مجهولين يدّعون فيها أن صاحب الورقة رأى أحد الأنبياء أو الأئمة عليهم السلام، ويذكرون فيها أنه طلب منهم أمراً ما ومن ذلك أن يقوموا بنشر الورقة لعشرة أشخاص مثلاً ومن لا يفعل ذلك سيصاب ببلاء ما، ويأتي الناس لسؤالنا عن شرعية هذا الأمر وهل يجب عليهم النشر أم يجوز لهم ترك ذلك؟ طبعاً هم يعتمدون على أن الذي رأوه في منامهم هو النبي ﷺ أو أحد الائمة عليهم السلام وهم كما بينا لا يتلبس بهم الشيطان فمن الضروري برأيه أن يلتزم بمضمون هذا المنام. لكن ومن الناحية الشرعية هناك إشكالات عدة:

منها: أنه من قال أن هذا الكلام من أصله صحيح، وأن ما رآه

هذا الشخص هو أضغاث أحلام لا تفسير لها أو وسوسة شيطان تهيئ له بعد رؤيتها لا حال الرؤية أن من رآه هو نبي؟

ومنها: من قال أن هذا الكلام من أصله صحيح وأن مدع ذلك كاذب في دعواه فلا يوجد منام ولا رؤيا بل هي مجرد فرية افتراها.

ومنها: وعلى فرض صحته من قال أنه خطاب للأمة يجب عليها الالتزام به؟ وهل هذا الذي يطلب منا ذلك يخبر عن الله فهو نبي أم هذا الكلام من عنده؟

ومنها: وعلى فرض وجود هكذا خطاب في المنام فهو خطاب له فردياً إن صح ولا يتعداه للطلب من الأمة.

ومنها: إن الإلزام الشرعي من خلال المنامات هو من اختصاص الأنبياء ﷺ ومن المعروف أن خاتمهم محمد ﷺ ولا نبي بعده فلا موجب شرعي للالتزام بما رآه فلان في منامه.

إن كل هذه الأمور التي تنتشر في هذه الأيام هي خزعبلات وأكاذيب لا تنتشر إلا عند الجهلاء، وبالتالي فإننا نحذر من مثل هذه الأمور التي تصل في بعض الأحيان إلى حد الكفر وادعاء النبوة والعياذ بالله، ذلك أن رسول الله ﷺ ما مات إلا والدين قد كمل، وأن أيّ مدّعٍ يدعي أنه اكتشف سُنة عبر منام فهو كاذب، فليس هناك سنة إلا وقد بينها ﷺ، وانتهى التشريع بمعنى الصدور عن المولى ﷻ لا بمعنى الاستنباط من المدارك المقررة بموته.

سادسًا: اقتناء كتب التفسير ومحاولة تفسير مناماتنا دون الرجوع إلى أهل الخبرة:

قلنا في الحديث الشريف السابق عن رسول الله ﷺ أن لا نفسر مناماتنا إلا بالرجوع إلى أهل الخبرة من الصالحين، ومع ذلك يقوم بعض الناس باقتناء كتب تفسير المنامات ليقوموا هم بتفسير مناماتهم من خلال تفسير مفردات الأشياء التي رآها في المنام، مع انه ليس من أهل

الخبرة في هذا المجال، فكلما رأى في منامه شيئًا فتح كتابه، ألا فليعلم أن الرؤى يعبرها أهل العلم باعتبارات مختلفة، وقد تكون الرؤيا واحدة لشخصين لكن التأويل مختلف بينهما بحسب حال كل منهما، والقرائن المصاحبة سواء أكانت حالية أم مقاميه أم اجتماعية. فقد جاء رجلٌ صالح لابن سيرين فقال: رأيت أني أؤذن في المنام، فعبرها له بأنه سيحج لقوله تعالى:

﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[1].

وجاء بعده آخر رأى أنه يؤذن في المنام، فعبرها له بأنه يسرق لقوله تعالى:

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾[2].

وبالتالي فإن عبارة واحدة وردت في منامين فسرت بتفسيرين مختلفين وكلا منهما مستند إلى آية في القرآن الكريم، ما يعني أن اختيار أحدهما يرتبط بشخص الرائي وظروف الرؤية وطبيعة المنام بكامله كجملة واحدة لا كمفردة مستقلة. هذا من جهة ومن جهة أخرى من قال أن هذه العبارة التي تبحث عن معناها هي المطلوبة في المنام، فقد تكون ثانوية لا قيمة لها وهناك عبارة أخرى هي المطلوبة، لذا لا بد من أن يكون المفسر من أهل الخبرة لا مجرد أن يعلم بالمقصود من العبارات بغض النظر عن المنام كوحدة متكاملة.

العمل على مقتضى المنام:

نصل هنا إلى ثمرة البحث وهي أنه هل يجوز أن نعطل عقلنا

(١) سورة الحج، الآية: ٢٧.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٧٠.

وتفكيرنا ونسير على ضوء ما نراه في منامنا، فنغير من خططنا ونتخذ مواقف مغايرة لما يرشدنا إليه عقلنا؟ أم أنه لا بد من الاعتماد مطلقاً على العقل والمنطق وعدم الالتفات مطلقاً إلى هذه المنامات؟

إننا نشعر إن هناك الكثير من السذاجة والبساطة واللاواقعية يتعامل بواسطتها المسلمون في نظرتهم للمسائل الغيبية وموقفهم منها، وأفضل دليل على ذلك هو الاستجابة السريعة والتأثيرات العميقة التي تجدها وتتركها كل ظاهرة تتعلق بالأمور الغيبية في نفوس أكثر المسلمين، ولو كانت الظاهرة عاجزة عن إثبات نفسها بأي دليل مقنع، ويكفي أن يخترع أي إنسان ـ ولو كان فاسقاً وبعيداً كل البعد عن الدين ـ معجزة وكرامة وأي قصة ذات طابع غيبي وينسبها إلى شخصية مقدسة في الوسط الديني ليجد أكثرية الناس تسارع إلى نقلها وكأن الجميع قد شاهدها بأم عينيه، ومن يحاول التشكيك في حصولها وصدورها ولو لم يكن يحمل نية سيئة فإنه لن يواجه بأقل من النفور والاشمئزاز، وربما يتهم بمحاولة تشكيك الآخرين في حقائق الدين.

وعلى هذا الأساس يبرز لنا في الوسط الديني الإسلامي بين فترة وأخرى من يدعي أنه يطلع على قضايا غيبية بصورة أو أخرى، ويتحول بسرعة البرق إلى عالم صالح ويتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بالجلوس إليه، والاستماع إلى توجيهاته التي تتحول بالنسبة إلى مريديه كما إرشادات الرسول ﷺ إلى أصحابه، وقد يصل عدد مريديه في بعض الأحيان أكثر من مريدي وطلاب الدروس عن أكبر العلماء وأوعاهم وأتقاهم، إذ من الطبيعي أن لا يعجز مثل هؤلاء المدعون عن الحصول على العديد من الأنصار والأتباع الذين يدافعون عنهم ويتبنون كل النتائج المتحصلة من مشاهداتهم الغيبية.

لذلك وحذراً من الوقوع في حبائل هؤلاء يجب أن نتعامل مع مناماتنا ومنامات الآخرين بأسلوب منطقي، ولا يجوز الخروج في

قراراتنا عما هو منطقي وما يرشدنا إليه عقلنا، إلا إذا وجدنا مبرراً قوياً يمنعنا من ذلك فيدعونا إلى تعديل خططنا والنظر من جديد فيما نريد أن نقدم عليه مستقبلاً.

إن ما نريد إثارته من حديث عن الأحلام والرؤى بنتيجة هذا البحث ننطلق فيه من محاولة تصحيح مظاهر التعامل اللاواعي والسلبي التي يمارسها الكثير من الأفراد المتدينين في أوساط مجتمعاتنا الإسلامية في موقفهم من الرؤى والأحلام سواء التي يشاهدونها بأنفسهم أم التي يشاهدها غيرهم من الناس ويصل خبرها إليهم. وعليه وانطلاقاً من كل ما تقدم فإن كان ما نراه من منام وصل إلى درجة جعلتنا نخاف من أن نكون مخطئين وأن يكون هذا المنام بشرى من الله ﷻ لثنينا عما قررناه، فلا بد من الرجوع فيه إلى أهل العلم القادرين على التفسير والتمييز بين المنام الصادق الذي هو بشرى من الله ﷻ أو تحذير منه وبين نجوى الشيطان من المنامات الكاذبة، وبعد الاستماع إلى تفسيرهم لمنامنا نعيد النظر مرة أخرى في قرارنا ونقرر من جديد استناداً إلى العقل دائماً وهذا لا إشكال فيه أبداً.

أما أن لا نقدم على ما قررناه استناداً إلى تحليل منطقي وعقلي نتيجة لرؤية رأيناها، ونغير القرار إلى ما يتوافق مع هذه الرؤية حتى لو كنا نعتقد من ناحية منطقية بخطأ ما نقدم عليه، فهذا ما لا يمكن القبول به ولا يستند إلى مستند شرعي.

لذلك فإن ما ينبغي التأكيد عليه هو عدم التعلق بالرؤى والمسارعة إلى تصديقها واستظهار الغيب بها، ولا يخفى على عاقلٍ الفتن التي حصلت للأمة وما صاحبها من إراقة للدماء بسبب رؤى وأوهام حملت محملاً خاطئا، ولكن أن تبقى تلك المنامات في إطارها الشرعي المحدّد: مبشرات، أو منذرات، أو أضغاث أحلام لا حقيقة لها.

وقد ورد النهي في القرآن الكريم عن الاستناد في أفعالنا إلى الأحلام فقال سبحانه وتعالى:

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾[١].

فجعل الله سبحانه وتعالى عمل القوم الطغاة الكافرين من قبيل من يعمل استناداً إلى الأحلام التي يراها وهذا في نفسه مذموم، وبالرجوع إلى ما ورد معنا في الحديث الشريف الذي يتحدث عن المنامات الصادقة والكاذبة والعلة في كونها كذلك نجد أن الإمام الصادق عليه السلام قال: «....وتكذب كثيراً لئلا يعتمد عليها كل الاعتماد»[٢].

ومعنى أنها في أكثرها كاذبة أن الخطأ فيها أكبر من الصواب، وبالتالي لا نستطيع أن نعتمد عليها كل الاعتماد، كما ورد في الحديث الشريف.

وبالتالي فإن الذي يجب أن نقوم به عملياً هو أن نتأنى عندما نبصر مناماً، ونعيد التفكير ملياً فإذا برز ما يبرر التراجع أو التعديل فبها، وإن لم يتغير شيئاً فإن ما قررناه يجب أن نستمر عليه من دون أي تعديل. وقد ورد في هذا المعنى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال:

«إذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها: فإنما هي من الله، فليحمد الله عليها، وليحدث بها، وإذا رأى غير ذلك مما يكره: فإنما هي من الشيطان، فليستعذ بالله من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره»[٣].

فالحديث يدل على أن لا نخاف من المنام فإنه لن يضره، وبالتالي فإنه يجب أن لا تتحكم المنامات في حياتنا، وبالرجوع إلى بعض ما

---

(١) سورة الطور، الآية: ٣٢.
(٢) توحيد المفضل الصفحتان ٤٣ ـ ٤٤.
(٣) بحار الأنوار الجزء ٥٨ الصفحة ١٩٢.

يحصل في حياتنا اليومية فإننا نجد كثيراً من السياسيين يقررون مصائرهم ومصائر أتباعهم انطلاقاً من منامات رأوها، وفي بلادنا التي حصلت فيها حرب أهلية كان بعض أمراء الحرب يقومون بالهجوم على خصومهم انطلاقاً من منام رأوه، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على سخف عقولهم وسذاجتهم وقلة درايتهم، وإذا ما اتبعهم الناس وهم كذلك فإنه يصدق عليهم ساعتئذٍ قول القائل: «كما تكونوا يولى عليكم».

باختصار موضوع الأحلام وتفسيرها أمرٌ ثابت من الناحية الشرعية ولا يجوز إنكار أهمية المنامات وتفسيرها وعلاقتها بالمستقبل، ذلك أنها وردت في القرآن الكريم في عدة مواضع، وإنكارها والحال هذه مؤدٍ لتكذيب القرآن الكريم الذي يعني كفر المنكر الملتفت إلى كون إنكاره مؤدياً للتكذيب، ولكن الذي ننبه إليه هو انه عندما نتعرض لمنام لا بد لنا من اللجوء إلى أهل الخبرة في مجال تفسير الأحلام من العلماء الثقاة العدول، وهنا لا بد من الإلفات إلى أنه ليس كل عالم خبير في عالم التفسير، بل هو اختصاص يحتاج كما بينا إلى دراسة وخبرة في فهم الرموز الواردة في الرؤية التي نراها، وباع طويل في فهم القرآن الكريم والسنة النبوية، ذلك أنهما مصدر التفسير للأحلام، هذا من جهة ومن جهة أخرى يجب أن لا تحكم المنامات والأحلام حياتنا، فلا نقدم على أمر أو نحجم عن آخر إلا استناداً إلى رؤية رأيناها، ما يعني تعطيل فكرنا، والاستناد إلى أمور لا نستطيع إثبات أنها صحيحة أم لا، بل يجب أن تكون قراراتنا منطلقة من دراسة منطقية للواقع الذي حولنا ولظروف القضية التي نواجه ومفرداتها. ثم بعد ذلك إن رأينا مناماً أو رؤية تتعلق بالموضوع فإن ذلك مدعاة لمزيد من التدقيق والتمحيص والاستشارة لأهل الخبرة في المجال الذي نتعامل معه، ولكن هذا لا يعني التوقف الكامل أو التردد طويل الأمد بل التريث والدراسة الموضوعية ضمن وقت مقبول، وفي حال عدم التوصل إلى نتيجة من

خلال المنام، وعدم القدرة على تعبيره إما لعجز المفسرين عن ذلك أو لعدم وجودهم، فإن الحل هو اتخاذ القرار بغض النظر عن المنام، والتصدق لدفع البلاء المتوقع. وننبه في هذا المجال إلى قيام كثير من الناس باتخاذ قرارات خطيرة شخصية أو عائلية بل حتى سياسية عامة استناداً إلى رؤية رأوها وفسروها باتجاه معين واتخذوا قرارات خطيرة من طلاق أو قتل أو معاداة جهات مختلفة وهذا هو الجنون بعينه، ولا يمكن اتهام الدين به فهو منه براء.

وهنا لا بد من الإلفات إلى تصاعد نغمة تفسير المنامات في الفترة الأخيرة وتصدي الكثير من الفضائيات لبث برامج من هذا النوع، ما جعل الناس تتعلق بهذا الموضوع وبشكل مهووس في بعض الأحيان ما يوجب على أهل العلم التصدي لهذه الظاهرة وتوضيحها وتنبيه العامة لخطورة التعلق بهذا الموضوع فيما يتعلق بشؤون حياتهم.

٣

الخيرة وتعطيل العقل

الخيرة لغة:

الاستخارة لغة كما في لسان العرب هي:

«الاستخارة هي طلب الخيرة في الشيء، وهو إستفعال منه. وفي الحديث: كان رسول الله ﷺ، يعلمنا الاستخارة في كل شيء، وخار الله لك: أي أعطاك ما هو خير لك. والخيرة، بسكون الياء: الاسم من ذلك، ومنه دعاء الاستخارة: اللهم خر لي أي واختر لي أصلح الأمرين واجعل لي الخيرة فيه. واستخار الله: طلب منه الخيرة. وخار لك في ذلك: جعل لك فيه الخيرة، والخيرة الاسم من قولك: خار الله لك في هذا الأمر. والاختيار: الاصطفاء، وكذلك التخير. ويقال: استخر الله يخر لك، والله يخير للعبد إذا استخاره»(١).

وتستعمل في لغة العرب بمعنى الدعاء، فإذا قلت استخرت الله يعني ذلك: سألت الله أن يوفقني خير الأشياء التي أقصدها، وقد وردت نصوص تؤكِّد على أهميَّتها والترغيب فيها والتسليم بعدها.

---

(١) لسان العرب الجزء ٤ الصفحة ٢٦٦ ـ ٢٦٧.

فالخيرة هي أن يختار الشخص بين أمرين أو أكثر يريد القيام بواحد منها، في حين أن الاستخارة هي طلب النصيحة من الآخرين في إرشادنا إلى أحد الخيارات المطروحة أمام المستخير.

الاستخارة شرعاً واصطلاحاً:

الخيرة اَصْطِلَاحًا: طَلَبُ الاخْتِيَارِ. أَيْ طَلَبُ صَرْفِ الْهِمَّةِ لِمَا هُوَ الْمُخْتَارُ عِنْدَ اللهِ وَالأَوْلَى، بِالصَّلاةِ، أَوْ الدُّعَاءِ الْوَارِدِ فِي الِاسْتِخَارَةِ. والخيرة من الناحية الشرعية هي طلب الرأي من الله سبحانه وتعالى في أمر أشكل على المستخير، والفرق بين المعنى اللغوي والمصطلح هو أن الخيرة في اللغة هي طلب الاستخارة من أي كان، في حين أنها في المصطلح الشرعي هو طلبها من الله سبحانه وتعالى، وهي في نفس المجال تفويض من المستخير لله ﷻ بأن يرشده لما فيه الخير من أمره الذي يريد القيام به، وبالتالي نرى أن الخيرة بهذا المعنى هي نوع من أنواع الدعاء لله ﷻ أن يوفقنا أولا لاختيار ما فيه الخير، وثانياً أن يوفقنا الله سبحانه وتعالى فيه. وقد ورد الحث على الخيرة في أكثر من رواية منها ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«من دخل في أمر بغير استخارة ثم أبتلي لم يؤجر»[1].

فنجد أن الإمام عليه السلام يحث على أن يكون كل عمل مستنداً إلى الخيرة، بحيث أن الذي يُقدم على عمل بلا استخارة ثم يبتلى فإنه لا يؤجر على ما قام به، مع أن الأجر على البلاء أمر محسوم. ولذلك أجمع العلماء على شرعية الاستخارة وأنها سنة مستحبة وقد أتت الخيرة في الروايات بمعنيين وهما على الشكل التالي:

---

(١) وسائل الشيعة الجزء ٥ الصفحة ٢١٨.

أ ـ الخيرة بمعنى الدعاء:

وردت الخيرة في الروايات بمعنى الدعاء، فهي أن تقوم بالدعاء لله ﷻ أن يوفقك لما فيه الخير. فقد ورد في صحيحة مسعدة بن صدقة عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«كان بعض أبائي يقول: اللهم لك الحمد وبيدك الخير كله. اللهم إني أستخيرك برحمتك وأستقدرك الخير بقدرتك عليه، لأنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب. اللهم فما كان في أمر هو أقرب من طاعتك، وأبعد من معصيتك، وأرضى لنفسك وأقضى لحقك، فيسره لي ويسرني له، وما كان من غير ذلك فاصرفه عني واصرفني عنه فإنك لطيف لذلك والقادر عليه»[1].

فالخيرة وردت هنا كدعاء لله ﷻ أن يصرف عنه الأمر الذي لا يكون فيه مصلحة له، أو أن يصرفه عنه فهو بذلك دعاء. ومن نفس القبيل أن تصلي ركعتين ثم تتوجه إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء لكي يلهمك ما هو الصواب وما فيه الخير لك في مستقبل أمرك.

ب ـ الخيرة بمعنى الاستشارة:

والخيرة بهذا المعنى هي أن يطلب المستخير من الله سبحانه وتعالى أن يرشده إلى ما هو الأفضل له من الأمور التي يستخير عليها، بمعنى أن يحدد له الخيار الأفضل بعينه بشكل يخصصه في الخارج من خلال تحديده ذهنا أو خارجاً من خلال رقاع أو غيرها. ويختلف عن الخيرة بالمعنى الأول، بأنه في المعنى الأول يطلب من الله أن يوفقه لما فيه المصلحة من دون تعيين، في حين أنها بالمعنى الثاني يطلب من الله سبحانه وتعالى أن يدله على الأمر الأسلم له بعينه، فقد يكون مثلاً من

---

(١) وسائل الشيعة الجزء ٥ الصفحة ٢١٥.

خلال القرعة فيضع أكثر من أمر يريد استخارة أحدها، فيسحب بعد أذكار معينة ورقة من الأوراق ثم يلتزم بالقيام بما وقعت عليه الخيرة. وهذا المعنى وردت فيه الكثير من الروايات سنستعرضها عندما نتحدث عن أنواع الاستخارة.

فضل الاستخارة وأهميتها:

قد يبلغ الإنسان من العلم مرتبة عالية، وقد يكتسب من الخبرة مهارة فائقة، وقد يمتلك عقلاً راجحاً وحكمة عالية، ومع ذلك يظلّ محتاجاً إلى ربّه وخالقه في كلّ لحظة، ولا غنى له عنه طرفة عين، وكثيرًا ما يُقدم الإنسان على فعل أمر من الأمور، وقد خطّط له تخطيطاً بالغاً، واتخذ لإنجاحه كافّة الإجراءات، ووضع في حسابه جميع التقديرات، ثمّ يتبيّن له فيما بعد أنّه قد أخطأ الطريق، وخانته جميع حساباته، ولم تغن عنه سائر تقديراته. وقد يتردّد الإنسان بين فعل أمرين أو أكثر، فلا يدري في أي طريق يسير، أو أي قرار يتخذ، فيقف حائراً وتنقطع به السبل، فلا يدري ما يفعل، ولا يجد أمامه من يستنجد به سوى الله ﷻ.

وقد كان العرب في جاهليّتهم يلجئون إلى طريقة ساذجة لإزالة هذا التردّد، عن طريق الإستقسام بالأزلام، وهي كما في الموسوعة الفقهية الميسرة:

«الأزلام جمع زلم بفتح الزاي وضمها، كجمل وصرد وهي قداح أي سهام بلا ريش بها ولا نصل، كانوا يتفاءلون بها لاستعلام الخير والشر في أسفارهم وأفعالهم، مكتوب على بعضها أمرني ربي، وعلى بعضها نهاني ربي، وبعضها غفل لم يكتب عليها شيء، فإذا أرادوا أمراً أجالوا تلك القداح ثم أخرجوا منها واحداً، فإن خرج الذي عليه أمرني

ربي، مضى الرجل لحاجته، وإن خرج الذي فيه النهي لم يمض، وإن خرج الذي ليس عليه شيء أعادوها فهذا هو الإستقسام بالأزلام»[1].

وقد نهى الله المؤمنين عن هذا العمل فقال سبحانه وتعالى:

﴿...وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

ومن رحمة الله ﷻ بعباده أنه لم يتركهم في حيرتهم، فدلهم على ما يخرجهم من دائرة الحيرة إلى الهداية لسواء السبيل من خلال الخيرة بكل مفرداتها، سواء من خلال الصلاة أو الدعاء المتضمّن الإقرار بوحدانيّته والإقرار بصفات كماله وربوبيته، وتفويض الأمر إليه، والاستعانة به، والتوكّل عليه، والتبرؤ من الحول والقوّة إلا به، واعتراف العبد بعجزه وقصوره.

لذا، فقد وردت نصوص تؤكّد على أهميّتها، والترغيب فيها، والتسليم بعدها، مما يؤكد على فضلها وأهميتها في الإسلام. وهي في نفس الوقت بسيطة الأداء لا تحتاج إلى كثير وقت وعناء وإن احتاجت إلى كثير توجه إلى الله سبحانه وتعالى وبها تحل أكبر الأمور تعقيداً وأكثرها صعوبة.

الخيرة في القرآن الكريم:

وردت الخيرة في القرآن الكريم بشكل مباشر وبشكل غير مباشر في مواضع عدة، وأريد أن أبين فيما يلي بعض الآيات الواردة في هذه المعنى، فقد وردت في قوله سبحانه وتعالى:

---

(١) الموسوعة الفقهية الميسرة الجزء ٣ الصفحة ٥٦.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣ .

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1].

فقد ذهب المفسرون من ضمن تفاسير هذه الآية الكريمة إلى أن المقصود هو الاستخارة بالرجوع إلى الله ﷻ، فقد قال صاحب تفسير مجمع البيان في عرض تفسيرها:

«وهذا أيضاً في معنى الأول (أي أن الله يخلق الخلق ويختار تدبير عباده على ما هو الأصلح لهم) لأن حقيقة المعنى فيهما أنه سبحانه يختار وإليه الاختيار، ليس لمن دونه الاختيار، لأن الاختيار يجب أن يكون على العلم بأحوال المختار، ولا يعلم غيره سبحانه جميع أحوال المختار، ولأن الاختيار هو أخذ الخير وكيف يأخذ الخير من الأشياء من لا يعلم الخير فيها»[2].

ومن هنا يظهر أن هذه الآية الكريمة تدل في ضمن ما تدل على أن المقصود هو الاستخارة بالمعنى الذي نتحدث عليه هنا.

ووردت أيضاً في قوله سبحانه وتعالى:

﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[3].

ومن هذه الآية الكريمة يظهر أن الله سبحانه وتعالى أخبر المسلمين أن الروم وأن غلبها فارس فإنها ستغلب فارس في ما بعد في بضع سنين وهذا ما حصل، ومن العلم بالغيب أن يستعلم الإنسان عن حاله في أمر يريد أن يقدم عليه وبما أن لله الأمر من قبل ومن بعد، فإن الرجوع إليه في الخيرة هو رجوع إلى من بيده الأمر.

---

(١) سورة القصص، الآية: ٦٨.

(٢) تفسير مجمع البيان الجزء ٧ الصفحة ٤٥٣.

(٣) سورة الروم، الآية: ٤ .

الاستخارة في السنة:

وردت الخيرة في الأحاديث الشريفة في مواضيع كثيرة جداً تارة تتحدث عن أصلها، وأخرى عن كيفية إجرائها، وثالثة عن أنواعها. المهم أن الخيرة وردت في الأحاديث بشكل لا نستطيع معه أن نشكك في شرعيتها. ومن هذه الأحاديث ما ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال:

«بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله إلى اليمن فقال لي وهو يوصيني: يا علي ما حار من استخارَ، ولا ندم من استشارَ»[1].

وهنا يظهر أن الرسول صلى الله عليه وآله عندما أرسل أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى اليمن، وحيث أنه لا وسائل للاتصال سريعة يمكن معها سؤال الرسول صلى الله عليه وآله عن أمور قد تعرض له، طلب منه الرسول أن يستشير وأن يستخير ما يؤكد على شرعية الخيرة وأهميتها.

ومن الأحاديث الواردة في هذا المجال ما عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«يقول الله عز وجل: «من شقاء عبدي أن يعمل الأعمال فلا يستخيرني»[2].

وهذا الحديث الشريف يحتوي أكثر من الحث على الاستخارة إذ يترقى لذم تاركها. ومن الأحاديث في هذا المعنى أيضاً ما عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«من دخل في أمر بغير استخارة ثم ابتلي لم يؤجر»[3].

---

(١) بحار الأنوار الجزء ٨٨ الصفحة ٢٢٥.
(٢) وسائل الشيعة الجزء ٥ الصفحة ٢١٧.
(٣) وسائل الشيعة الجزء ٥ الصفحة ٢١٧.

وهنا يترقى الإمام الصادق عليه السلام لدرجة أن ما هو مكتوب من الأجر للمبتلى على ما ابتلاه الله به لن يناله من أقدم على أمر من دون استخارة، ما يؤكد على ضرورة الاستخارة قبل الإقدام على أي أمر. وفي نفس هذا المعنى أيضاً ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قد سأله عليه السلام بعضُ أصحابه فقال له:

«من أكرم الخلق على الله؟ قال: أكثرهم ذكراً لله، وأعملهم بطاعته، قلت: من أبغض الخلق إلي الله؟ من يتهم الله، قلت: وأحد يتهم الله؟ قال: نعم: من استخار الله فجاءته الخيرة بما يكره فسخط فذلك الذي يتهم الله»[1].

وهنا يتعاظم أمر من يأخذ الخيرة ثم لا يستسيغ ما دعت إليه، إذ اعتبر الإمام الصادق عليه السلام أنه نوع من التشكيك بالله عز وجل بعد لجوؤنا إليه وهو ما يؤكد على أهمية الخيرة في الإسلام. فضلاً عن إمكانية القول بلزوم العمل بمقتضاها.

أنواع الاستخارة:

هناك أنواع متعددة من الاستخارة وسنوردها بإيجاز من دون تفصيل يمكن الرجوع فيه إلى الكتب المتخصصة في هذا المجال، أهم الأنواع التي وردت به الاستخارة هي التالية:

أ ـ الاستخارة بالصلاة:

وهذا النوع من الاستخارة هو أن يصلي المستخير بصلاة معينة مع دعاء معين، ثم بعد ذلك ينظر ما يُوقِع الله سبحانه وتعالى في قلبه ويعمل على أساسه، وقد ورد في ذلك روايات كثيرة منها ما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

---

(١) وسائل الشيعة الجزء ٥ الصفحة ٢١٧.

«كان علي بن الحسين عليه السلام إذا هم بأمر حج وعمرة أو بيع أو شراء أو عتق تطهر ثم صلى ركعتي الاستخارة فقرأ فيهما بسورة الحشر، وسورة الرحمن، ثم يقرأ المعوذتين، وقل هو الله أحد إذا فرغ وهو جالس في دبر الركعتين، ثم يقول: اللهم إن كان كذا وكذا خيراً لي في ديني ودنياي وعاجل أمري وآجله فصل على محمد وآله ويسره لي على أحسن الوجوه وأجملها، اللهم وإن كان كذا وكذا شر لي في ديني أو دنياي وآخرتي وعاجل أمري وآجله فصل على محمد وآله واصرفه عني، رب صل على محمد وآله واعزم لي على رشدي وإن كرهت ذلك أو أبته نفسي»(١).

وقد حددت هذه الرواية صورة مخصوصة للصلاة، إلا إنه في روايات أخرى ورد أن تصلي ركعتين من دون تحديد لكيفية مخصوصة، وبالتالي يمكن أن تصلى الركعتين بأية صورة، وإن كان من الأفضل أن تكون بالصورة التي وردت في الحديث السابق.

ومبدأ الحاجة إلى الصلاة في الخيرة هو إن العبد في هذه الدنيا تعرض له أمور يتحير منها وتُشكِل عليه، فيحتاج للجوء إلى خالق السموات والأرض وخالق الناس، يسأله رافعاً يديه داعياً مستخيراً بالدعاء، راجياً الصواب في الطلب، فإنه أدعى للطمأنينة وراحة البال. فعندما يقدم على عمل ما كشراء سيارة، أو يريد الزواج أو أن يعمل في وظيفة معينة أو يريد سفراً فإنه يستخير له.

ب ـ الاستخارة بالرقاع:

وردت هذه الاستخارة بصور مختلفة، وهي تحدد لها كيفيات مختلفة يجمعها استعمال رقاع يكتب عليها ما يساعد الشخص على اختيار القرار المناسب في القضية موضع السؤال، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

---

(١) وسائل الشيعة الجزء ٥ الصفحة ٢٠٤.

«إذا أردت أمراً فخذ ست رقاع فاكتب في ثلاث منها: بسم الله الرحمن الرحيم، خيرة من الله العزيز الحكيم لفلان بن فلانة أفعل، وفي ثلاث منها: بسم الله الرحمن الرحيم خيرة، من الله العزيز الحكيم لفلان بن فلانة لا تفعل، ثم ضعها تحت مصلاك، ثم صلى ركعتين فإذا فرغت فاسجد سجدة وقل فيها مائة مرة: أستخير الله برحمته خيرة في عافية، ثم استو جالساً وقل: اللهم خر لي واختر لي في جميع أموري في يسر منك وعافية، ثم أضرب بيديك إلى الرقاع فشوشها وأخرج واحدة واحدة فإن خرج ثلاث متواليات افعل فافعل الأمر الذي تريده، وإن خرج ثلاث متواليات لا تفعل فلا تفعله، وإن خرجت واحدة افعل والأخرى لا تفعل فأخرج من الرقاع إلى خمس فانظر أكثرها فاعمل به، ودع السادسة لا تحتاج إليها»[١].

وهذه الرواية التي تحدد طريقة معينة للقرعة يوجد غيرها الكثير من الروايات، ولكن يجمعها قاسم مشترك هو الرقاع المكتوبة لتحديد الخيار الذي يرشد إليه الله سبحانه وتعالى.

ج ـ الاستخارة بالسبحة:

وهذه الاستخارة تعتبر من أشهر أنواع الاستخارات المستعملة في أيامنا هذه، وورد فيها روايات عديدة منها ما رواه محمد بن محمد الآوي الحسيني عن صاحب الأمر الأمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف حيث قال:

«تقرأ الفاتحة عشرة مرات وأقله ثلاثة ودونه مرة، ثم تقرأ القدر عشراً، ثم تقول هذا الدعاء ثلاثاً: (اللهم إني أستخيرك لعلمك بعاقبة الأمور وأستشيرك لحسن ظني بك في المأمول والمحذور، اللهم إن كان

(١) وسائل الشيعة الجزء ٥ الصفحة ٢٠٧ ـ ٢٠٨.

الأمر الفلاني مما قد نيطت بالبركة أعجازه وبواديه، وحفت بالكرامة أيامه ولياليه فخر اللهم لي فيه خيرة ترد شموسه ذلولاً، وتقعض ـ أي ترد وتعطف ـ أيامه سروراً، اللهم إما أمر فائتمر وإما نهي فأنتهي، اللهم إني أستخيرك برحمتك خيرة في عافية)، ثم تقبض على قطعة من السبحة تضمر حاجة، فإن كان عدد القطعة زوجاً فهو أفعل، وإن كان فرداً لا تفعل وبالعكس»[1].

وقد ورد في روايات متعددة طرق أخرى للخيرة جعلت فيها الفرد افعل والزوج لا تفعل، فالمهم هو أن تُعين قبل الاستخارة على أي أساس ستستخير، والله ﷻ يوفقك لما فيه الخير إنشاء الله سبحانه وتعالى.

د ـ الاستخارة بالدعاء:

وهو من القسم الأول من الاستخارة، حيث يقوم المستخير بالتوجه نحو الله سبحانه وتعالى بالدعاء أن يوفقه لاختيار الأفضل له فيما هو مقدم عليه، فيُلقى الله سبحانه وتعالى في روعه الاختيار الأفضل من دون وضع رقاع أو اختيار بسبحة لتحديد المطلوب منه عملياً.

وقد ورد في هذا النوع روايات متعددة منها ما ورد في رواية معاوية بن ميسرة عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«ما استخار الله عبد سبعين مرة بهذه الاستخارة إلا رماه الله بالخيرة، يقول: يا أبصر الناظرين، ويا أسمع السامعين، ويا أسرع الحاسبين، ويا أرحم الراحمين، ويا أحكم الحاكمين، صل على محمد وأهل بيته وخر لي في كذا وكذا»[2].

---

(١) وسائل الشيعة الجزء ٥ الصفحة ٢١٩.

(٢) وسائل الشيعة الجزء ٥ الصفحة ٢١٤.

ويظهر من هذا الحديث الشريف أن الإمام عليه السلام يقول أن الله سبحانه وتعالى يرمي الداعي بهذا الدعاء بالخيرة، أي يلقي في روعه الصواب من الفعل وما فيه الخير له بحسب علمه عز وجل.

وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك عليه، إنك عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم، فأسألك أن تصلي على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد. اللهم إن كان هذا الأمر الذي أريده خيرا لي في ديني ودنياي وآخرتي فيسره لي كان غير ذلك فاصرفه عني واصرفني عنه»[1].

المهم أن هذا النوع من الخيرة يتعلق بالدعاء لله عز وجل أن يوفقه ليختار الأصلح بأن يوقع في قلبه التوجه إليه.

هـ ـ الاستخارة بالقرآن الكريم:

وهذه الاستخارة مبنية على فتح القرآن الكريم بعد دعاء معين، ثم ينظر في أول آية تخرج له ومن وحي هذه الآية يعرف ما يجب عليه العمل به، فإن كانت الآية الكريمة مثلاً تتحدث عن جنات ونعيم، أقدم على الفعل الذي نواه في سره. وإن كانت الآية الكريمة تتحدث عن جهنم وساءت مصيراً أحجم، وقد ورد في ذلك روايات متعددة منها ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام فيما رواه عنه أليسع القمي أنه قال:

«قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أريد الشيء وأستخير الله فيه فلا يوفق فيه الرأي (إلى أن قال) فقال افتتح المصحف فانظر إلى أول ما ترى فخذ به إن شاء الله»[2].

---

(١) مكارم الأخلاق الصفحتان ٣٢٣ ـ ٣٢٤.

(٢) وسائل الشيعة الجزء ٤ الصفحة ٨٧٥.

وفي نفس المعنى ورد موضوع التفاؤل بالقرآن الكريم وهو بنفس معنى الخيرة وقد ورد في روايات متعددة، منها ما رواه السيد إبن طاووس الحسني رضوان الله سبحانه وتعالى عليه حيث قال:

«وحدثني بدر بن يعقوب المقرئ الأعجمي رضوان الله عليه، بمشهد الكاظم صلوات الله عليه في صفة الفال في المصحف فقال: تأخذ المصحف وتدعو فتقول: اللهم إن كان من قضائك وقدرك أن تمن على أمة نبيك بظهور وليك وابن بنت نبيك، فعجل ذلك وسهله ويسره وكمله، وأخرج لي آية أستدل بها على أمر فائتمر، أو نهي فأنتهي، ـ أو ما تريد الفال فيه ـ في عافية، ثم تعد سبع أوراق، ثم تعد في الوجهة الثانية من الورقة السابعة ستة أسطر، وتتفأل بما يكون في السطر السابع»[١].

وهنا يجب على من يستخير في القرآن الكريم أن يكون على دراية بتفسيره، ومعرفة ظروف نزول الآيات كي يستطيع فهم المطلوب في تحديد ما يجب عليه عمله، وليس كل إنسان يتقن تفسير القرآن الكريم وبالتالي ليس كل إنسان يتقن الاستخارة به، وقد أنزلت بعض دور النشر مصاحف تحتوي في رأس كل صفحة ما يحدد أن هذه الآية الكريمة مضمونها جيد للعمل به أو غير جيد لكي لا يعمل بها. لكن مع ذلك يبقى أنه في بعض الأحيان التي تكون فيه الآية الكريمة في مضمونها جيد إلا إنها بالعرض على الموضوع الذي نستخير فيه تكون غير جيدة، ومن النوادر في هذا الموضوع ما ينقل عن القصة التي حصلت بين صاحب البحار رضوان الله تعالى وأحد الأشخاص التي رواها في بحاره بقوله:

«وسأله رجل أن يستخير له بالمصحف لمقصد أضمره، فاستخار له وقال: إنه خير، فذهب الرجل ثم بعد أيام رجع، وقال: إن جنابك ذكرت

(١) فتح الأبواب الصفحة ٢٧٨.

أنه خير وقد ظهر شره، قال: وكيف ذلك؟ قال: كان الغرض شراء جارية وقد اشتريتها وتبين لي أنها تبول في الفراش قال رضوان الله تعالى عليه: لو ذكرت لي مقصدك لنهيتك عنه، فإن في آية الاستخارة إشارة إليه وهي قوله تعالى: (جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً)»[1].

وهذه الحادثة تؤكد لنا أن الآيات بظاهرها لا تدل على المقصود من وراء الخيرة،بل على الإنسان أن يستوحي منها بعد دراسة للآية نفسها وللموضوع الذي يستخير عليه، لذا فمن الأفضل اقتصار العوام في الخيرة على السبحة واللجوء إلى العلماء في خيرة القرآن الكريم.

و ـ الاستخارة عبر شبكة الانترنت:

في أيامنا هذه طرح موضوع الاستخارة من خلال شبكة الانترنت وذلك من خلال طريقتين، أولاهما لا إشكال فيها حيث يتصل المستخير عبر الشبكة بموقع يسأل عن الخيرة ويقوم شخص في الطرف الآخر بإجراء الاستخارة، وهذا مشابه لما لو سأله مباشرة أو من خلال الهاتف، ولذلك لا إشكال في هذا النوع من الاستخارة. أما النوع الآخر فيكون من خلال أن تجري أنت الاستخارة بنفسك فتضرب على زر الإدخال، ويقوم الكومبيوتر بإجراء مسح عشوائي لآيات القرآن الكريم حيث تخرج في النهاية آية مع تفسيرها وتحديد أن الخيرة جيدة أم لا، ومع الاختلاف في مدى شرعية الموضوع إلا إنني استقرب شرعيته، بل أكثر من ذلك فإن الاستخارة المباشرة بالقرآن الكريم يحصر الآيات الخارجة بثلاثمائة وأربع آيات على أساس أن عدد صفحات القرآن الكريم هي ستمائة وأربع صفحات يوجد عليها آيات من القرآن الكريم بحسب المصحف المطبوع في المدينة المنورة، في حين أن الخارج بحسب المسح الإلكتروني هو تمام الآيات الكريمات وهو بالتالي أكثر

(١) بحار الأنوار الجزء ١٠٢ الصفحة ١٠٤.

عرضاً على آيات القرآن الكريم، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن استعمال المصحف نفسه لأكثر من مرة يؤدي إلى تعليم عدد من الصفحات بحيث تخرج نفس الآيات دائماً وهذا لا يحصل في المسح الالكتروني. نعم هناك إشكالية لجهة التبرك بالمصحف الشريف الذي لا يحصل بالكومبيوتر، وبالنتيجة فإني اعتقد أن لا إشكال في الاستخارة من خلال الانترنت، أو على الكومبيوتر مباشرة، واعتبر أن الأخيرة فيها فائدة أكبر كونها تمسح جميع آيات القرآن الكريم.

آداب الاستخارة:

ينبغي للمستخير أن يلتزم بآداب الاستخارة وهي بحسب المنتزع من الروايات كالتالي:

١ ـ أن يكون على الطهارة ومستقبلاً القبلة.

٢ ـ أنّ يُقْبل بقلبه على الله جل جلاله بصدق النية، وأن يعرف أن المقصود هو سؤاله ﷻ عن أمور هو أدرى بالمصلحة فيها فينبغي أن يتوجه إليه انطلاقاً من هذا المفهوم، وأن يستحضر في نفسه ذل سؤال الجاهل الضعيف للعالم القوي العزيز.

٣ ـ أن يستغفر الله ﷻ ويتوب في الحال، لأن الله سبحانه وتعالى لن يجيب من كان قلبه ملؤه الآثام.

٤ ـ أنّ لا يتكلم بين أخذ الاستخارة مع غيره ولا يشغل نفسه بأمر الدنيا، بل أن ينقطع في توجهه إلى الله سبحانه وتعالى.

٥ ـ إذا خرجت الاستخارة مخالفة لمراده عليه أن يقابل ذلك بالشكر لله جلّ جلاله حيث جعله أهلاً أن يستشيره، ويلتزم بالمضمون الذي خرجت به الاستخارة.

٦ ـ أن لا يجعل هواه حاكماً عليه فيما يختاره، فلعلّ الأصلح له مخالفة ما تهوى نفسه.

٧ ـ أن يوقن بأن الله سبحانه وتعالى سيوفقه لما هو خير، وأن يُجمع قلبه أثناء الدعاء، ويتدبر معانيه العظيمة.

٨ ـ أن لا ينس أن يستشير أولي الحكمة والصلاح من أهل العلم أو من أهل الاختصاص في الأمر الذي يستخير فيه، وأن يجمع بين الاستخارة والاستشارة كما ترشد إليه كل الروايات المتعلقة بالموضوع.

شروط الاستخارة:

للاستخارة شروطاً لا بد من تحققها وهي كثيرة نشير إلى أهمها وهي على الشكل التالي:

١ ـ أن لا تكون الاستخارة في أمر محرم (كقطع الرحم) أو مرجوح (كترك الغسل من الحدث الأكبر حتى دخول وقت الصلاة الواجبة).

٢ ـ أن لا تكون الاستخارة مكررة إلا بعد تبدل الموضوع أو تبدل بعض خصوصياته، فإذا استخرت على أمر وجاء بضرورة الفعل فعليك أن تفعله لا أن تعيد الخيرة لتتركه لأن هواك في ذلك، نعم مع تغير الظروف لا مانع من إعادة الخيرة لطروء مستجد.

٣ ـ أن تكون الاستخارة في مورد الحيرة حقيقة، وأما الأمر الواضح فلا استخارة فيه، كعلاج اتفق عليه الأطباء، أو شراء واضح الرجحان، أو الزواج من كفؤ مع عدم وجود خيار آخر. ولذلك يجب أن يكون المستخير خالي الذهن عن أي عزم سواء الفعل أو الترك، بل أن يكون تردده حقيقياً أما إذا كان عازماً على أمرٍ ما فلا معنى للخيرة.

٤ ـ القيام بلوازم الاستخارة من حيث إعطاء العمل حقه، فإن الرجحان

الأولى قد لا يعطى ثماره إذا تكاسل العبد في الأمر كما قد يستخير على تجارة، فتكون الاستخارة راجحة، فيقدم عليها، ولكنه بالإهمال يؤول أمره إلى الإفلاس، فلا ينبغي أن يعتب على المستخير أو الاستخارة إن أجراها هو بذلك.

٥ ـ عدم القيام بالاستخارة تجربة للحظ، فإنه مع عدم الاعتقاد بالأمر، لا يحسن القيام بالاستخارة، لما فيه من شبهة الوهن والاستخفاف.

٦ ـ لا ينبغي الاستخارة لمعرفة أن الأمر يتحقق أو لا يتحقق، فليست الخيرة لإطلاعنا عما سيحصل في المستقبل، بل هي ترشدنا لما فيه الخير فيما نستخير فيه، فقد لا يحصل ويكون الخير في عدم حصوله، ولا نستخير أيضاً لتقييم الأشخاص سلباً أو إيجاباً، بل إن الاستخارة إنما هي لمشورة المولى ﷻ، في الإقدام على العمل المشروع، أو الإحجام عنه.

٧ ـ يُسْتَحَبُّ أَنْ يَسْتَشِيرَ قَبْلَ الاسْتِخَارَةِ مَنْ يَعْلَمُ مِنْ حَالِهِ النَّصِيحَةَ وَالشَّفَقَةَ وَالْخِبْرَةَ، وَيَثِقُ بِدِينِهِ وَمَعْرِفَتِهِ. قَالَ سبحانه وتعالى:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[1].

وَإِذَا اسْتَشَارَ وَظَهَرَ أَنَّهُ مَصْلَحَةٌ، ومع ذلك بقي متحيراً لا يدري ماذا يفعل فساعتئذٍ يَسْتَخِيرُ اللَّهَ تَعَالَى فِي ذَلِكَ.

الاستخارة من الناحية الشرعية:

من خلال العرض السابق للروايات التي تحدثت عن الخيرة

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩ .

وأنواعها يظهر لنا أن الخيرة بكلا قسميها وشتى أنواعها هي لجوء إلى الله سبحانه وتعالى من خلال صلاة أو دعاء لطلب رفع الحيرة والإرشاد لما هو أفضل، والخيرة بهذا المعنى لا إشكال فيها البتة، لأنه تسليم بقدرة الله سبحانه وتعالى على صرف الشرور عنا وفتح السبل أمامنا، أليس الله ﷻ هو الذي قال:

﴿...وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾[1].

ولكن يبقى السؤال الأساسي هو هل تعتبر الخيرة شرعية من جهة الروايات؟ وما هو رأي الفقهاء بها؟ الحقيقة هناك نقاش حول صحة الروايات سنداً وكذا هناك إشكال حول المضمون لبعضها، ومع ذلك فإننا وبما أننا لا نريد من هذا الكتاب أن يكون كتاباً في الفقه الاستدلالي، فإنه يمكن أن نقول أنه باللجوء إلى سيرة المتشرعة وبالرجوع أيضاً إلى عموم أدلة الدعاء التي تشملها قطعاً، يمكننا القول أنه لا إشكال في جواز اللجوء إلى الخيرة واعتبارها شرعية، حيث أن الإنسان المستخير يلجأ إلى الله سبحانه وتعالى من خلال الدعاء أو الصلاة ليفتح قلبه على الحل الأنسب لما يواجه من ظروف.

الخيرة والمنطق والعقل:

المتعمق بالإسلام يجد أنه دين يطلب من الناس أن يأخذوا قراراتهم من خلال إعمال المنطق والعقل، وبالتالي فإن البعض أشكل على الخيرة لجهة كونَها تعطيلاً للعقل بشكل يمنع الإنسان من التفكير في الأمر بعمق والبحث عن أفضل الحلول، والحقيقة إن الخيرة بهذا المعنى، أي أن تلجأ إليها في كل شيء من دون البحث والتفكير بالأمر هو نوع من تعطيل العقل والتفكير لا يرضى عنه الله سبحانه وتعالى

---

(١) سورة الطلاق، الآية: ٢.

قطعاً، والحقيقة إننا نرى أن الخيرة من الناحية الشرعية لا تعني أبداً أن لا تفكر ولا تُعمل المنطق، بل هي طريقٌ فتحها الله سبحانه وتعالى لنا عندما نقع في الحيرة، فعندما نواجه أية قضية خارجية يجب علينا أن نبتدئ بالتفكير في الموضوع، ونبحث عن كافة السبل التي يمكن أن نعالجه من خلالها، فإن وصلنا إلى حالة تعمقت معها الحيرة عندنا علينا أن نلجأ إلى أهل الخبرة فنسألهم عن رأيهم في الموضوع، فإذا فتحوا لنا باباً لاتخاذ القرار المناسب فبها ونعمت، وإن تعمقت الحيرة بعد استشارتهم بحيث أصبح فعل الأمر مساوياً من ناحية النسبة لتركه، فساعتئذ يمكن لنا أن نلجأ للخيرة التي بها يمكن أن نجد الحل للحيرة التي وقعنا بها، مما يعني أن الأمر الذي نريد أن نتخذ قراراً فيه فعلاً أو تركاً نواجهه من خلال طرق ثلاث بالترتيب: الأول من خلال التفكير به من كافة جوانبه، ثم إذا لم نصل إلى حل نلجأ إلى الاستشارة، فإن لم نصل إلى حل أيضاً نلجأ ساعتئذ إلى الخيرة، لذلك ورد في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار، ولا عال من اقتصد»[١].

وعليه نجد أن الخيرة لا تعني أبداً تعطيلاً للعقل، بل هي حلٌ عقلائي ومنطقي يُلجأ إليه عند حصول ارتباك في تحديد الرأي الأصوب لما يواجهه المستخير من قضايا، وذلك من خلال تساوي جميع الخيارات بالنسبة إليه فعلاً وتركاً.

بين الخيرة والاستشارة:

كما ظهر معنا مما تقدم أن الخيرة تكون بعد فراغ الإنسان من إمكانية أخذ الرأي من خلال التفكير والتدبر وإعمال العقل والمنطق،

(١) كنز العمال الجزء ٧ الصفحة ٨١٣.

وبعد الفراغ من استشارة أهل الرأي والاختصاص ومع ذلك كله لم يستطع حسم رأيه فإنه ساعتئذٍ يلجأ للخيرة.

والاستشارة أمر شجع عليه الإسلام حتى قال البعض بوجوبه على الحاكم قبل اتخاذه أي رأي، خاصة في الأمور المصيرية المتعلقة بشؤون الدولة، لذلك كان النبي ﷺ يستشير أصحابه في الأمور التي لم ينزل بها وحي من الله سبحانه وتعالى، ملتزماً أمر الله ﷻ الذي بينه بقوله سبحانه وتعالى:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[(١)].

فإذا كان رسول الله ﷺ ألزم بالاستشارة وهو القادر على تبين الأمر من الله ﷻ ليأخذ جواباً مباشراً، فهذا دليل على وجوبه علينا بطريق أولى، فإن من يستشير يصل إلى الطريق الصواب، بينما المستبد برأيه مخاطر لا يحمد على فعله وإن سلم.

وقد شجع الإسلام المؤمنين على التشاور فيما بينهم للوصول إلى الرأي الأصوب والقرار الأصلح، وعندما مدح عباده المؤمنين في صفات فيهم، مدحهم بأن أمرهم شورى بينهم فقد قال سبحانه وتعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[(٢)].

فالأمر الذي يتدخل به الله ﷻ إلى حد مدح فاعله أمر مرغوب منه سبحانه وتعالى ولا ينبغي لنا تركه، وقد بينت لنا أحاديث النبي ﷺ كيفية التعامل مع الاستشارة فقد ورد عن رسول الله ﷺ قوله:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٣٨.

«المستشار مؤتمن فإذا استشير فليشر بما هو صانع لنفسه»[1].

فالحث على أن يتعامل المستشار مع من يستشيره على أساس كأنه يقرر لنفسه هو من آداب الاستشارة التي حث عليها الإسلام. وهنا يجب الالتفات إلى أن من شاور العقلاء فإنه يضيف عقلهم إلى عقله، ورأيهم إلى رأيه، وهذا من الحكمة التي يجب أن يتحلى بها كل مؤمن، فقد ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قوله:

«من شاور ذوي الأسباب، دل على الرشاد»[2].

ونحن في كل ما نفعل نستهدف الوصول إلى الأصلح لنا في دنيانا وآخرتنا، وفي بعض الأحيان نكون غير قادرين على تبيان هذا الأمر لوحدنا، بل نحتاج إلى المشاورة التي تصبح واجبة أكثر كلما كان الأمر الذي نريد التعامل معه أخطر.

هل تدلنا الخيرة فعلاً على إرادة الله سبحانه وتعالى؟:

يشكل البعض بهذا الإشكال، وهو أننا عندما نستخير الله سبحانه وتعالى وتأتي الخيرة بأن نفعل ما استخرناه عليه، فهل يجب علينا الإلتزام بمضمون الخيرة؟ وهل تعبر هذه الخيرة عن إرادة الله سبحانه وتعالى، بحيث إننا عندما نخالف الخيرة نكون نخالف إرادة الله عز وجل؟ وهل تكون النتيجة دائماً إيجابية بعد الخيرة؟ وإذا لم تكن كذلك فلماذا نجريها؟ وللإجابة على هذه الأسئلة نقول: أولاً لا يجب من الناحية الشرعية الإلتزام بمضمون الخيرة، وما يفعله البعض من دفع صدقة ثم مخالفتها لا يوجد دليل شرعي عليه، بل هم يستندون في ذلك إلى ما صح من أن الصدقة تدفع البلاء، وهو عندما يخالف الخيرة يخاف أن

---

(١) كنز العمال الجزء ٣ الصفحة ٤٠٩.

(٢) مستدرك الوسائل الجزء ٨ الصفحة ٣٤٢.

يصيبه بلاء ما فلذلك يدفع الصدقة دفعاً للبلاء عن نفسه. ولكن مع كون مخالفة الخيرة لا دليل على حرمتها إلا إنك يجب أن تنتبه إلى إنك عندما تستخير فإنك تفوض الأمر إلى الله سبحانه وتعالى، وعليه فليس من اللائق أن تخالف ما خرج لك من خلال الخيرة، كونك تعتقد أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يرشدك إليه. وقد ورد في هذا المعنى عن النبي داوود عليه السلام أنه قال:

«رب أي عبادك أبغض إليك قال عبد استخارني له في أمر فخرت له فلم يرض به»[1].

فإنك عندما تستخير الله فإنك تستخير علام الغيوب وليس من اللائق أن تستخيره ثم تخالف ما أراه إليك. وأما السؤال أن المخالفة للخيرة هي مخالفة لإرادة الله سبحانه وتعالى فهذا ما لم يقم عليه دليل شرعي، بل إن إرادته تعالى لا تستكشف من خلال هذا الأمر، بل من خلال ما ورد في الكتاب الكريم.

أما السؤال حول أنه هل يجب أن تكون النتيجة دائماً إيجابية، فالحقيقة إن الإجابة على هذا السؤال ضرورية، لأن كثيراً من الناس تراهم يفاجئون عندما تأتي الخيرة للقيام بأمر ما إيجابية، فيفعلون هذا الأمر وتكون النتيجة سلبية، ما يجعلهم يشككون بما هو أكثر من الخيرة بحيث قد يصل في بعضهم للتعرض للدين ونكرانه.

والحقيقة أنه يجب على الذي يستخير أن يفهم مسألة مهمة جداً، وهي أنه ليس بالضرورة أن ما تجده إيجابياً لك الآن أن يكون سلبياً بالنسبة إليك في علم الله سبحانه وتعالى، بل قد تكون إرادة الله تعلقت في أن تفعل هذا الأمر الذي ينعكس عليك سلباً ليرى الله سبحانه وتعالى

---

(١) كتاب الرضا عن الله بقضائه الصفحة ٩٢.

فيما ابتلاك به هل تصبر أو تكفر، وليس بالضرورة أن يكون ما يبطئ عنك أو لا تناله أن يكون شراً لك بل قد يكون الخير في ذلك.

وقد يكون الخير الذي حرمت منه هو أفضل لك، لأنك لو نلته لعلك بطرت وضِعت في متاهات الدنيا التي قد لا تكون قادرا على مواجهة مغرياتها. وهذا ما يشير إليه الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه الذي علمه لأبي حمزة الثمالي وسمي باسمه بقوله:

«فصرت أدعوك آمناً وأسألك مستأنساً لا خائفاً ولا وجلاً مدلاً عليك فيما قصدت به إليك، فإن أبطأ عني عتبت بجهلي عليك ولعل الذي أبطأ عني هو خير لي لعلمك بعاقبة الأمور»[1].

فإن عتبنا على الله سبحانه وتعالى لعدم تحقيق أمر نتمناه هو من جهلنا بحقيقة ما هو الأصلح لنا، فما دلتنا إليه الخيرة وإن جاء على خلاف هوانا وما نتمنى، فإن ذلك قد يكون في مصلحتنا في علم الله عز وجل.

والله عز وجل أدبنا أن نتعاطى مع أمور المستقبل على قاعدة أن الخيرة فيما اختاره الله سبحانه وتعالى لنا، وأن لا نكره ما حصل معنا، فقد يكون ما نظنه خيراً لنا في واقع الأمر شرٌ لنا والعكس صحيح، وقد تكون المصلحة في أن يبتلينا الله بأمر مكروه ليختبر صبرنا ويجزينا عليه الثواب العظيم فقد قال سبحانه وتعالى:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2].

وفي موضوع البلاء وانه تَفَقُّد من الله لنا ليختبر إيماننا وصبرنا ورضانا بقضائه، فإن الآيات كثيرة جداً ومنها على سبيل المثال قوله سبحانه وتعالى:

---

(١) تهذيب الأحكام الجزء ٣ الصفحة ٨٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٦.

﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ﴾[1].

لذلك يجب أن لا ننزعج من العمل على مقتضى الخيرة، ففيها صلاح أمرنا سواء أكان الأمر سلبياً أم إيجابياً.

الخيرة والمستقبل:

يقوم بعض الناس بإجراء الخيرة لمعرفة المستقبل، فيأتي البعض إلينا لطلب الخيرة، وعندما نسأله عن ماذا يستخير يقول أنه يستخير ليعرف أن الأمر الفلاني سيحصل أم لا، والحقيقة إن هذا الأمر يعبر كما قلنا سابقاً عن عدم فهم للخيرة كما وردت أو كما هي واقعاً، فالخيرة هي السعي لمعرفة المصلحة في الفعل أو الترك لأمر ما، وليست لمعرفة ما هو المستقبل من وراء فعله، فالغيب علمه عند الله سبحانه وتعالى فقط، والأنبياء الذين أطلعهم الله سبحانه وتعالى على علمه، لذلك يجب أن لا نستخدم الخيرة للسؤال عن المستقبل فهي لم تُشرع لذلك ولا هي كذلك.

الخيرة والتفاؤل:

هناك من يلجأ إلى الخيرة على قاعدة التفاؤل، فهو في قرارة نفسه يكون قد أتخذ قراره في أن يفعل الأمر وصمم على ذلك، ولكنه يلجأ إلى الخيرة للتفاؤل في أن ما يفعله ستكون عاقبته خيراً أم لا، والحقيقة إن الخيرة بهذا المعنى فيها إشكال إن كان المقصود طلب التعرف إلى الغيب كما بينا فيما سبق، أما إذا كان المقصود التفاؤل بحيث أن يُعرض المتفائل عن الفعل إن لم يكن الفال جيداً، أو يقدم عليه إن كان الفال حسناً، فلا مانع منه من الناحية الشرعية المهم أن نعرف أننا لا نريد من

(١) سورة محمد، الآية: ٣١.

وراء الخيرة التعرف على المستقبل بمعنى الإطلاع على الغيب، فهذا غير موجود، أما التفاؤل بمعنى أن نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرشدنا إلى ما إذا كان هذا الفعل خيراً أم لا فهذا لا إشكال فيه.

إشكالات على الخيرة:

أشكل البعض ومنهم الطبري في تفسيره، والزمخشري في الكشاف، وآخرين على الخيرة باعتبارها من الإستقسام بالأزلام الذي نهى عنه الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم بقوله:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١].

ونحن كنا قد تعرضنا لهذا الموضوع فيما سبق من جهة أخرى، وهنا سنتوسع في تبيان هذا الإشكال والرد عليه. فقد أعتبر عدد من المفسرين أن الخيرة هي نوع من الإستقسام بالأزلام الذي نهى عنه الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة، والإستقسام بالأزلام كما ورد في لسان العرب:

«الزلم بضم الزاي والجمع الأزلام وهي السهام التي كان أهل الجاهلية يستقسمون بها، (إلى أن قال): وفي التنزيل العزيز: وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق، قال الأزهري رحمه الله: الإستقسام مذكور في موضعه، والأزلام كانت لقريش في الجاهلية مكتوب عليها أمر ونهي

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

وأفعل ولا تفعل، قد زلمت وسويت ووضعت في الكعبة، يقوم بها سدنة البيت، فإذا أراد رجل سفراً أو نكاحاً أتى السادن فقال: أخرج لي زلما، فيخرجه وينظر إليه، فإذا خرج قدح الأمر مضى على ما عزم عليه، وإن خرج قدح النهي قعد عما أراده، وربما كان مع الرجل زلمان وضعهما في قرابه، فإذا أراد الإستقسام أخرج أحدهما، ...»[(١)].

ومن هذا العرض نفهم منشأ الإشكال، وهو التشابه الواضح بين الإستقسام بالأزلام المنهي عنه، وبين الخيرة خاصة خيرة السبحة أو خيرة ذات الرقاع.

والرد على هذا الإشكال يكون من خلال مسألتين:

الأولى: إن الإستقسام بالأزلام لم يرد بهذا المعنى فقط، بل ورد بمعنى القمار فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«إن الأزلام عشرة، سبعة لها أنصباء، وثلاثة لا أنصباء لها، فالسبعة هي: الفذ، والتوأم، والرقيب، والحلس، والنافس، والمسيل، والمعلى، فالفذ له سهم، والتوام له سهمان، والرقيب له ثلاثة، والحلس له أربعة، والنافس له خمسة، والمسيل له ستة، والمعلى له سبعة، والثلاثة الباقية هي: السفيح والمنيح والوغد، وكانوا يعمدون إلى الجزور فيجزئونه أجزاء، ثم يجتمعون فيخرجون السهام ويدفعونها إلى رجل، وثمن الجزور على من لم يخرج له شيء من العقل، وهو القمار»[(٢)].

وهذا ما يدل على أن الإستقسام بالأزلام وردت بمعنى آخر قد يكون هو المقصود بالنهي، مما لا يساعد على الاستناد إلى هذه الآية الكريمة في التحريم، حيث أن المعنى بات مردداً بين تفسيرين يحتاج

---

(١) لسان العرب الجزء ١٢ الصفحة ٢٧٠.

(٢) مستدرك الوسائل الجزء ١٣ الصفحة ٢٢٦.

اعتماد أحدهما إلى قرينة غير موجودة، وعندما يكون معنى الآية الكريمة مردداً فلا تكون صالحة للاستدلال.

الثانية: إن الإستقسام الذي كان يقوم به الكفار على فرض أنه كان فقط لمعرفة ما يجب عليهم القيام به كالخيرة، إنما كانوا يقومون به على أساس أن هذا الصنم، أو الصدفة، أو أي شيء آخر هو الذي يحدد لهم الصالح فيما يجب عليهم القيام به، أما ما نقوم به نحن في الاستخارة فإننا نلجأ إلى الله سبحانه وتعالى من خلال الصلاة أو الدعاء سائلين إياه أن يوفقنا لاختيار الأفضل أو أن يختار لنا الأفضل، وفرق كبير بين أن نلجأ إلى الصنم، أو إلى الصدفة، أو إلى الطبيعة، وبين أن نلجأ إلى الله سبحانه وتعالى، وبالتالي لا تصلح هذه الآية الكريمة لكي تكون دليلاً على حرمة الخيرة.

مشاكل عملية:

كما أي فعل حتى لو كان شرعياً هناك من يسيء استخدامه فيتحول عن مقصده الإيجابي ليصبح له انعكاس سلبي على واقع الحياة، والخيرة واحدة من هذه الأفعال التي أساء الناس استخدامها، فوقعوا في مشاكل سنعرض فيما يلي لأهمها وهي على الشكل التالي:

١ ـ الخيرة في كل شيء:

بعض الناس تحولت الخيرة بالنسبة إليهم بديلاً عن عقلهم، حتى باتوا لا يتحركون بأي فعل مهما كان بسيطاً إلا بعد الاستخارة، فهم إذا أرادوا أن يختاروا نوع الطعام الذي يريدون أكله لجئوا إلى الخيرة في ذلك، وإذا أرادوا الإجابة على مسألة رياضية استعملوا الخيرة لاختيار الحل الذي سيعتمدونه، وكذلك إذا أرادوا الذهاب الطبيب فإنهم قد لا يذهبون إليه وهم أشد ما يكونون بحاجة إليه إلا بعد الاستخارة، وهذا

الأسلوب هو قطعاً مخالفٌ لأصل تشريع الخيرة، ولإرادة الله سبحانه وتعالى لنا في موضوع كيفية إدارة حياتنا، فإن الله سبحانه وتعالى أعطانا العقل وطلب منا أن نستعمله، وأن لا نقوم بأي فعل إلا بعد أن نُعمل عقلنا في اختيار الأفضل لنا في الدنيا والآخرة، أما ما يفعله هؤلاء الذين وصلوا في أسلوبهم الخاطئ إلى حد أنهم صاروا يُجْرون الخيرة في كل شيء بغض النظر إن كان هناك مصلحة في إجرائها أم لا، فهم مخطئون ولا يطبقون الخيرة بالنحو الذي شرعه الله سبحانه وتعالى لنا، حيث أن الخيرة هي عمل يلجأ إليه الإنسان المؤمن إذا ما وصل إلى حالةٍ من التردد لا يستطيع معها اتخاذ قرار، بل يصبح أمامه كل الاحتمالات متساوية، لذلك بعد أن يُعمل عقله ومن ثم يستشير من هو أهل للاستشارة يمكن أن يلجأ للخيرة حيث انه لا يوجد أمامه سبيل أفضل للاختيار.

وهنا لا بد من الإلفات أن الخيرة تتعلق بالأفعال، وهي على أنحاء خمسة من حيث التكليف الشرعي، وبالتالي فالواجبة والمحرمة لا مجال للخيرة فيها لأن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[1].

ولذلك لا مجال أن يكون للإنسان أي خيار فيما قضى به الله ﷻ على نحو الجزم بأن حرّمه أو أوجبه. أما المستحب فهو أمر راجح فعله، وبالتالي لا حاجة لأن تستخير عليه، لأنه لا خيرة على الإقدام على فعل الخير، نعم لا بأس بالخيرة بترك مستحب إلى آخر أن لم يمكن الجمع بينهما، أو كما لو كان معك مبلغاً محدداً من المال يكفي لشخص واحد وتريد التصدق به وترددت بين شخصين أو جهتين. وأما المكروه فلا مجال

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

للاستخارة على تركه إذ إن رأي المولى سبحانه وتعالى أن نترك هذا الأمر، وبالتالي لا معنى للاستخارة على فعله أو تركه. أما الخيرة على المباح فهو المورد الأساسي لها ولا مانع من جريانه فيها. وكذا لا مانع من الخيرة على فعل الواجب والمستحب في كيفية فعلهما أو القيام بهما.

٢ ـ خيرة الزواج:

من الأمور التي تحصل كثيراً في الخيرة هو الاستخارة للزواج، وهذا كثيراً ما كان يلجأ إليه كلا الطرفين الزوجة والزوج ومن دون أي تفكير سابق في أصل الموضوع، وفي شخصية المتقدم من ناحية دينه وعائلته وأخلاقه وبيئته، بل يستخيرون فإن كانت جيدة تزوجوا، وإن كانت غير جيدة رفضوا المتقدم، ثم بعد فترة كانت تأتينا الزوجة أو الزوج ليطلبا الطلاق، وبالتدقيق عندما نسأل كيف تم الاقتران ولا يوجد قواسم مشتركة بينكما تؤدي إلى زواج ناجح، وإنكما لو سألتما عن بعضكما البعض لما كنتما أقدمتما على هذا الزواج، فإذا بهما يقولان أو أحدهما الذي يريد الترك أنا اعتمدت على الخيرة وكانت ممتازة وأستغرب كيف أن النتيجة كانت كذلك، وعندما نسأل هل فكرت بالموضوع؟ هل سألت عن الشريك الذي كنت تريد الاقتران به، عن شخصيته ودينه وأخلاقه؟ وهل أجريتما عملية تقييم لظروفكما الاجتماعية والفكرية؟ فإذا بالجواب هو إننا اعتمدنا على الخيرة، وهنا المشكلة الكبرى لأن الزواج هو مؤسسة تستمر بحسب المعتاد فترة طويلة تصل في بعض الأحيان لتشمل كامل عمر الزوجين، فالمسألة مسألة عمر وليست مسألة أيام أو شهور، لذلك يجب أن يكون الاختيار مستنداً إلى المنطق والعقل والسؤال والتعرف على الشريك، وبعد إجراء كل ما هو مطلوب من الناحية المنطقية والعقلية ثم لا يجد هناك من مانع من الاقتران، ومع ذلك بقي في القلب شيء يحتاج إلى ما يزيله هنا يمكن لنا أن نلجأ إلى الخيرة لأنها ساعتئذ تساعدنا على إزالة التباس لم يستطع

المنطق والعقل أن يزيله، حيث أنه من المعروف أن بعض حالات الخوف الوجداني قد لا تكون محكومة بالمنطق والعقل، إذ إنها في الأساس كحالة وجدانية نفسية تقع خارج إطار المنطق والعقل.

٣ ـ الخيرة في الأمور المصيرية:

هذه الحالة تجدها عند بعض من هم في موقع المسؤولية العامة، فإن بعضهم وفي مسائل مصيرية وخطيرة يتعطل تفكيره وتنتابه حالة خوف، فإذا به يلجأ إلى الخيرة لاتخاذ قرار مصيري قد يتعلق به مصير جماعة من الناس تكبر أو تصغر على حسب كبر وصغر مسؤولية هذا الشخص، والحقيقة تقال إن شخصاً بهذا المستوى يتعطل تفكيره أو يعطله أمام واقعة صعبة ويلجأ إلى الخيرة لتقرر عنه، هكذا شخص لا يستحق أن يكون في الموقع الذي هو فيه وغير جدير بحمل أمانة قيادة الناس، لأن مسؤوليته تفرض عليه أن يُعمل عقله أولا، وأن يستشير أهل الحل والعقد من المؤمنين المخلصين ثانياً، ليتوصل معهم إلى الخيار الأفضل لمواجهة الأزمة التي تعصف بهم، نعم لو كان الأمر بعد إِعمال العقل والمنطق، واستخارة أهل الحل والعقد يدور بين أمرين يتساوى القرار بينهما سلباً وإيجاباً يمكن ساعتئذ اللجوء للخيرة، وهنا أرى أن اللجوء لذلك يجب أن يبقى محصوراً في نطاق ضيق، وبعد بذل الجهد الكبير في سبيل الوصول إلى القرار الأنسب بحيث تكون الخيرة خياراً اضطرارياً ثانوياً لا أمراً أولياً يعطل المنطق والعقل. ولو كانت الخيرة بهذه الأهمية وأرادنا الرسول ﷺ اللجوء إليها في هذه المواطن لأستعملها ﷺ كي يعلمنا بان نلجأ إليها في هكذا مواضع، ولكن الرسول ﷺ لم يستعمل سوى الاستشارة لأصحابه في حروبه وغزواته والأمور المصيرية التي تتعرض لها الأمة، وبعد الاستماع لمشورتهم يتخذ القرار المناسب، وهذا ما ورد في القرآن الكريم بقوله سبحانه وتعالى:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[1].

فالأساس هو القرار الذي سيتخذه الرسول ﷺ بصفته قائداً، بعد أن يستشير أصحابه وهكذا يجب أن تكون كل قيادة في أمتنا اليوم.

ولا يرد في هذا المجال الإشكال الذي ذهب إليه البعض بان قال: إن النبي ﷺ يطلع على الغيب من خلال أوامر الله سبحانه وتعالى لذا فهو غير محتاج للخيرة، أما نحن البشر العاديون فنحن بحاجة للخيرة التي نلجأ إليها لطلب العون من الله سبحانه وتعالى، ذلك أن النبي ﷺ كما قلنا لو وجد أن هذا الأمر يجب أن يقوم به المسلمون في قضاياهم المصيرية لعلمهم إياه، ولقام به كي يكون سنة، أما وقد تركها النبي ﷺ وأغفلها فهذا دليل على أنها لا تُستعمل في هذه الأمور أولاً، بل المرجع كما قلنا العقل والتفكير والمشورة لأهل الحل والعقد.

٤ ـ الخيرة والتبصير:

قلنا أن الخيرة هي محاولة استكشاف القرار الأفضل لأمر ترددنا في اتخاذ قرار بشأنه، ولكنها ليست أبداً طريقاً لمعرفة المستقبل، بل إن المستقبل بما هو علم بالغيب هو من مختصات علم الله سبحانه وتعالى، ولا يجوز أن يدعي أي شخص أنه يعلم بما يحصل في المستقبل، ولكن المشكلة أن البعض صار يلجأ إلى الخيرة لمعرفة ما سيحصل في المستقبل، وصاروا يبنون قراراتهم المستقبلية بناء لهذه الخيرة، فعلى سبيل المثال يريد شخص ما أن يمارس تجارة ما فإذا به يستخير على نجاح هذه التجارة، وليس على كون هذا العمل جيدٌ القيام به أم لا،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

فإذا خرجت الخيرة جيدة أقدم عليه، لا على أساس أنه جيد القيام به، بل على أساس أن الخيرة دلته على أنه سيربح من خلال هذا العمل، وهذا مخالف لمفهوم الخيرة من الناحية الشرعية، لأن الخيرة تتعرض لتحديد المصلحة في نفس العمل، لا أن نتيجته ستكون ربحاً أو خسارة، فليس هو رجم بالغيب كما قلنا. ثم بعد ذلك يكتشف أنه خسر في تجارته فيستنكر كيف كانت الخيرة جيدة، ويتهم الشيخ بأنه لم يكن متوجهاً لله أثناء استخارته، ولكنه لو كلف نفسه أن يوضح للشيخ السبب في الاستخارة لكانت الإجابة أنه ليس لمثل هذه الأشياء كانت الخيرة ولما وقع بما وقع فيه.

باختصار الخيرة وإن لم نجد في الأدلة الشرعية ما يدل عليها على نحو إثبات استحبابها، إلا إنه وحيث أن هناك سيرة عقلائية ومتشرعية على القيام بها من دون أية معارضة فإن ذلك يدل على إباحتها على الأقل، ومع ذلك فإننا نرى أنه لا مانع من الناحية الشرعية من القيام بها برجاء المطلوبية، وهي من ناحية أخرى نوع من أنواع الدعاء يلجأ إليه المؤمن عند الحيرة يسأل الله سبحانه وتعالى أن يُعينه على اختيار الأفضل له من الأمور التي يواجهها وهذا قطعاً لا مانع منه شرعاً، بل هو مستحب كونه يعتبر تسليماً بوعد الله سبحانه وتعالى لنا بأنه سيجيبنا عندما نلجأ إليه في المصاعب والملمات، ويجب أن يكون واضحاً أن الخيرة ليست تبصيراً نستدل من خلاله على الغيب وما سيحصل في المستقبل، بل هي طريقة عملية دلنا عليها الإسلام للخروج من حالة تردد أمام أمر نريد أن نتخذ قراراً به، مستعينين في ذلك بتوفيق الله سبحانه وتعالى وتأييده، وأيضاً يجب الالتفات إلى أن الخيرة لا تقوم مقام العقل ولا تلغي دوره، بل إن دورها يأتي بعد التفكير العميق في الأمر الذي نواجهه وتقليبه من كل جوانبه ودراسته بعمق، ثم بعد ذلك اللجوء إلى استشارة من يمتلك القدرة على إرشادنا للرأي الصائب من أهل الخبرة في المجال

الذي نريد اتخاذ القرار فيه، ومن هنا لا مانع من اللجوء إلى الخيرة بالشروط التي تحدثنا عنها، على أن تكون ملجئاً لنا في الحالات التي لا نجد فيها حلولاً منطقية وعقلية لما نواجهه من أمور، بحيث نبقى أمام الخيارات المتاحة مترددين لا نعرف أي قرار هو الأفضل والأصوب فتكون الخيرة علاجاً عملياً لنا.

(٤)

اليأس والانتحار

حرمة اليأس:

يعتبر اليأس من المشاكل الشائعة في هذه الأيام، حتى بات هو والاكتئاب والقلق مرض العصر الذي زادت فيه الأمراض النفسية بشكل كبير، والسبب الأكبر الذي يعود له اليأس والانتحار هو قلة الدين والبعد عن الإيمان والأخلاق، والإنسان غير المؤمن إذا ما كانت أمور حياته مرتاحة تراه مفعمٌ بالأمل وفخور بنفسه، فإذا ما تعرض لنكسة صغيرة كانت أم كبيرة تحول مباشرة إلى حالة اليأس، أما المؤمن فإنه يتعاطى مع المسألتين بروح الإيمان الذي لا يجعله يبطر عندما تتفتح أمامه طاقات الفرج، ولا ييأس إذا ما فتحت عليه المصائب والبلاءات، وقد وصف الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم هذه الحالة بقوله:

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝٩ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝١٠ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١١﴾[1].

(١) سورة هود، الآيات: ٩ ـ ١٠ ـ ١١.

فالله عز وجل يقول إن الإنسان الذي إذا ما نزع منه الرحمة التي كان يمن بها عليه فإنه يؤوس كفور، في حين إنه لو أذاقه النعمة بعد الضر إذا به يعيش حالة الفرح والغرور والفخر، بينما كان المطلوب منه أن يكون في الحالة الأولى صبوراً محتسباً يرجو رحمة الله سبحانه وتعالى، وفي الحالة الثانية يجب أن يكون شاكراً لله ما أنعم عليه وأن لا يبطر.

وفي مجال آخر يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم عن اليائس بأنه كافر لأنه لا يرجو رحمة الله عز وجل، والذي يعيش حالة أن الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يرحمه ويمن عليه بعطاء مع أنه سبحانه وتعالى وعد بذلك، فإنه قطعاً كافرٌ برحمة الله سبحانه وتعالى، ولذلك قال الله عز وجل في كتابه الكريم ما نصه:

﴿يَـٰبَنِيَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[1].

واليأس هو إحدى الصفات الأبرز للمنافق، ذلك أن المنافق يدعي حسن ظنه بالله وإيمانه به، وهو في واقع الحال كاذب في دعواه هذه، لأنه عند إصابته بأول إشكال أو بلوى تراه قانطاً يائساً مبتعداً عن الله سبحانه وتعالى شاكاً برحمته، فلو مات على هذه الحالة مات منافقاً، وقد ورد في هذا المعنى عن أمير المؤمنين علي عليه السلام عندما تحدث عن صفة المنافقين أنه قال:

«... حسدة الرخاء، ومؤكدوا البلاء، ومقنطو الرجاء ...»[2].

فإذا أصبت ببلاء فيأست من أن يخرجك الله سبحانه وتعالى منه كتبك الله منافقاً لأنك كما قلنا تدعي ما ليس فيك.

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٨٧.

(٢) نهج البلاغة الجزء ٢ الصفحة ١٦٦.

أسباب اليأس:

أسباب اليأس كثيرة بشكل يصعب إحصائها ضمن المجال المتاح، ولكنني سأتعرض لأهم العناوين التي تسبب هذه الحالة مستنداً في ذلك إلى التجربة العملية التي استندت إلى مشاكل عالجناها، أو حتى تلك التي لم نستطع الإجابة عليها وهي على الشكل التالي:

أ ـ الفشل الدائم:

ليس كل الحياة نجاحات، بل إن طبيعة الحياة الإنسانية تفرض أن تتنوع الظروف بين النجاح والفشل، وفي بعض الحالات قد تكون حياة شخص ما تذخر بالفشل الدائم، وقد لا يكون هو السبب المباشر لهذا الفشل، بل إن الحظ العاثر كما يُقال هو الذي يؤدي لذلك، وإن كنت اعتقد أن المسألة ليست مسألة حظ وعدمه، بل إن الأمور مرتبطة بظروف موضوعية لم تتحقق، أو عدم توفيق إلهي ناتج أيضاً عن تهيئة الظروف الموضوعية التي يجب توافرها في كل عمل ليكون ناجحاً، المهم إنه ونتيجة لهذا الفشل المستمر والمتمادي، وأيضاً لقلة إيمان المرء يدخل اليأس إلى قلبه، مما يدخله على الصعيد العملي فيما لا تحمد عقباه من تصرفات، وقد ورد عن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام انه قال:

«لا تيأس من الزمان إذا منع، ولا تثق به إذا أعطى، وكن منه على أعظم الحذر»[1].

فلا يجب أن يدعوك أي فشل إلى أن تيأس من رحمة الله سبحانه وتعالى وقدرته على أن ينقذك مما أنت فيه، بل حتى إذا كنت في حالة نجاح دائم فلا يغرنك ذلك ولا يجعلك تثق أنك لن تقع في بلاء لاحقاً، بل إن المطلوب هو أن لا تثق بالزمان فالدهر كما في المثل يومان يوم لك ويوم عليك.

---

(١) عيون الحكم والمواعظ الصفحة ٥٢٣.

ب ـ ارتكاب ذنب عظيم:

من الأمور التي تسبب اليأس لدى شخص ما هو وقوعه في ذنب كبير يحس معه أن الله سبحانه وتعالى لن يغفر له، كأن يزني مثلاً بامرأة محصنة وهذا جرم عظيم ويؤدي بفاعله إلى أن يُرجم حتى الموت فيما لو طبق الحكم الإسلامي، وحيث أن لا مجال لتنفيذ هكذا أحكام في دول لا تنفذها بسبب كونها دولة لا تحكم باسم الإسلام يظن هذا الشخص أن لا مجال لتطهير نفسه، بل إنه يعتبر أنه سيدخل النار ولا مجال للتوبة فيعيش حالة يأس قد يصل معها إلى الانحراف الكامل عن الدين الحنيف وعند بعضهم إلى حالة نفسية تتعاظم إلى حد الانتحار.

وهذه الحالة لا يقرها الشرع الحنيف، بل إن الإسلام يدعو المسلم إلى عدم القنوط وعدم اليأس من رحمة الله سبحانه وتعالى، فقد قال ﷻ في كتابه الكريم:

﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1].

فمهما أسرفت على نفسك من ذنوب، فإن الله سبحانه وتعالى إن وجد منك حسن النية في التوبة، فإنه مستعد لأن يغفر لك كل ما أذنبته لأنه الغفور الرحيم. وفي نفس معنى الآية الكريمة ورد عن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام من وصيته لأبنه الإمام الحسين عليه السلام أنه قال:

«أي بني، لا تؤيس مذنباً، فكم من عاكف على ذنبه خُتم له بخير، وكم من مقبل على عمله مُفسد في آخر عمره، صائر إلى النار، نعوذ بالله منها»[2].

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

(٢) تحف العقول الصفحة ٩١.

وهذا الحديث فيه من المعاني التربوية الشيء الكثير، لكن لن ندخل بها بل سنتعرض إلى موضوع البحث، فنقول: إن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام يقول لولده الإمام الحسين عليه السلام: إنك لو وجدت مذنباً مغرقاً في ذنوبه فلا تؤيسه من رحمة الله سبحانه وتعالى وإمكانية أن يغفر له، فكم من مذنب ختم الله سبحانه وتعالى بخير، وكذلك ليس كل من هو مؤمن اليوم سيختم حياته مؤمناً بالضرورة، فكم من مؤمن في بداية حياته انحرف في نهايتها فصار من أهل النار نعوذ بالله منها.

ج ـ المرض المزمن:

من موارد اليأس عند بعض الناس إصابتهم بمرض مزمن لا شفاء منه، مع ما يصاحب هذا المرض من أوجاع جسدية مادية وعصبية نفسية تتطور لدى بعض هؤلاء إلى حالة يأس من كل ما حولهم، فبعضهم يتجه نحو الكفر بالله والعياذ بالله، وبعضهم يضعف إيمانه بحيث يصبح لا يرجو رحمة الله سبحانه وتعالى مما هو فيه، إن هذه الحالة من اليأس والتي ليست هي حالة يأس من الرحمة بمعنى العفو والغفران، وإنما هي حالة يأس من الرحمة بمعنى الأمل بأن ينظر إليه الله سبحانه وتعالى نظرة عطف فيشفيه، متناسياً أن قدرة الله عز وجل تشمل كل الحالات حتى الميئوس منها أليس هو القائل في كتابه الكريم:

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[1].

نعم إن الله سبحانه وتعالى هو الذي يمن بالشفاء ولا يوجد حد لقدرة الله عز وجل، فهو القادر على كل شيء ويكفي قصة النبي أيوب عليه السلام الذي وصل به الأمر إلى حدود مرضية خطيرة، ومع ذلك لم ييأس من رحمة الله سبحانه وتعالى. وهذا ما صوره لنا القرآن الكريم بقول الله سبحانه وتعالى:

(١) سورة الشعراء، الآية: ٨٠.

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾[1].

فحالة نبي الله أيوب عليه السلام ليست حالة عادية، بل هي مرض بحسب المقاييس الدنيوية لا شفاء منه أدى فيما أدى على حسب ما تنقل لنا الروايات إلى تناثر لحمه وتساقطه بحيث هرب منه كل من هو قريب وبعيد وقام هو عليه السلام باجتناب الناس لا هرباً من واقعه، بل تخفيفاً عنهم من المنظر السيء الذي وصل إليه عليه السلام، وبنفس الوقت هو مرض مزمن لا رجاء لشفائه من خلال الأدوية والعقاقير، فلجأ إلى رحمة الله سبحانه وتعالى فأستجاب الله عز وجل لأن أيوب عليه السلام لا يدعو الله سبحانه وتعالى إلا من قلب مطمئن برحمة الله سبحانه وتعالى واثق من الإجابة.

د ـ المرض العضال:

في حالة المرض العضال لا تستمر الحالة فترة طويلة، بل إن العلم يقول أن هذه الحالة تنتهي ضمن مهلة محددة بالموت، كما في المصابين بمرض السرطان الذي لا شفاء منه، فإنهم يعرفون بأنهم سيموتون بعد فترة كثيراً ما يحددها الطبيب ضمن مهلة يتصورها على أساس سرعة تكاثر الخلايا السرطانية في الجسم، وطبعاً لا يوجد طبيب يحدد بصورة قاطعة الساعة التي سيتوفى بها المريض، ولكنه يضع تصوراً أن هذه الحالة تؤدي إلى الموت في غضون ثلاثة أشهر مثلاً، وواقع الحال هنا لا يعني أن هذا الطبيب يرجم بالغيب بقدر ما يعني أنه يستطيع أن يقدر بسبب ما اطلع عليه من حالات مشابهة تماماً، كما تقول لمن سيتناول السم مثلاً أنك ستموت اليوم أو الآن في صورة السم السريع، فإن قولك هذا ناتج عن علم فيما وضعه الله سبحانه وتعالى بالسم من قدرة للقتل،

---

(١) سورة الانبياء، الآيتان: ٨٣ ـ ٨٤.

فهو علم بالأمور من خلال أسبابها وليس رجماً بالغيب، المهم إن هذا الإنسان الذي يُخبر بأنه سيموت في غضون فترة محددة يختلف تصرفه باختلاف قوة إيمانه وضعفها، فمنهم من ييأس ويصل اليأس عنده إلى حالة عدم التصديق بقدرة الله على شفائه وإطالة عمره، مع انه يعلم تماماً أن الأعمار بيد الله سبحانه وتعالى، وكثيرون هم الذين قيل لهم أنهم ميتون بعد أشهر وبقوا سنوات، ذلك أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يحدد الأجل الذي يموت به الإنسان، وقد قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[1].

في حين أن منهم من تصل به الحالة هذه بل أقل منها سوءاً إلى اليأس، بل إلى الكفر بالله العظيم والعياذ بالله، متهماً إياه بالظلم كونه مرض هذا المرض، ومنهم من يدخل في حالة جنون، في حين إن المؤمن يستبشر بلقاء ربه، فيبتدئ بإعداد العدة للقاء الله سبحانه وتعالى من خلال تجهيز كل الأمور التي يحتاجها في رحلته القريبة نحو الدار الآخرة، ويعتبر أن هذا المرض الذي ابتلي به هو بلاء من الله يرجو أن يكون كفارة لذنوب ارتكبها في حياته، ولكنه مع ذلك يأمل بأن الله سبحانه وتعالى قد يمن عليه بالشفاء. وقد عرفنا في حياتنا اليومية العديد من المرضى بمرض عضال نهايته الموت أنهم شفوا بإذن الله بسبب عمق إيمانهم به، مع ما يساعد ذلك في تقوية الروح المعنوية للمريض، وهذا ما ينعكس إيجاباً على قوة وقدرة الجسم على المواجهة.

هـ ـ وفاة عزيز:

بعض الأشخاص يبتلون بوفاة قريب عزيز عليهم، فإذا بهم يصابون

---

(١) سورة يونس، الآية: ٤٩.

بحالة من الإحباط واليأس لا علاج لها، والسبب في ذلك هو انغماس الشخص بالدنيا بحيث تراه ينسى أن كل إنسان سيموت، وأن الموت حق لا مجال للهروب منه، والمشكلة الأكبر عند هؤلاء عندما يكون الميت أبنهم، وتتعاظم هذه المشكلة عندما يكون الابن هذا صبياً وحيداً، ولا مجال لإنجاب غيره، فإن الصورة والحال هذه صعبة جداً وبلاء واختبار لا يقف أمامه إلا من كان قوياً صابراً مؤمناً محتسباً مدركاً أن كل نفس ذائقة الموت، وأن الحل لا يكون باليأس ولكن بالدعاء والترحم على الميت فلا نلبث أن ندركه قريباً، وعليه أن يتأسى بنبي الله إبراهيم عليه السلام الذي سأل الله سبحانه وتعالى ولسنين طويلة أن يرزقه ولداً، فإذا بهذا الولد الذي هو إسماعيل عليه السلام يأمره الله سبحانه وتعالى أن يذبحه، ولم يتردد لا الأب الذي سيخسر بهذا الذبح فلذة كبده ومنية عمره بيده هو لا بيد عدوه من أن يقدمه للذبح، وكذلك لم يتوانى الولد المؤمن الطاهر أن يطلب من أبيه أن يفعل ما يؤمر، وهذا ما قدمه لنا القرآن الكريم بصورة جميلة حيث قال الله سبحانه وتعالى:

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾(١).

فالأصل عند أولياء الله الصالحين هو الإلتزام بالتكليف الشرعي حتى لو أدى إلى خسارة الحياة، إذ ليست هذه الحياة الدنيا هي التي نسعى إليها بل الآخرة هي الحياة الحقيقية لنا كمؤمنين.

وصورة أخرى مشرقة لهذا الموضوع هي صورة نبينا رسول الله محمد ﷺ الذي رزقه الله أبنه إبراهيم، وما لبث أن أخذه منه وهو أبنه الذكر الوحيد فكيف تصرف؟ لقد قال بكل رباطة جأش وأبنه الوحيد يجود بنفسه:

---

(١) سورة الصافات، الآية: ١٠٢.

«لولا أن الماضي فرط الباقي، وأن الآخر لاحق بالأول لحزنا عليك يا إبراهيم، ثم دمعت عينه وقال ﷺ: تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي الرب، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون»[1].

هذا التصرف من المعلم الأكبر يدلنا على أن فراقنا عن أحبتنا إنما هو فراق بسيط لا نلبث أن نلتقي بهم بعده، والفترة مهما طالت لن تكون بمقياس الحياة الآخرة إلا كطرفة عين، ولكن الأهم هو أن يكون اللقاء يوم القيامة عند الله ﷻ لقاء فرح وسرور بهدية منه سبحانه وتعالى أن نكون في الجنة مع الصديقين والشهداء والصالحين.

و ـ رسوب في الامتحان:

في بعض الأحيان يكون الرسوب في الامتحان المدرسي أو العملي كالذي يتقدم للوظيفة سبباً لوقوع الراسب في اليأس، وخاصة إذا ما تكرر الأمر لأكثر من مرة، وتشتد الأزمة عليهم في حالة أنهم لا يجدون أن هناك سبباً موضوعياً لرسوبهم، فتراهم يعيشون حالةً من ضياع ناتج عن عدم وجود مبرر موضوعي لهذا الرسوب، فيلجئون لإلقاء العبئ على الحظ العاثر، في حين أنه لو درس الموضوع بدقة وبصورة موضوعية لوجد أن هناك سبباً واقعياً لما وقع فيه، ولا يوجد أي شيء أسمه حظ عاثر، فلو قام بمراجعة الأسئلة الموجهة له في الامتحان بدقة، ولم يتسرع وراجع الإجابات قبل تقديمها للأستاذ لوجد أنه يمكن أن لا يقع بالرسوب الذي وقع فيه، ودائماً هناك سبب مقبول ومنطقي وموضوعي لأي فشل يقع به الإنسان، ولا يجوز أن نستسلم لأول فشل نقع فيه حتى لو تكرر هذا الفشل، بل لا بد من مواجهة هذا الواقع وإعادة المحاولة مرة أخرى متجاوزاً أسباب الفشل السابق وقطعاً سينجح لاحقاً.

---

(١) تحف العقول الصفحة ٣٧.

ز ـ خسارة أموال:

قد يكون الإنسان يعمل بالتجارة، وفي إحدى تجاراته يقع في خسارة كبيرة قد تضيع كل ثروته بسببها، فإذا به يصل إلى مرحلة من اليأس تتطور إلى حالة خطيرة قد تؤدي إلى انتحاره، ذلك أنه يعتبر أن هذه الأموال وهذه التجارة هي كل حياته، بحيث لا يعود هناك أي قيمة لحياته بعد خسارة كل شيء. وقد يفكر بأنه إذا لم يعد لديه أموال فإنه سيضطر للعمل أجيراً عند الناس بعد أن كان صاحب عمل، وقد يضطر لبيع الشقة أو القصر الذي يملك ليسكن في شقة صغيرة أو حتى غرفة بسيطة، كل هذا يجعله عاجزاً نفسياً عن مواجهة الواقع، خاصة إذا كان إنساناً غير متدين والمال بالنسبة إليه هو كل شيء في حياته، في حين أن الله سبحانه وتعالى حثنا على أن لا نحزن على ما نخسره في حياتنا، لأن القيمة الأساسية في الحياة الأخرى فقال في كتابه الكريم:

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾[1].

فإذا وطّن الإنسان نفسه على أن كل ما يصيبنا مكتوب لنا، فلن يعيش حالة الأسى والحزن واليأس، فإن الله سبحانه وتعالى كما كتب لنا المصيبة اليوم قد يكون في علمه أنني غداً سأكون مرزوقاً ويعطيني الله ﷻ ما حرمني منه بالأمس، وحتى لو أعطاني، فلا يجوز لي أن أعيش حالة الاختيال والفخر لأن الله سبحانه وتعالى لا يحب كل مختال فخور.

ح ـ خسارة بقمار:

في بعض الأحيان يقوم شخص ما بخسارة كل أمواله من خلال

---

(١) سورة الحديد، الآيتان: ٢٢ ـ ٢٣.

المقامرة، فيصبح بعد أن كان غنياً فقيراً لا يملك من حطام الدنيا شيئاً، ومن الطبيعي أن المدمن على القمار إنسان لا علاقة له بالإيمان، لأن القمار من أوضح المحرمات الشرعية والتي نص عليها القرآن الكريم، وعليه فهو لا يؤمن بالله ولا يثق به، وهو طبيعياً إنسان مادي متعلق بالدنيا وحريص عليها، ولأنه خسر كل ماله فإنه يعتبر نفسه قد خسر كل شيء في حياته، فيعيش حالة من اليأس قد تصل به إلى حالة عدم الإحساس بقيمة الحياة فيأخذ قراراً بإنهائها وينتحر.

ط ـ ضحية جريمة شرف:

من الأمور التي تكون سبباً لليأس والتي كنا نعيشها من خلال ما يعرض علينا من قضايا هو المرأة التي تكون ضحية لاعتداء جنسي، فإن كثيراً من النساء اللواتي يتعرضن لمثل هذا الاعتداء يعشن حالة نفسية صعبة جداً، وهذا طبيعي في أي مكان في العالم، ولكنه قاس جداً في البلاد التي تعتبر قضية الشرف قضية أساسية، وعليها يتوقف العيش بعز أو العيش بذل، لذلك فإنهن يقمن وبعد تعرضهن للاغتصاب بالانزواء عن الناس والركون إلى العزلة التامة، والتي تصل عند بعضهن إلى حد فقد العقل، أو عند الأخريات إلى وضع حد لحياتهن كونهن لا يجدن أية قيمة لحياة تعيش فيها الذل والهوان، وتعتبر فيها أن كل نظرة من الآخرين هي نظرة شفقة أو اتهام أو حتى إدانة، فيصلن إلى مرحلة من اليأس يضعن معها حداً لحياتهن التي لم يعد لها أية قيمة من وجهة نظرهن.

مع العلم إن هذه المنتحرة كان يجب عليها أن تنظر إلى الموضوع من جانب آخر، وهو أن ما وقعت فيه لم يكن بتواطؤ منها، بل أعتدي عليها وبالتالي لا ذنب لها، ويجب أن تواجه المجتمع بثقة وقوة بل أن تصل إلى حد تحميل الوزر للمجتمع الذي لم يقم بواجبه لجهة حمايتها مما تعرضت له.

وليس بالضرورة أن تكون ضحية جريمة الشرف هي المرأة المعتدى عليها، بل إننا وجدنا في بعض الحالات أن والد المعتدى عليها، أو أخوها، أو زوجها يكونوا في بعض الأحيان هم الضحية، لأنهم لا يستطيعون أن يستوعبوا هذه الحالة التي حصلت لأبنتهم، أو لأختهم، أو لزوجتهم، وبالتالي يعيشون حالة من اليأس تصل عند بعضهم إلى حد يضعون فيه حداً لحياتهم.

وهنا يجب أن نبين مسألة مهمة، وهي أننا ننظر إلى قضية الشرف نظرة فيها الكثير من التقديس والتنزيه، ونحافظ على شرفنا وشرف عوائلنا وأمتنا وندافع عنه بكل غال ورخيص، ولكن هذا لا يعني أبداً أن نصل إلى حد تحميل الضحية ذنب ما أرتكبه المجرمون المنتهكون، بل الذي يجب أن يحاسب هم هؤلاء، لا الضحية التي يجب أن تحفظ وتصان وتعالج نفسياً مما أرتكب بحقها.

ي ـ ضياع الهدف والفراغ:

من أخطر الحالات التي يعيشها الإنسان حالة ضياع الهدف وعدم معرفة ما يريد في مستقبل عمره، وليس بالضرورة أن يكون ذلك بسبب فقد أمور يحتاجها هذا الإنسان، بل قد يكون بسبب حصوله على كل شيء بحيث لا يعود لديه هدف آخر في الحياة، والدليل على ذلك أن الإحصاءات حول نسبة الانتحارات العليا في العالم ليست في مجاهل أفريقيا، بل سجلت في السويد التي هي أعلى دول العالم معاشاً ولكنها أكثر دول العالم انتحاراً، لذلك يعتبر الإسلام الذي يضع لكل إنسان هدفاً أسمى وهو تحصيل مرضاة الله سبحانه وتعالى للحصول على جنته، أن الطريق إلى ذلك يكون بتحويل كل عمل يقوم به إلى طريق للوصول إلى هذه الغاية، وساعتئذ لن يكون هناك مكان لليأس. وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم بقوله سبحانه وتعالى:

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾[1].

فيجب أن يكون كل ما عندنا لله سبحانه وتعالى، وساعتئذٍ لن يقدر الشيطان علينا، وستتحول أية خسارة دنيوية إلى ربح أخروي عندما تكون نيتنا أن نؤجر من الله ﷻ وحده، وهذا الهدف البعيد ليس هدفاً قصير المدى ينتهي بعد مدة لأبحث عن غيره، بل هو هدف لا ينتهي أمده إلا بلقاء الله سبحانه وتعالى.

كيف نحارب اليأس:

يجب على كل إنسان مؤمن بالله أن لا يعيش في أية لحظة من لحظات حياته يأساً من رحمة الله سبحانه وتعالى، لأنه لا ينسجم أبداً الإيمان مع اليأس ولا يجتمعان، وعليه يمكن لنا أن نستنتج أن الحل الأمثل للخروج من اليأس هو الإيمان بالله ﷻ، وأحب في هذا الإطار أن أعرض لمن يوسوس له الشيطان الرجيم أن ييأس من رحمة الله سبحانه وتعالى بعض الحلول العملية لمحاربة اليأس، وهي تشكل عناوين عامة لأهم الوسائل التي تفيد في ذلك، ولا يمنع من وجود غيرها ولكننا بحسب خبرتنا نعتبر أن هذه أهمها، وهذه الحلول هي على الشكل التالي:

أ ـ حسن الظن بالله:

لو رجعنا إلى السبب الحقيقي والأبرز لليأس لوجدنا أن اليائس إنما يعيش حالة من عدم الثقة بأن هناك من يمكن أن ينقذه مما هو فيه، فهو ييأس من مساعدة الأهل والأخوان ولكنه قد يحصل على المساعدة والعون من الله سبحانه وتعالى، ومع ذلك يصل بيأسه إلى حالة أنه يفقد

---

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢ ـ ١٦٣.

الثقة حتى بالله، ﷻ وهنا تكمن الخطورة الكبرى، وعليه فإن الحل الأفضل والأمثل لليأس هو أن يحسن الإنسان الظن بالله ﷻ، ومن خلال حسن الظن بالله ﷻ يتضاءل اليأس إلى حد أن يتحول إلى حالة أمل ورجاء بالله ولذلك قال أمير المؤمنين علي عليه السلام:

«أعظم البلاء انقطاع الرجاء»[1].

ومن خلال حديث الإمام علي عليه السلام نجد أن انقطاع رجاء الإنسان بمعنى انقطاع أمله يعتبر أعظم بلاء يمكن أن يقع به إنسان، ذلك أن اليأس يعتبر بلاءاً خطيراً خاصة أنه يُفقد الحياة معناها، ويضطر الإنسان الذي يقع فيه للجوء إلى أمور لا تحمد عقباها وأخطرها أن يفكر باللجوء إلى الانتحار.

في حين إن لجوء هذا الإنسان إلى الثقة بالله ﷻ يجعله قادراً على مواجهة الصعاب مهما كبرت وعظمت، وقطعاً فإن الله ﷻ سيساعده على الخروج من محنته والانتصار على شيطان نفسه فقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال:

«أحسن الظن بالله فإن الله ﷻ يقول: أنا عند حسن ظن عبدي المؤمن بي إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً»[2].

فكما تظن بالله يكون الله سبحانه وتعالى، فإن ظننت به انه سيرزقك فإنه حتما سيرزقك، في حين إن كنت تسيء الظن بالله، فتعتقد أنه لن يرزقك فإن هذا ما سيحصل فعلاً، وعليه فإن هذه سنة إلهية محددة في القرآن الكريم يجب على كل من يمر بهذه الحالة أن يستفيد من هذا الحل فهو الأمثل والأفضل.

---

(١) عيون الحكم والمواعظ الصفحة ١١٧.

(٢) بحار الأنوار الجزء ٦٧ الصفحة ٣٦٦.

ب ـ المحافظة على الأمل:

قال الشاعر الحكيم الطغرائي في لامية العجم وهي من روائع شعر الذي أحتوى حكما وأمثال جميلة:

«أعلل النفس بالآمال أرقبها ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل»[1].

وبات هذا الشعر الحكيم مثلا يتداوله الناس على مر العصور والأزمان لما فيه من حكمة وموعظة عظيمة تنفع من يداخله اليأس، فتدفعه نحو أن يعيش الأمل بأن الذي أصيب به من بلاء هو مؤقت، وسينبعث من عمق المأساة مهما عظمت أمل جديد يعيد له فرحته ويبعد عنه ألم ما أصيب به، والله ﷻ يقول في كتابه الكريم:

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾[2].

لا يوجد فيما وعدنا به الله سبحانه وتعالى عسر دائم، بل أن كل عسر مهما عظم ورائه يسر يعجله الدعاء لله ﷻ والإستنجاد به، لذا فإن من أهم الأمور التي تساعد صاحب المصاب على عدم الوقوع في اليأس، مسألة الأمل بغدٍ مشرق تُبدد به ظلمات ما وقع به من مصائب ومآسي، لذلك ورد عن رسول الله ﷺ في أهمية الأمل قوله:

«الأمل رحمة لأمتي، ولولا الأمل ما أرضعت والدة ولدها، ولا غرس غارس شجراً»[3].

فالرسول ﷺ يقول أن الأمل هو من علائم رحمة الله سبحانه وتعالى بنا، إذ لولاه ما الذي يدفع الأم أن ترضع ولدها؟ أليس لأنها تأمل أن يكبر غداً ويكون عبداً صالحاً محباً لوالديه فيساعدها على نوائب

---

(١) سير أعلام النبلاء الجزء ١٩ الصفحة ٤٥٤.

(٢) سورة الشرح، الآيتان: ٥ ـ ٦.

(٣) بحار الأنوار الجزء ٧٤ الصفحة ١٧٣.

الدهر؟ ولما زرع زارع غرساً في أرض لأنه لو لم يأمل بثمر الشجر الذي سيجنيه هو أو أولاده غداً لما زرعه. وبمعنى آخر فأن الأمل هو الذي يعطي هذه الحياة القوة الكامنة لتستمر وتتطور وتزدهر، في حين أن اليأس يحطمها ويمنعها من الاستمرار والرقي والتقدم، لذلك كان الأمل واحداً من أهم الأمور التي نُعالج بها اليأس فنطرده من حياتنا كي نتطور وتتطور معنا الأمة وتتقدم.

ج ـ البحث عن الجانب المشرق:

في الحياة دائماً جانب مشرق وجانب مظلم، وفيها الصالح والفاسد والجيد والرديء والسلبي والإيجابي، فإذا ما تعاطينا معها يجب أن نتعاطى معها على نحو شمولي كلي، فلا يجوز أن نركز دائماً على الإيجابيات فنتعاطى مع الحياة من دون حذر، ولا التفات إلى الفاسدين فنقع في حبائلهم ونكون ضحايا مكرهم، ولا أن نركز دائماً على السلبيات فلا نعود نرى في حياتنا ما يستأهل أن نعيش لأجله، ويحيط بنا اليأس ويستولي علينا فلا نعود قادرين على الاستمرار، يجب أن ننظر دائماً إلى الجانب المشرق من الحياة من دون إغفال لسلبيات الحياة على قاعدة أن لا نستغرق فيها، ولعل أفضل ما يعبر عن هذا الموضوع ما ورد عن النبي عيسى المسيح عليه السلام:

«أنه مر والحواريون على جيفة كلب فقال الحواريون: ما أنتن ريح هذا الكلب، فقال عيسى عليه السلام ما أشد بياض أسنانه!»[(1)].

فالنبي عيسى عليه السلام يريد من أصحابه أن لا تكون نظرتهم منحصرة فقط إلى الجانب السلبي، علماً إن هذا الجانب فاقع يُعمي الآخرين من خلال الرائحة المزعجة من النظر إلى الجوانب الإيجابية، ومع ذلك

---

(١) مستدرك الوسائل الجزء ٩ الصفحة ١٢١.

ألفتهم عليه السلام إلى أن هذا الكلب الميت الذي أزعجتكم رائحته لديه أسناناً ناصعة البياض لا تتوفر لكثيرين، فعلى الذي يقع في مصيبة أن لا يحصر نظرته إلى الجانب السلبي منها فقط، بل أن يبحث بكل جهد عن الجانب الإيجابي مما أصابه والذي قد يكون غير جلي، فقد يكون الجانب الإيجابي من المصاب الذي وقعت فيه أن أقول في نفسي: إنها تجربة تقويني على مواجهة الصعاب المقبلة. وقد أقول في نفسي: لعل الله سبحانه وتعالى دفع بها ما كان أعظم، ولعلي أقول في نفسي أيضاً: إن الله سبحانه وتعالى قد وفر فرصة للأجر من خلال الصبر على المصاب. ومعروف ما هو أجر من يصبر على المصاب، فلا ننظر دائماً إلى الجانب الفارغ من الكوب، فنقول مثلا نصفه فارغ بل ننظر إلى الجانب الممتلئ منه لنقول نصفه ممتلئ، إن النظر إلى الجانب الإيجابي من المصاب يقوينا على مواجهته، ويوفر لنا حسن إدارة الظرف السيئ الذي نعيشه الآن، وبذلك تكون النظرة الإيجابية للحياة سبباً لعدم الوقوع في اليأس.

د ـ الثقة بالنفس:

إن السبب الرئيسي لوقوع أي إنسان في حبائل اليأس والفشل هو فقدانه لثقته بنفسه، وإن الدراسات اثبت أن كثيراً ممن انتحروا بسبب مصائب وقعوا فيها فعلوا ذلك لأنهم فقدوا ثقتهم بنفسهم ففشلوا في مواجهة ما ألم بهم، ولو إنهم امتلكوا هذه الثقة لما فعلوا ما فعلوه، لذلك ترى أن كثيراً ممن وقعوا في المصائب وفقدوا مع هذه المشكلة ثقتهم بنفسهم تراهم يعولون على مساعدة تأتيهم من الآخرين الذين لن يكونوا أبداً على استعداد لمساعدتهم، أو لن يكونوا في المواجهة مثل صاحب القضية نفسها، لذلك نجد أئمتنا عليهم السلام يشجعون دائماً على عدم الاتكال على مساعدة الآخرين بشكل نلغي أنفسنا، وان لا نهتم ونحن نقوم بالعمل في الحياة إلى نظرة الآخرين إلينا طالما أن رضا الله سبحانه وتعالى

محرز، ولذلك نرى أن الإمام الكاظم عليه السلام يقول في وصيته لهشام ابن الحكم:

«يا هشام لو كان في يدك جوزه وقال الناس لؤلؤة ما كان ينفعك وأنت تعلم أنها جوزه، ولو كان في يدك لؤلؤة وقال الناس أنها جوزه ما ضرك وأنت تعلم أنها لؤلؤة»[1].

فالمعول عليه ليس تقييم الناس لما في يدك أو لما أصابك، بل العبرة أولا وأخراً بنظرة الله سبحانه وتعالى إليك، وما هو واقعاً الشيء الذي تعيشه وتعاني منه، وقناعتك أنت فيما هو تحت يديك، فإذا امتلكت الثقة بنفسك فلن تقع في حبائل اليأس ولن ينال منك الشيطان الرجيم.

وأهم ما يساعدك على زيادة ثقتك في نفسك أن ما خسرته مثلاً هو ما كنت قد أنتجته أنت سابقاً بفضل جهدك وعملك، وما زلت قادراً على بذل نفس الجهد مرة أخرى إن لم يكن أكثر منه لإعادة ما خسرته، بل إن خسارتك له ستجعلك في المرة القادمة أحرص على المحافظة عليه وعدم خسرانه مرة أخرى.

هـ ـ البلاء اختبار يجب أن نستبشر به:

المشكلة فيمن يقع في حالة اليأس تكمن في نظرته إلى البلاء، فبحسب النظرة إلى البلاء يكون التعامل معه، فمن يعتبره مصيبة يمكن أن يقع في كل شيء، ومما يقع فيه هذا النوع من الناس اليأس وقد يصل في بعض الأحيان إلى الانتحار. أما الذي ينظر إلى البلاء على أساس أنه اختبار إلهي فسيستقبله بكل رحابة صدر ويصبر عليه حتى ينال الأجر الموعود من الله سبحانه وتعالى، فلذلك يعتبر موضوع فهم الخلفية الدينية للبلاء سبباً كبيراً للخروج من اليأس، ويعطي الإنسان القوة على مواجهة

(١) بحار الأنوار الجزء ١ الصفحة ١٣٦.

الأخطار التي يتعرض لها الإنسان في حياته، وللدلالة على نظرة الإسلام إلى البلاء نستعرض ما قاله الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:

﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾[1].

فالظاهر من الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى كتب على كل إنسان يريد أن يدخل إلى ساحة الإيمان ويكون من المؤمنين البلاء، وهذا سنة في الحياة لأن هذا البلاء لا ينحصر فيك أنت أيها المؤمن المبتلى، بل إن الله سبحانه وتعالى فعل ذلك مع كل الأمم من قبلك، وهذه السنة هدفها إلقاء الحجة على من يقول أنه مؤمن، فإذا صبر على البلاء واحتسب عُد كذلك، وإلا فإن لم يصبر ويأس من رحمة الله سبحانه وتعالى فهو ليس بمؤمن. وفي نفس هذا المجال أيضاً يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦﴾[2].

فالبلاء أمر مفروغ من وقوعه على المؤمن بحيث إنه إن لم يُصب ببلاء طوال حياته فإنه يجب عليه أن يفكر كثيراً في موضوع الإيمان الذي يدعيه، والله ﷻ عندما أخبرنا أننا سنصاب بأنواع البلاء التي تحدث عنها بشرنا أن الصابرين سيدخلون الجنة بما صبروا، وعليه يعتبر توقع البلاء باعتباره سنة إلهية واحدة من أهم الأمور التي يمكن لنا أن نواجه فيها حالة اليأس التي تحصل للبعض بسبب البلاء.

ويكفي لنا أن نتوجه لمصيبة الإمام الحسين عليه السلام وما حصل معه

---

(١) سورة العنكبوت، الآيتان: ٢ ـ ٣.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ١٥٥ ـ ١٥٦.

لتكون دافعاً لنا لاستصغار أي بلاء يمكن أن نقع فيه نحن، ويساعدنا ذلك في أن نواجه المصاعب التي نقع فيها.

و ـ اللجوء للدعاء:

في كل مصيبة يقع فيها الإنسان، ولا يجد في الحياة الدنيا من يستطيع أن يساعده في مواجهتها أو يوجد ولكنه لا يريد ذلك، في كل حالة كهذه يكون الحل هو اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى، ويكون ذلك من خلال أهم طريقة للتواصل مع الله ﷻ ألا وهي الدعاء، وقد ورد في الحث على اللجوء إلى الدعاء في الكتاب الكريم بقوله سبحانه وتعالى:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾(1).

فهذه دعوة من الله ﷻ لكل الناس وخاصة من يقع منهم في مصاب يحتاج إلى من يقف معه في مواجهة ظروفه الصعبة بأنه سبحانه وتعالى يقول له: إني قريب أجيبك إذا دعوتني فلا تقصر في الدعاء فأنا مستعد للإجابة، وعليه عندما يعرف الإنسان الذي يقع في البلاء أن الله سبحانه وتعالى مستعد لدفع هذا البلاء عنه بالدعاء، فإنه لا يقع ساعتئذ باليأس لأن طاقة كبيرة من الأمل مفتوحة أمامه، ولم تفتح من إنسان بل الله ﷻ هو الذي فتحها ووعد بها ومن أصدق وعداً من الله.

وفي نفس هذا المجال يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام في وصيته لأبنه الإمام الحسن عليه السلام مشجعاً إياه والمؤمنين عامة على الدعاء وعدم التراجع عنه أو تركه حتى لو حصل إبطاء بالإجابة:

«أعلم أن الذي بيده خزائن السموات والأرض قد أذن لك بالدعاء، وتكفل بالإجابة، وأمرك أن تسأله ليعطيك وتسترحمه ليرحمك،

---

(1) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

ولم يجعل بينك وبينه من يحجبه عنك، ولم يلجئك إلى من يشفع لك إليه، ولم يمنعك إن أسأت من التوبة، ولم يعاجلك بالنقمة، ـ إلى أن قال ﷺ ـ فلا يقنطنك إبطاء إجابته، فإن العطية على قدر النية»[1].

إن هذه الوصية الرائعة يجب أن يقرأها كل من يصاب ببلاء، فهي تضع له منهجاً يمنعه من اليأس والقنوط فيلتجأ إلى الله سبحانه وتعالى الذي هو وحده يخرجه من المشكلة ويرفع عنه البلاء. ولا يفكر أن يترك الدعاء لمجرد أن الله سبحانه وتعالى لم يجبه، بل يدعوه ذلك إن كان مؤمناً موقناً مصدقاً بقوله سبحانه وتعالى أنه قريب أن يفكر بموانع الإجابة والتي غالباً ما تكون في نفسه، إذ قد يكون دعائه من قلب لم يطهره من الذنوب، أو لسان لم يحجزه عن الكذب، ولو كانت كل الأمور سليمة لا إشكال فيها فقد تكون حكمة الله ﷻ اقتضت أن لا يجيبه إلى ما يطلب، لأنه لو أجابه لوقع بما هو أسوء من حاله مع عدم تحقيق ما يطلب، وهذا ما أشار إليه الإمام زين العابدين عليه السلام بقوله:

«ولعل الذي أبطأ عني هو خير لي لعلمك بعاقبة الأمور»[2].

فساعتئذٍ لا يدفعها عدم الإجابة في أمر ما عن الدعاء لطلب أمر آخر قد يحققه له الله سبحانه وتعالى إن عرف منه صدق النية.

ز ـ تجميع عناصر القوة:

عندما يصاب أي إنسان ببلاء فهو حتما يتعرض لحالة يضعف معها، ويصبح يعاني من عقدة هذا الضعف حتى يظن أنه بات غير قادر على مواجهة الحياة الخارجية، فلا يجد في نفسه أي عنصر للقوة ما يجعله يعيش حالة اليأس التي تتعاظم لتصل إلى وضع لا يطيق الحياة

---

(١) نهج البلاغة الجزء ٣ الصفحتان ٤٧ ـ ٤٨.
(٢) مصباح المتهجد الصفحة ٥٦٤.

معه، في حين إن هذا الأمر غير صحيح فهناك الكثير من عناصر القوة موجودة لديه يجب أن لا تعميه المصيبة التي وقع فيها عن التنبه لها، إن اليائس هو إنسان وضع نفسه بحالة أحس معها أنه ضعيف لدرجة أنه لا يمتلك أي عنصر قوة، الذي ندعو له أي إنسان يقع ببلاء هو أن يفتش في كل ما يمتلك من مقومات وعناصر القوة التي يمتلك، ويعمل على تجميعها مهما كانت صغيرة، وبتجميع هذه العناصر نصل إلى قوة غير عادية تؤهلنا لمواجهة الحياة وصعوباتها. ويجب أن لا يستصغر الإنسان عناصر القوة الداخلية وهي قوة الروح والنفس، فلست أيها الإنسان جرم صغير فقد قال عنك أمير المؤمنين علي عليه السلام:

«دواؤك فيك وما تشعر وداؤك منك وما تبصر
وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر»[1].

ما أروع هذه الكلمات التي تحدد وبشكل واضح لا لبس فيه أن أصل المشكلة أيها الإنسان هي في داخلك في نفسك أنت حتى لو أن الأذى أتاك من الخارج، فإن كنت ذا نفس قوية مؤمنة فلن تؤثر عليك أية إرهاصات تأتيك من الخارج، وإذا ما أصبت ببلاء فإنك تمتلك الدواء في داخلك القادر على مواجهة أعظم مصيبة يمكن أن تقع فيها، فأنت لست جرماً صغيراً لأن في داخلك أنطوى العالم الأكبر فأعقل وتدبر.

ح ـ الهدف هو الدار الآخرة:

أكثر حالات اليأس سببها أن هذا الشخص يعتبر أن هذه الحياة الدنيا بالنسبة إليه هي آخر المطاف، في حين أنه لو التفت إلى أن تلك الحالة التي يعيش فيها ليست نهاية المطاف فإنه لن يقع فريسة لليأس، لأنه يعتبر أن الصبر على البلاء الذي وقع فيه يخرجه من هذه الدنيا إلى

(١) جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام الجزء ٢ الصفحة ١٣٦.

الحياة الحقيقية وهي الحياة الآخرة ظافراً منتصراً فيتحول البلاء وتتحول الخسارة إلى عنصر إضافي يزيد من قوته في الدار الآخرة، حيث يحتاجها هناك أكثر، فكل واحد منا يجب أن يضع نصب عينيه أن كل ما يعمله في الحياة الدنيا يهدف فيه الدار الآخرة، وساعتئذ لن يقع في أي مشكلة أسمها اليأس، وهذا ما دعانا الله سبحانه وتعالى إليه بقوله في كتابه الكريم:

﴿وَابْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾(١).

وعليه إذا ما كان هدفك دائماً الدار الآخرة، ولا تعني لك الحياة الدنيا شيئاً إلا بمقدار ما توصلك إلى الدار الآخرة، فلن يكون هناك مجال لليأس أن يأخذ طريقه إليك.

ط ـ إحاطة اليائس من الأهل والأصحاب:

يصاب اليائس بحالة نفسية صعبة تُفقده الاتزان النفسي والعقلي ما يجعله عرضة لكثير من المخاطر إذا تُرك لوحده، لذا تعتبر إحاطة اليائس من خلال الأقارب والأهل والأصحاب من الأهمية بمكان، إذ تعطيه هذه الإحاطة قوة على المواجهة وعلى تحمل الصعاب الناتجة عن الواقع الذي ألم به، بل إن جو اللقاء قد ينسيه الحالة التي يعيشها من خلال اندماجه بأجواء الألفة والمحبة والوئام التي تتميز بها لقاءات الأهل والأصدقاء. أما إذا تُرك اليائس وحيداً فإن هذا سيساعد على تطور حالته وازدياد صعوبتها، إضافة إلى إنه قد يحدث نفسه بالقيام بما هو أخطر من مجرد الانزواء وترك المبادرة، فقد يقوم بالانتحار بسبب تطور اليأس لديه وعدم مساعدة الآخرين.

---

(١) سورة القصص، الآية: ٧٧.

ما يفعل اليأس بصاحبه:

إن أدنى ما يفعله اليأس بصاحبه أن يعيقه عن العمل والإنتاج، وقد يؤدي به ذلك إلى المرض النفسي الذي قد يصل إلى حد الجنون الحقيقي، وقد يصل إلى أكثر من ذلك فقد يؤدي إلى أن يدفع صاحبه إلى قتل نفسه. وهذا ما أكده أمير المؤمنين علي عليه السلام حين قال:

«قتل القنوط صاحبه»[1].

ولذلك وبحسب التجربة العملية ثبت أن أغلب عمليات الانتحار تكون ناتجة عن حالة يأس مرضي لم تتم معالجته.

جزاء اليائس:

اليأس حالة لها من الناحية الشرعية أحكام محددة، فهي بالأصل حرام حرمة تصل إلى حد اعتبار اليائس من رحمة الله سبحانه وتعالى كافراً بالله ورسوله. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك:

«يبعث الله المقنطين يوم القيامة مغلبة وجوههم، (يعني غلبة السواد على البياض)، فيقال لهم: هؤلاء المقنطون من رحمة الله»[2].

إن هذا الحديث الشريف يؤكد أن الله سبحانه وتعالى يُعامل اليائس من رحمته معاملة الكافر، لأن الذي يدخل النار بهذا الشكل هو الكافر، وعليه يعتبر اليأس بمعنى من المعاني كفراً على الأقل إن حسابه يوم القيامة هو حساب الكافر.

وفي مجال آخر يعتبر اليأس من رحمة الله سبحانه وتعالى من أكبر الكبائر فقد ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام لما سئل عن أكبر الكبائر فقال:

---

(١) عيون الحكم والمواعظ الصفحة ٣٧٠.

(٢) بحار الأنوار الجزء ٢ الصفحة ٥٥.

«الأمن من مكر الله، والإياس من روح الله، والقنوط من رحمة الله»[1].

ومن المعروف إن مرتكب الكبيرة مصيره جهنم، وعليه فإن التفت اليائس إلى ذلك، فإنه لن يقع فيه على الأقل خوفاً من عقاب الله واتقاء لنار جهنم أعاذنا الله منها.

الانتحار هروب وضعف:

في الحديث عن اليأس يُستحضر مباشرة موضوع الانتحار الذي في الغالب إن لم نقل دائماً يكون مسبباً عن اليأس، وهنا لا بد من كلمة للمنتحر وهي أن الانتحار ليس حلاً، بل هو المشكلة بعينها لأن المنتحر إنما يقوم بذلك ظناً منه أنه ينهي بذلك مشكلته، في حين أنه سيكتشف عما قريب أنه أخرج نفسه من مشكلة ليقع في أخرى أكبر بكثير من التي كان يواجهها، فهو أوقع نفسه بالحرام الذي نتيجته عذاب الله ﷻ وجهنم، وبنفس الوقت سيري هناك في العالم الآخر كثيراً ممن أصيبوا بمصائب أكبر من التي أصيب بها هو وواجهوها بالصبر والرضا بقضاء الله سبحانه وتعالى والدعاء فكان مصيرهم جنات النعيم.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الانتحار واقعاً ليس حلاً للمشكلة بل هو هروب منها، وأيضاً لا يعتبر الانتحار قوة وجرأة بل هو ضعف حقيقي، فعلى كل عاقل أن لا يلجأ إلى الانتحار إذ يمكن له أن يواجه المشكلة بكل جرأة ويصل إلى حلول يوفقه الله سبحانه وتعالى لها خاصة إذا توسل إليه بالدعاء.

حرمة الانتحار:

الانتحار كما في معجم لغة الفقهاء معناه:

---

(١) كنز العمال الجزء ٢ الصفحة ٣٨٧.

«من نحر، الذبح في النحر، قتل النفس بأداة ما»[1].

وهو من الناحية الشرعية حرام حرمة عظيمة لأنه قتل للنفس التي حرم الله سبحانه وتعالى من دون وجه حق والله ﷻ يقول في كتابه الكريم:

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾[2].

والمنتحر يقتل نفسه بغير حق، فيكون مصداقاً للنهي الوارد عنه سبحانه وتعالى في الآية الكريمة. وفي مجال آخر تحدث الله سبحانه وتعالى عن حرمة قتل النفس بصراحة وذلك بقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[3].

وهذا نهي واضح، ولكن يجب أن نتنبه إلى التعقيب عليه حيث قال سبحانه وتعالى إن الله كان بكم رحيماً، فكأنه يقول للمنتحر أنت عندما تفعل ذلك إنما تفعله ظناً منك انك لن تجد مني رحمة بعد ذلك، فيجب أن تفهم أني بعبادي رحيم شرط أن أرى منهم صدق النية والصبر على البلية واللجوء إلي بالصلاة والدعاء عند المصيبة والرزية، فإن وجدت منهم ذلك ساعدتهم على الخروج مما ابتلوا به، أما إذا رأيتهم ينتحرون هروباً من بلاءات أردت اختبار صبرهم بها فإنهم لا يعتبرون عندي مؤمنين، بل هم أبعد ما يكون عن ذلك فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«إن المؤمن يبتلى بكل بلية ويموت بكل ميتة إلا أنه لا يقتل نفسه»[4].

---

(١) معجم لغة الفقهاء الصفحة ٩١.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٦٨.

(٣) سورة النساء، الآية: ٢٩.

(٤) الكافي الجزء ٣ الصفحة ١١٢.

وهذا نص صريح على أنه لا يمكن أن نعتبر من يقتل نفسه مؤمناً حتى لو كان طوال حياته ملتزماً بكل الأحكام الإسلامية ويقوم بواجباته الدينية، فبمجرد إنهاء حياته بهذه الصورة التي تغضب الله ﷻ فإنه لا يعتبر مؤمناً من الناحية الشرعية.

جزاء المنتحر:

يعتبر المنتحر قاتلاً لنفسه، وسيحشر يوم القيامة مكتوب على جبينه آيسٌ من رحمة الله، ويدخل إلى جهنم من باب الآيسين من رحمة الله سبحانه وتعالى، ولعل من الأمور التي تحدث عنها الإسلام أن من قتل نفسه بشيء كمن قتل نفسه بإلقاء نفسه من شاهق يعذب بنفس هذا الشيء يوم القيامة فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«من قتل نفسه بشيء في الدنيا عُذب به يوم القيامة»(١).

ومع ذلك فإنه سيُخلد في نار جهنم، ولا أمل له بالخروج منها كما يحصل للخاطئين الآخرين فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«من قتل نفسه متعمداً فهو في نار جهنم خالداً فيها»(٢).

فلذلك يجب على كل من يحدث نفسه بالانتحار أن يفكر أولاً بمصيره يوم القيامة، إن كان يؤمن بها لأن الذي لا يؤمن بها لن يتغير في مصيره شيء، لأنه كان سيدخل النار انتحر أم لم ينتحر، أما الذي يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه أن يعرف بأنه بفعلته هذه يكون قد اتخذ قراراً بدخول النار خالداً فيها.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى يجب أن يعرف أن لا مشكلة في

---

(١) كنز العمال الجزء ١٥ الصفحة ٣٦.

(٢) من لا يحضره الفقيه الجزء ٣ الصفحة ٥٧١.

هذا الوجود لا حل لها، وأن الصبر على المصيبة فيه من الأجر ما يدخل الصابر على أساسها الجنة ويغفر الله له ما تقدم من ذنوبه.

الملحدون أكثر الناس انتحاراً:

لقد تبين من خلال دراسات إحصائية معمقة أجرتها مراكز أبحاث اجتماعية متخصصة وغير متدينة في الغالب أن أكثر الناس انتحاراً هم الملحدون، وهذا مخالف لما يتغنون به دائماً من أنهم يتميزون بأفكار عقلانية، وأنهم أكثر الناس واقعية في التعامل مع الأمور، وأكثرهم سعادة خاصة من المؤمنين البسطاء الذين انقادوا للدين وحرموا أنفسهم من ملذات الحياة.

غير أن الواقع العملي خلاف ذلك على الإطلاق، ذلك أنهم يعانون من أزمة حضارية تنعكس أزمة نفسية عميقة تمنعهم من التمتع بالملذات التي يأخذونها من الحياة حلالاً وحراماً، فهم بعد إشباع غرائزهم بشكل كبير يقفون عند حالة عدم الزيادة في المتع التي يرجونها وتصبح الملذات التي كانوا يفرحون بها بالأمس غير ذات قيمة بالنسبة إليهم، فهي أصبحت روتينية مملة ولم تعد تشبع نزواتهم ولو وقف الأمر عند هذا الحد لكفى، ولكنهم ومع تقدم العمر يصلون إلى وقت يفكرون به في الموت الداهم الذي لا بد منه ولا يمكن أن يفروا منه إذ لم يفر أحد منه سابقاً، وهم لا يؤمنون بحياة بعد الموت فيعيشون الآلاماً متعددة من ألم ذهاب الشباب وعدم القدرة على الاستفادة من كثير من الغرائز، وألم ذهابه إلى ألّلا مكان لأنهم لا يؤمنون لا بجنة ولا نار، وألم الخوف من ذهاب القدرات التي يمتلكها غير تلك الشخصية كذهاب ماله أو موقعه كل ذلك يدفعه للانتحار. وربما نتذكر في هذا المجال قصة انتحار الكاتب الأمريكي الشهير كارنجي بعدما ألف الكثير من الكتب ونال الكثير من الشهرة والمال، ولكنه انتحر لسبب بسيط هو أنه لم يكن

لديه هدف يعيش من أجله، وهذا دليل على أن الملحدين ليس لهم هدف دائم يجدون أنفسهم يسعون إليه طوال حياتهم، بل قد يصل بهم الأمر كما في الكاتب المذكور إلى مكان ينعدم فيه أمامهم الهدف الذي يشجعهم ويدفعهم للعمل على بلوغه.

أما المؤمن فيختلف الأمر عنده، فهو تواق دائماً إلى أن تنتهي حياته للوصول إلى رضا الله ﷻ. وينطلق ذلك كله من فكرتي الأيمان بالله سبحانه وتعالى واليوم الآخر وعدمهما وهذا ما هدد به الله ﷻ من يدعي الإيمان فقال سبحانه وتعالى:

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[1].

فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، ويلتزم بشروط هذا الإيمان فإنه لا يخاف من الموت، بل يتمناه لأنه يقربه من محبوبه الأكبر الذي هو الله سبحانه وتعالى. فالفرق بين المؤمن وغيره هو أن المؤمن آمن بالله وجعله وليه، في حين أن الكافر كفر بالله وآمن بالطاغوت واتخذه ولياً، وهذا ما بينه لنا القرآن الكريم بقوله سبحانه وتعالى:

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[2].

فماذا ترجو من إنسان أخرجه الشيطان من النور إلى الظلمات؟ إنه مثل إنسان ميت يائس لا حياة فيه ولا استجابة لديه، وهذا ما أثبتته الدراسات العلمية الجديدة في علم النفس والاجتماع! فقد أكدت

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ٦ .

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧ .

الدراسات العلمية المتعلقة بالانتحار أن أكبر نسبة للانتحار كانت في الدول الأكثر إلحاداً وعلى رأسها السويد التي تتمتع بأعلى نسبة للإلحاد في العالم. أما الدانمرك فكانت ثالث دولة في العالم من حيث نسبة الإلحاد حيث تصل نسبة الملحدين واللادينيين إلى ٨٠ ٪، وليس غريباً أن تصدر منها الرسوم الكاريكاتورية التي تستهزئ بنبي الرحمة ﷺ. هذه الدراسة قام بها الدكتور جوس مانويل والباحثة أليكساندرا فليشمان وهي دراسة علمية شاملة استندوا فيها إلى مراجع الأمم المتحدة الموثقة[١].

دور الدين وخاصة الإسلام في خفض نسبة الانتحار:

عندما نقول أن الإسلام يعمل على تخفيض نسبة الانتحار، فهذا لا يعني أنه لوحده من دون الالتزام العملي به قادر على منع هذه الآفة وحصرها، فهو بهذه الخصوصية لن يفيد إذ إن هناك الكثير من الذين هم بحسب الهوية مسلمون ومع ذلك ينتحرون، فهؤلاء لم يؤمنوا بالإسلام بالشكل المطلوب، ولم يطبقوا تعاليمه كما أراد الله ورسوله، ولذلك فإننا نقول إن الإسلام سبب لمنع الانتحار ولكن بشرط الإلتزام بتعاليمه.

وتؤكد الدراسات العلمية على أن للتعاليم الدينية دورٌ كبير في خفض نسبة الانتحار، وأن الإسلام يشكل أكثر الديانات منعاً لهذه الآفة، ذلك أنه يقدم أجوبة غير منقوصة لكل جوانب الحياة، وليس فقط تلك العبادية المتعلقة بالعلاقة بين الإنسان وربه، بل حتى أمور التجارة والمعاملات والسياسة والاقتصاد والقضاء والإرث، وبشكل مختصر كل جوانب الحياة بكل تفاصيلها. ولذلك ورد عن رسول الله ﷺ قوله:

«من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار

(١) للتفصيل يمكن مراجعة الموقع التالي: (http://www.med.uio.no).

جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن شرب سمًا فقتل نفسه، فهو يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن تردى من جبل فقتل نفسه، فهو يتردى في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبداً»[١].

فإن التحذير هذا من رسول الله ﷺ مع إيمان المرء بنبوته وبالمعاد والحساب يشكل حاجزاً عن الوقوع بآفة الانتحار، إذ إن مصير من يضرب نفسه بحديدة أن يضرب بنفس الحديدة في نار جهنم في بطنه وهذا معنى يتوجأ أي يضرب.

وبالرجوع إلى الدراسة التي أشرنا إليها أنفاً نجد أن أعلى نسبة للانتحار كانت بين الملحدين، ثم البوذيين، ثم المسيحيين، ثم الهندوس وأخيراً المسلمين الذين كانت نسبة الانتحار بينهم تقترب من الصفر. وفي هذا المجال يقول الدكتور جوس مانويل والباحثة أليكساندرا فليشمان في بحثهما وبالحرف الواحد:

«إن نسبة الانتحار في الدول الإسلامية (بخلاف كل الدول الأخرى) تكاد تقترب من الصفر، وسبب ذلك أن الدين الإسلامي يحرم الانتحار بشدة»[٢].

إن هذه النتيجة تجعلنا نستنتج أن أكثر الناس سعادة هم المسلمون، بدليل أنهم أقل الشعوب انتحاراً، في حين أن أكثر الناس تعاسة ويأساً هم الملحدون، بدليل كثرة الانتحار في صفوفهم. ألا يدعو ذلك كل باحث عن الحقيقة للجوء إلى الإسلام بصفته الدين الذي يخرجنا من الظلمات إلى النور. وهذا أمر أشار إليه القرآن الكريم من خلال قوله سبحانه وتعالى:

---

(١) كنز العمال الجزء ١٥ الصفحة ٣٦.

(٢) للتفصيل يمكن مراجعة الموقع التالي: (http://www.med.uio.no).

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾[1].

فإن هؤلاء الذين تجد ظاهرهم أنهم فرحون من خلال لعبهم ولهوهم لا يغرنك ذلك فيهم، فهم مع كل هذه المظاهر يعيشون العذاب الذي قد لا ترونه ولكنهم قطعاً يعانون منه، وهذا معنى أن الله ﷻ يعذبهم بها فتجدهم يعيشون هم تحصيلها، وبعد تحصيلها هم الحفاظ عليها، وبعد ذلك هم زيادتها، وكل هذا الحرص هو في واقع الأمر عذاب أشد بكثير من ألم الفقير الذي لا يجد قوت يومه، ثم يفرح بعد تحصيل ما يقيم صلبه، لذلك تجدهم يلجئون إلى الانتحار بينما يعيش الفقير القانع مرتاحاً لا يعاني من أي مرض نفسي.

أكثر مسببات الانتحار شيوعاً:

تتعدد أسباب الانتحار بشكل يصعب معها إحصائها، ولكن مع ذلك هناك أسباب تعتبر الأكثر شيوعاً، ونشير إلي أهمها بشكل سريع وموجز:

١ ـ قلة الإيمان:

يعتبر الجامع الأبرز بين كل مسببات الانتحار موضوع قلة الإيمان، إذ أن المؤمن لا يمكن أن يودي بنفسه إلى جهنم، بل أنه يجد دائماً في الإيمان حلاً لجميع مشاكله، ويعتبر أن هذه الدنيا هي طريق لوصوله إلى الآخرة. فقد ورد عن رسول الله ﷺ قوله:

«الدنيا مزرعة الآخرة»[2].

---

(١) سورة التوبة، الآيتان: ٨٤ ـ ٨٥ .

(٢) عوالي اللئالي الجزء ١ الصفحة ٢٦٧.

لذلك ترى المؤمن يتحلى بالصبر عند المشاكل، ويخاف يوم المعاد، وكله رجاء وأمل بالله ﷻ للفرج وتحول الأحوال. وله فيما أرشده إليه الإمام الصادق عليه السلام حل مفيد فقد ورد عنه عليه السلام أنه قال: «ما يمنع أحدكم إذا دخل عليه غم من غموم الدنيا أن يتوضأ ثم يدخل المسجد فيركع ركعتين يدعو الله فيهما أما سمعت الله يقول: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾»(1).

ومن أهم موارد عدم الإيمان سبباً للانتحار موضوع عدم الإيمان بالمعاد، فالمؤمن باليوم الآخر ولقاء الله ﷻ يهيئ نفسه لذلك فلا يرتكب خطيئة خاصة كالانتحار.

٢ ـ الإصابة بمرض عضال:

المصابين بمرض عضال كالسرطان والإيدز هم من أكثر الذين يسعون للانتحار، صحيح أن النسبة قليلة ولكن مع ذلك فقد أثبتت الإحصاءات أن المصابين بهكذا أمراض هم أكثر إقداماً على الانتحار من السليمين بنسبة الضعف. فقد أعلن الباحثون الكنديون، ضمن عدد نوفمبر من مجلة مدونات علم أمراض السرطان، أنه بالرغم من انخفاض نسبة حالات الانتحار بين مرضى السرطان، إلا أن إقدامهم عليه يفوق الضعف لما هو حاصل بين الناس العاديين.

٣ ـ معاقرة الخمر والمخدرات:

إن الذين يعاقرون الكحول والمخدرات يتعرضون لخلل عقلي يؤدي بهم إلى فقد السيطرة على أنفسهم، ووصولهم إلى حالة الاكتئاب المرضي ما يدفعهم خاصة مع تطور حالتهم إلى وضع نهاية لحياتهم من خلال الانتحار. وقد أعلنت إدارة مراكز السيطرة على الأمراض ومنع

---

(١) وسائل الشيعة الجزء ٥ الصفحة ٢٦٣.

انتشارها بالولايات المتحدة، في تقريرها الأسبوعي عن الوفيات والأمراض، إن الكحول مرتبط بحوالي ثلث حالات الانتحار الحاصلة في الولايات المتحدة مؤخراً.

٤ ـ الإدمان على القمار:

من الأسباب المؤدية لليأس موضوع الإدمان على القمار، الذي يصل بصاحبه إلى حد أن يفكر بالانتحار، خاصة بعد تعرضه لخسارة مالية كبيرة. وبعض هؤلاء يقومون بذلك بسبب أنهم يعانون من عقدة نقص بسبب إدمانهم على القمار وعدم استطاعتهم التخلص من هذه الآفة، فيتوصلون إلى أن أفضل السبل بالنسبة إليهم هو وضع حد لحياتهم من خلال الانتحار.

٥ ـ الطلاق:

تشير الإحصائيات التي أجرتها مراكز إحصاء دولية ذات صدقية عالية، إلى أن هناك نسبة كبيرة من الانتحار تحدث بسبب طلاق الزوجة، التي تيأس فتقوم بالانتحار للتخلص من واقعها كمطلقة ينظر إليها المجتمع نظرة دونية، وهذه النسبة العالية تجعل نسبة الانتحار عند النساء أكثر من تلك عند الرجال، علماً أن المنتحرين بسبب الطلاق غير محصورين بالنساء بل إن هناك رجالا انتحروا بسبب الطلاق وإن كانت نسبة النساء أكبر.

٦ ـ الإصابة بمرض الاكتئاب:

تشير الإحصاءات أن عدداً لا بأس به من المنتحرين إنما يقدمون على ذلك بسبب الاكتئاب المرضي، إذ أن وجود حالة كبرى من الاكتئاب يرفع من احتمالات الإقدام على الانتحار، بمعنى أن الأمر مرتبط بدرجة الاكتئاب ومدى عمقه. وتشير نشرات المؤسسة القومية للصحة العقلية بالولايات المتحدة، إلى أنه بملاحظة مرضى الاكتئاب

الذين يُتابعون حالتهم لدى الأطباء النفسيين فإن ٢٪ فقط منهم يُقدمون على الانتحار. بينما من لا يُتابعون لدى الأطباء فإن النسب تعلو إلى الضعف، أي ٤٪. ومن يتم إدخالهم إلى المستشفى للمعالجة من الاكتئاب بعد إقدامهم على محاولة للانتحار فإن نسبة الوفاة بسبب الإقدام على الانتحار مرة أخرى تصل إلى ٦٪. ولو نظرنا إلى الجانب الآخر من المسألة، أي مدى انتشار الاكتئاب بين المنتحرين، لوجدنا أن ٦٠٪ من المنتحرين عانوا من اضطرابات نفسية كحالات الاكتئاب الكبرى أو غيرها(١).

٧ ـ الفقر:

يعتبر الفقر من أبرز الدواعي التي تدفع بعض الفقراء إلى الانتحار، وهذا ناتج عن ضعف إيمان بالله سبحانه وتعالى، الذي وعد الفقراء بالخير الكثير في الجنة إن هم صبروا على ما ابتلوا به من فقر. فقد قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾(٢).

غير أن الإنسان غير المؤمن أو ضعيف الإيمان يعتبر أن فقره هو آخر الدنيا بالنسبة إليه. ولا يحس بعد ذلك بأي طعم للحياة فيقرر التخلص من حياته، ولو أنه صبر لنال الخير العظيم في الآخرة، ولأحس بطعم الحلاوة في فقره، لأنه طريقه نحو الجنة لا طعم المرارة الظاهري. ويتعاظم الأمر عند من لا يعتقدون بحياة بعد الموت، فتراهم ينهون حياتهم بعد أن يجدوا أنها حافلة بالمرارة والشقاء، ويظنون أن راحتهم

---

(١) نقلاً عن جريدة الشرق الأوسط الخميس ٣٠ نوفمبر ٢٠٠٦ العدد ١٠٢٢٩.

(٢) سورة البقرة، الآيات: ١٥٥ ـ ١٥٦ ـ ١٥٧.

بموتهم في حين أنهم يفتحون على أنفسهم باباً لجحيم أكبر هو الجحيم الحقيقي.

وهذا الامتحان الذي هو الفقر هو امتحان صعب وليس سهلاً، وقد ورد في صعوبته الكثير من لأحاديث نورد منها على سبيل المثال ما عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله كاد الفقر أن يكون كفراً وكاد الحسد أن يغلب القدر»[1].

ومعنى أن يكون الفقر كفراً، هو ما يفعله بغير المؤمن، بل ببعض المؤمنين في لحظات ضعف من سوء ظن بالله يصل إلى حد اليأس من رحمة الله الذي هو عين الكفر بالله عز وجل.

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام:

«القبر خير من الفقر»[2].

قد يفهم البعض من هذا الحديث الشريف أن معنى ان يكون القبر خير من الفقر، أن ينهي الإنسان حياته، ولا يعيش ألم الفقر فيكون دعوة غير مباشرة للانتحار، ولكن هذا غير صحيح أولاً لتعارضه مع الآيات الناهية عن قتل النفس، وثانياً فإن معنى أن يكون القبر خير من الفقر هو أن الصعاب التي يراها الإنسان في قبره قد تكون أهون عند بعض الناس من الفقر، لما يعانيه الإنسان بسببه ومع ذلك فإن تكليفه الصبر والرضا لينال من الله الرضوان والرحمة.

٨ ـ التعرض للاستغلال الجنسي:

يعتبر الاستغلال الجنسي خاصة في المجتمعات المحافظة والبعيدة

---

(١) الكافي الجزء ٢ الصفحة ٣٠٧.

(٢) مستدرك الوسائل الجزء ١٣ الصفحة ٢٠.

عن المدينة سبباً من أسباب الانتحار، وذلك لأسباب منها أن المرأة المتعرضة للاغتصاب والاستغلال الجنسي تخاف من العار الذي سيلحقها أو يلحق أهلها فيما لو افتضح أمرها، أو أنها تخاف من انتقامهم فتفضل أن تضع حداً لحياتها بيدها.

٩ ـ الطمع وقلة القناعة:

لعل هذه المشكلة هي من أهم المشاكل التي يعاني منها إنسان العصر الحديث، فهو ينال وبسبب تقنيات العصر الحديث الكثير من المتع والنعم، وبدل من أن يشكر الله ويقتنع بما أعطاه تراه يصر على الحصول على المزيد، فإذا ما لم يستطع تحول الأمر عنده إلى مرض يوصله بحالة معينة إلى اليأس وبالتالي الانتحار. ولعل خير تعبير عن هذه الحالة ما وصف الله ﷻ به الإنسان عندما قال:

﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾[1].

هذا هو الإنسان يطمع بالحصول على كل شيء، فهو إن أعطي حَرم وإن حُرم يأس وكفر. إن الإسلام دعا إلى القناعة بما يعطينا إياه الله ﷻ فقال في كتابه الكريم.

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[2].

إن الله سبحانه وتعالى يدعونا إلى أن نقنع بما يرزقه لنا فهو خير وأبقى، فلا نتطلع إلى ما أعطى غيرنا، فلعل غيرنا أعطي هنا ليحرم في الآخرة، فلنسأل الله ﷻ الذي حرمنا مما متع به غيرنا أن يعوضنا في الآخرة.

وقد ورد في هذا المجال عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

---

(١) سورة العلق، الآيتان: ٦ ـ ٧.

(٢) سورة طه، الآية: ١٣١.

«إياك أن تطمح بصرك إلى من فوقك فكفى بما قال الله ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ﴾، وقال: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فإن دخلك من ذلك شيء فاذكر عيش رسول الله ﷺ، فإنما كان قوته الشعير وحلواه التمر ووقوده السعف إذا وجده»[(١)].

وهذه دعوى صريحة لأن يقنع الإنسان بما أعطاه إياه الله، فلا ينظر إلى من فوقه ويقتنع بما قسمه الله ﷻ له. وهذه القاعدة تسرى كسنة في الحياة، فإن قنع الإنسان بالقليل من المعاش رضي الله منه بالقليل من العمل، ذلك أنه لا يحمل على عاتقه عبئ أموال حصلها بغير رضا الله سبحانه وتعالى، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«من رضي من الله باليسير من المعاش رضي الله منه باليسير من العمل»[(٢)].

والإنسان إن فعل ذلك فهو لن يكون فقيراً أو ضعيفاً، بل هو أغنى الناس وأقواهم. فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«من قنع بما رزقه الله فهو من أغنى الناس»[(٣)].

علاج موضوع الانتحار:

كنا قد قدمنا فيما سبق نصائح لمحاربة اليأس الذي هو مقدمة عملية لمعالجة موضوع الانتحار، والتي يجب التركيز عليها في موضوع التوجيه العام الذي هو من مسؤولية الدولة والإعلام والعلماء على مختلف اختصاصاتهم. وإضافة إلى ذلك هناك خطوات لا بد من اتخاذها لعلاج موضوع الانتحار نختصرها على الشكل التالي:

---

(١) الكافي الجزء ٢ الصفحة ١٣٧ ـ ١٣٨.

(٢) الكافي الجزء ٢ الصفحة ١٣٨.

(٣) الكافي الجزء ٢ الصفحة ١٣٩.

١ ـ قيام الدولة بوضع عقوبة رادعة لكل من يثبت محاولته الانتحار، ولا يقال هنا كيف تكون العقوبة هذه مفيدة مع من اتخذ قراراً بالموت، ذلك أن هناك نسبة لا بأس بها من محاولي الانتحار لا يكونوا جديين جداً في إقدامهم على هذا العمل، ثم في لحظة ما يقع المحذور وينتحرون. أما مع وجود العقوبة الرادعة فإنهم يتراجعون ولا يقدمون على المحاولة وبالتالي تخف نسبة المنتحرين.

٢ ـ الاهتمام بمن لديهم ميول انتحارية ومحاولة إعطائهم شيئاً من الأمل وعلاج اليأس لديهم، ومنحهم شيئاً من الرحمة والعطف.

٣ ـ دعوة الذين يعانون من مرض اليأس خاصة أولئك المذنبون الخاطئون، بل حتى الملحدون إلى التوبة كطريق للوصول إلى مرضاة الله وراحة أنفسهم وخروجهم من أزماتهم النفسية إلى رحابة الإيمان، ويتخلصون من وسوسة الشيطان لهم بالانتحار. وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم من خلال قوله سبحانه وتعالى:

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ۚ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ ۖ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[(١)].

فالتعاسة التي يعيشونها هي نوع من أنواع العذاب الدنيوي الأليم، الذي حدثنا عنه القرآن الكريم وبين لنا طريق الخروج منه من خلال التوبة.

٤ ـ توفير الدعم الأسري للذين يعانون من حالة نفسية قد تودي بهم إلى الانتحار، فإن العائلة هم أكثر الناس معرفة بحالة أبنهم، في حين إنهم أيضاً أكثر الناس قدرة على علاجه، من خلال الرعاية النفسية والعاطفية التي يمكن أن يوفرونها له، أكثر من مستشفيات

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٧٤.

ومراكز الرعاية الصحية وكما يقال: ليست المستأجرة كالثكلى.

٥ ـ توفير مراكز الرعاية الاجتماعية والصحية النفسية، حيث يوجه المريض إلى أمور تحرفه عن توجهه اليائس من خلال الرياضة والعمل المنتج وخلافه.

باختصار إن موضوع اليأس من المواضيع التي تكثر في هذه الأيام، خاصة مع تنامي مادية الحياة والبعد عن الأخلاق والروحانية في كل شيء، ويجب على المهتمين بتربية المجتمع أن يتصدوا لهذه الحالة من خلال التوجيه نحو الجوانب المشرقة في الحياة، فليست خسارة عزيز أو مال أو الوقوع في حبائل ماكر أو قاتل أو مغتصب تكون سبباً لأن نهرب من المواجهة لمستقبلنا، فنبادر إلى اليأس والابتعاد عن الحياة العامة، أو نفكر بالانتحار، فهذا التصرف بعيد عن المنطق والعقل السليم، فلا يوجد في هذه الحياة مصيبة تستأهل منا أن نضع حياتنا في إزائها فنقتل أنفسنا، ولو كان الأمر ينتهي بالموت ولا شيء بعد ذلك لهان الأمر، ولكن الواقع يقول إن الحياة الحقيقية ليست هذه التي نعيشها اليوم، بل هي الدار الآخرة حيث السعادة الأبدية أو الشقاء الأبدي، وأنا بيأسي وانتحاري أكون قد وضعت نفسي في مواجهة مع غضب الله ﷻ وعقابه، والذي لن يكون سهلاً بالمطلق إذ إن جزاء من يفعل ذلك جهنم خالداً فيها وبئس المصير. لذا لا بد من مواجهة الواقع الذي أعيشه بقوة الإيمان وبالاعتماد والاتكال على الله سبحانه وتعالى من خلال الدعاء والصلاة، ومن خلال النظر إلى الجوانب الإيجابية من الحياة واستجماع كل عناصر القوة التي أملك، لأغير حالة الضعف التي أعيش إلى قوة كبيرة تؤهلني لمواجهة الصعاب مهما كبرت، وأنال بذلك الفوز في الدنيا ورضوان الله سبحانه وتعالى في الآخرة.

٥

المخدرات والتدخين

لماذا المخدرات والتدخين؟

قد يسأل البعض لماذا طرح هذا الموضوع؟ وهل أصبحت هذه المسألة تشكل ظاهرة تحتاج إلى كل هذه العناية؟ والجواب إن ظاهرة التدخين وتعاطي المخدرات باتت تشكل في مجتمعات اليوم ظاهرة كبيرة جداً، حتى لا تكاد تجد مجتمعاً بعيداً عن التعاطي بإحدى هاتين الآفتين. والوضع لم يعد يقتصر على المجتمعات الغربية؟ أو غير المسلمة، بل امتدت اليوم إلى المجتمعات المحافظة بل وحتى المتدينة؟ وإن كانت بنسبة أقل بكثير منها في المجتمعات الغربية. غير أن تركها من دون التعرض لها، ومحاولة البحث عن أسبابها، والسعي لعلاج هذه الأسباب سيؤدي حتماً إلى تأثر مجتمعاتنا بشكل أكبر، وسريان هذه الظاهرة إلى كافة الطبقات الاجتماعية والفئات العمرية، لذا أردت التعرض لهذا الموضوع ومحاولة سبر غوره، لما أراه من خطر ستسببه هذه الظاهرة في الواقع الاجتماعي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن التكليف الشرعي يفرض أن لا تترك هكذا ظاهرة باتت تشكل خطراً محققاً من دون إبداء رأي الشرع بها وكيفية التعاطي معها.

أولاً: التدخين:

في البداية سأتحدث عن التدخين الذي هو حالة مستشرية في كافة المجتمعات، وقد اتجهت المجتمعات الغربية تحت وطأة عظم الكوارث الصحية والاجتماعية على المواطنين إلى اتخاذ إجراءات صارمة للتقليل من التدخين، ذلك أن الفاتورة الصحية للفرد في أي بلد تتأثر بعدد المدخنين، لما ثبت علمياً من تسببه بضرر بالغ على الصحة العامة، ومن هذه الإجراءات منع التدخين في أماكن محددة، ومنها زيادة الضرائب على الدخان، إلى ما هنالك من إجراءات، أما في مجتمعاتنا الشرقية فما زال هذا الموضوع بعيداً عن الإجراءات الرادعة الكافية لحماية المجتمع من الضرر الناتج عن هذه الآفة الاجتماعية، وسنتحدث فيما يلي عن هذا الموضوع انطلاقاً من رأي الشرع الإسلامي الحنيف.

تاريخ ظهور الدخان:

ظهر الدخان على الوجه المعروف به اليوم عام ١٤٩٢م تقريباً، حيث رأى بعض البحارة الأسبانيين شجرة الدخان عند اكتشافهم القارة الأمريكية. وأول ما ظهر الدخان في البلاد الإسلامية كان في أواخر المائة العاشرة من الهجرة النبوية، وأول من جلبه للبلاد الإسلامية هم الغزاة الصليبيين.

مِمَّ يتركب الدخان؟:

بالرجوع إلى التحاليل المخبرية المتفق على صحتها بين أهل الاختصاص، فإن الدخان يتركب من مجموعة من المواد السامة وهي على الشكل التالي:

١ ـ غاز أول أكسيد الفحم. (carbon mono oxideco) وهو أخطر المواد

التي تنتج عن التدخين، ولا يتركب منها أساساً وهو غاز سام مؤذٍ إلى حد القتل.

٢ ـ عنصر الرصاص الثقيل السام.

٣ ـ مادة البنزوبيرين التي لا خلاف بين الأطباء حول تأثيرها الفعال في ظهور السرطان.

٤ ـ النيكوتين وهي مادة سامة جداً لدرجة أن ٥٠ ملغراماً منها تقتل إنساناً إذا حُقن بها دفعةً واحدة في الشريان.

٥ ـ عنصر البلونيوم الذي يتركز في رئة المدخِّن ويفتك بها.

٦ ـ القطران: وهي المادة التي تؤدي إلى اصفرار الأسنان.

٧ ـ الزرنيخ الذي يُستعمل في إبادة الحشرات.

٨ ـ كحول ومواد مُطيبة تضيفها المصانع من أجل الاحتفاظ بالرطوبة في التبغ.

أضرار التدخين:

لقد أجمع الأطباء على أن التدخين هو من أخطر العادات التي يقوم بها الإنسان، والتي تسبب له أمراضاً وصلت عند البعض الذي حاول عدها إلى حوالي المائة مرضاً لعل أخطرها السرطانات المختلفة، وأبرزها سرطان الرئة والحنجرة، وما يؤدي إليه التدخين من قلة المناعة في جسم المتعاطي وعدم قدرته على مواجهة أبسط الأمراض التي يواجهها غير المدخن بشكل بسيط دون أن يكلف جسمه الكثير من العناء. وقد أثبت العلماء أن ضرر التدخين لا ينحصر بشخص المدخن بل يتعداه إلى غيره فيما اصطلح على تسميته بالتدخين السلبي، فإن من يجلس بجوار المدخن سيتأثر بما يستنشقه من دخان بشكل لا يقل عن الضرر الذي يحصل لنفس المدخن.

وكذلك فإن التدخين يضر بالجنين في بطن أمه فإن الدخان بما يحتويه من مواد سامة مثل النيكوتين، والسيانيد، وأول أكسيد الكربون يؤثر سلباً على صحة المرأة الحامل وصحة الجنين، ولا يتم ذلك عبر تدخين المرأة للسجائر فحسب، بل حتى عند تعرض المرأة الحامل للأبخرة المنبعثة من أفواه المدخنين فيما يسمى بالتدخين السلبي.

ويتأثر الجنين مباشرة من التدخين، وذلك لأن كثير من المواد السامة التي يحتويها الدخان تمر عبر المشيمة إلى الجنين مسببة عدد من التأثيرات، التي تم إثباتها في عدد من الأبحاث والدراسات التي أجريت حول هذا الموضوع ومن هذه التأثيرات:

١ ـ علاقة التدخين بحدوث الإجهاض:

علاقة التدخين بحدوث الإجهاض تم إثباته في الكثير من الأبحاث الطبية، ففي أمريكا مثلا فإن التدخين يؤدي إلى إجهاض حوالي ١٩٠٠٠ إلى ١٤٠٠٠٠ امرأة سنويا.

٢ ـ التدخين يسبب نقص في وزن الطفل المولود:

وجد الباحثون أن الأطفال المولدين لأمهات مدخنات ينقص وزنهم عند الولادة بمعدل ربع كيلوجرام مقارنة بالأطفال المولدين من أمهات غير مدخنات، وتزداد نسبة نقص الوزن عند هؤلاء الأطفال بزيادة عدد مرات التدخين. وقد يظن البعض أن ولادة أطفال وزنهم ناقص عن الطبيعي يعني أن ولادتهم سوف تكون ميسرة، إلا إن هذا غير صحيح، لأن نقص الوزن هنا سببه انكماش الأوعية الدموية الذي سبّبه التدخين للجنين طوال فترة الحمل، مما أدى إلى نقص التروية الدموية وما تحمله من الأغذية والأكسجين الضروريين للنمو الطبيعي للطفل، لذلك فإن هذا الطفل يكون معرضًا لمصاعب جمّة بعد الولادة، تلك المصاعب التي قد تضطر الأطباء لإبقاء الطفل في غرفة العناية المركزة.

٣ ـ التدخين يسبب بعض التشوهات الخلقية عند الطفل المولود:

أكدت عدد من الدراسات والأبحاث الطبية وجود علاقة بين تدخين المرأة الحامل وزيادة نسبة التشوهات الخلقية عند أطفالهن، ومن هذه التشوهات: الشفة المشقوقة، سقف الفم المشقوق، وبعض المشكلات التركيبية للعين والأذن والجهاز الهضمي والحبل ألشوكي للجهاز العصبي المركزي. كما ربطت أبحاث أخرى بين تدخين الحامل وظهور بعض المشكلات الصحية للطفل، حتى في سنوات متأخرة بعد ولادته مثل مشكلات الجهاز التنفسي كالربو.

٤ ـ التدخين وعلاقته بحدوث ما يسمى بحالة الوفاة المفاجئة للطفل بعد الولادة:

حالة الوفاة المفاجئة للطفل بعد الولادة، هي حالة يموت فيها الطفل وهو في الأشهر الأولى بعد الولادة دون وجود مرض مسبق يفسر حدوث الوفاة، وقد وجد الباحثون زيادة نسبه هذه الحالة عند الأطفال المولودين لأمهات مدخنات، أو تعرضن طوال فترة حملهن للتدخين السلبي، ولا يشترط أن يكون التدخين قد حصل أثناء الحمل؛ بل وجد الباحثون أيضًا أن تعرُّض الطفل بعد الولادة للتدخين السلبي قد يؤدي إلى هذه الحالة، لذلك ينصح بأن تتم رعاية الطفل بعد الولادة في مكان لا يتم فيه تدخين السجائر.

إن أماً تعرف هذه المخاطر وتستمر بالتدخين حال حملها هي أم لا تمتلك من صفات الأمومة التي من ضمنها التضحية ولو بالنفس لأجل أبنها شيء، لذا فإن على كل أم حامل أن تمنع نفسها عن هذه العادة السيئة، إن لم يكن لأجلها فلأجل أبنها الذي ستعرضه للخطر والتشوه والمرض.

إن عدم قدرة الأم على الامتناع عن التدخين يؤكد لنا مقولة أن

التدخين بعد الاعتياد عليه يصبح مثل المخدرات تدمن المرأة عليه ولا تستطيع تركه، وهذا ما يفرض حصول الأم أثناء الحمل على مساعدة طبية لعلاجها من إدمان التدخين، من دون حدوث ما يسمى بحالة الأعراض المصاحبة للتوقف السريع عن التدخين، والتي تعتبر السبب الرئيس في فشل بعض المدخنين عن الإقلاع النهائي عن التدخين.

حكم التدخين:

وقع خلاف كبير بين الفقهاء حول حرمة التدخين، حتى أخذ هذا الموضوع الأحكام الشرعية كلها ما عدا الاستحباب والوجوب، إذ ما رأيت فقيهاً أفتى بوجوبه فضلاً عن استحبابه. فقد ذهب بعض الفقهاء إلى الحرمة، وذهب بعضهم إلى الإباحة، في حين ذهب آخرون إلى الكراهة، فيما ذهب البعض الآخر وهم الأغلب إلى التفصيل. والغريب في الآمر أن الاختلاف بين الفقهاء لم يقتصر على بيان الحكم الشرعي، بل ذهب بعضهم إلى التوهين بالرأي الآخر بشكل لا يُقبل من عالم فاضل، كأن يقول بعض من ذهب إلى الإباحة في رده على من ذهب إلى التحريم، أنه ناقص الفقاهة إذ لو أنه كان فقيهاً لأدرك عظم الفائدة من التدخين والتي لم يدركها لعدم تعاطيها. وذهب البعض إلى التهكم في بيان الحكم الشرعي، كما نقل عن بعض مشايخ مصر حيث قال في جوابه عن استفتاء حول جواز التدخين عبارة تضحك الثكلى وتدل على عمق الاستهتار في بيان الحكم الشرعي إذ قال: «إن كان حراماً أحرقناه وإن كان حلالاً شربناه!».

بالله عليكم هل هذه إجابة عالم أم أنها مزحة سمجة لا تقبل من شيخ صغير فكيف بعالم يتصدى للفتوى بين الناس. وما سأعرض له فيما يلي هو الحكم الشرعي مع أدلة صاحب كل رأي من هذه الآراء.

١ ــ أدلة من قال بالحرمة:

ذهب بعض الفقهاء إلى تحريم الدخان، وذلك استناداً إلى عدة اعتبارات هي على الشكل التالي:

أ ـ إيجابه للضرر:

لا إشكال في استلزام التدخين الضرر البالغ الموجب لهلاك النفس، وكل ما كان موجباً للضرر المعتبر هو حرام من الناحية الشرعية وذلك لقوله سبحانه وتعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[١].

فالنهي عن قتل النفس شاملٌ لهذا العنوان وهو التدخين، وبالتالي يمكن الاستدلال على حرمته. ويمكن الاستدلال على نفس المعنى بالآية الكريمة التي نهت عن إلقاء النفس إلى التهلكة فقد قال سبحانه وتعالى:

﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٢].

وليس الضرر الموجب للحرمة هنا هو ما لا يصاحبه منفعة، بل قد يكون هناك منافع من وراء هذا العمل، كما لو كان هناك ربح وافر من وراء الاتجار به وازدهار الوضع الاقتصادي من خلال زراعته، ولكن كلما كان الضرر أكبر من النفع فإن الحرمة تكون مؤكدة. فقد قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:

---

(١) سورة النساء، الآية: ٢٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَاۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾(١).

وقد استدل من ذهب إلى الحرمة بهذه الآية الكريمة من خلال القول بأن المراد من الإثم هنا هو الضرر، كما يقول أهل اللغة وعليه واستناداً إلى هذه الآية الكريمة يمكن لنا التوصل إلى قاعدة أساسية وهي أن كل ما كان ضرره أكبر من نفعه كان حراماً، وهذا متوفر في التدخين ما يوجب القول بحرمته.

وبالرجوع إلى ألأحاديث الشريفة فقد ورد الكثير منها الذي ينهى عن إيقاع النفس بالضرر. فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «لا ضرر ولا ضرار»(٢).

وقد بينا بما لا مزيد عليه بأن التدخين موجب للضرر المحقق، بل هو انتحار بطيء، وقتل للنفس التي حرم الله عز وجل قتلها. ولا مجال للتملص من ذلك بالقول بأن الضرر المسبب عن التدخين لا يحصل دفعة واحدة، بل يحتاج إلى فترة طويلة من الزمن تصل إلى ما يقارب عمر الإنسان بأكمله، حيث أن الفقهاء أجمعوا على عدم الفرق في حرمة إيقاع النفس بالضرر إن كان متيقن الحدوث بين كونه مباشراً وبين كونه تدرجياً يحتاج إلى فترة طويلة من الزمن.

ب ـ كونه من الخبائث:

إذا أردنا أن نميز التدخين في أي خانة نضعه، هل في خانة الطيبات أم الخبائث، فلا إشكال في كونه من الخبائث، وقد حرم الله عز وجل الخبائث بقوله سبحانه وتعالى:

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢١٩.

(٢) وسائل الشيعة الجزء ١٢ الصفحة ٣٦٤.

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

وبهذا الاعتبار يمكن القول بحرمة التدخين لكونه من الخبائث قطعاً.

ج ـ إيجابه للإسراف والتبذير:

انطلاقاً من كون صرف الأموال في سبيل الحصول على الدخان هو صرف لها فيما ضرره محقق وهو بالتالي تبذير، وانطلاقاً من حرمة التبذير الواضحة من خلال قوله سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾[2].

فيمكن الاستدلال على حرمة التدخين من خلال هذه الآية على أساس أن صرف المال بإزاء الحصول على الدخان هو نوع من التبذير وبالتالي يكون حراماً، ولكن هذه الآية الكريمة إنما تدل على حرمة صرف المال لشراء الدخان ولكنها لا تدل على حرمة نفس الدخان الذي لا بد من كونه حراماً لنفس تعاطيه. وبالتالي لو حصل المدخن على الدخان مجاناً لا يكون شربه والحالة هذه حراماً عليه. وبالتالي لا يمكن الاستدلال من هذه الآية على حرمة نفس التدخين.

د ـ إضراره بالآخرين:

وأثر التدخين لا ينحصر بنفس الشخص، بل يتعداه إلى غيره ليصبح إضراراً بالغير، وهو غير جائز بالعنوان الثانوي حتى لو كان جائزاً بالعنوان الأولي، فإذا كان الشخص الذي بجانب المدخن يتضرر من

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٧.

التدخين، أو كانت المرأة حاملاً بحيث يؤثر التدخين على جنينها كما بينا في أضرار التدخين، فساعتئذٍ لا يجوز لهذا الشخص أن يدخن أمام هؤلاء حتى لو كان التدخين بناء لتقليده جائزاً، وذلك لاستلزامه الإضرار بالغير المجمع على حرمته. ولكن هنا يقال أيضاً أن الحرمة ليست على التدخين بذاته بل على حرمة الإضرار بالآخرين، وبالتالي لا تشمل ما لو دخن لوحده دون وجود أناس آخرين معه. وبالتالي لا يمكن الاستدلال من خلال هذه المسألة على حرمة نفس التدخين.

هـ ـ كونه من المسكرات:

ذهب بعض آخر إلى أن التحريم يستند إلى كون التدخين من المسكرات، ولأن كل مسكر حرام فالتدخين حرام، وهذا الدليل لا يمكن الاعتماد عليه كون أن التخدير والاسكار لم يثبت في التدخين، كما ثبت قطعاً في المخدرات والخمر. وقال البعض أنه إن لم يسكر فهو على الأقل يؤدي إلى التخدير والتفتير بنسبة ما لا تصل إلى حد الإسكار، وقد ورد أن رسول الله ﷺ نهي عن كل ما هو مسكر ومفتر. كما ورد عنه في كنز العمال:

«نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر»[1].

والمفتر كما في تاج العروس هو:

«فالمسكر الذي يزيل العقل والمفتر الذي يفتر الجسد إذا شرب أي يحمى الجسد ويصير فيه فتوراً»[2].

وقد اعتبروا هذا الحديث الشريف ذا دلالة قاطعة على التحريم، وإن ذهب من لم يفتي بالحرمة إلى أن الحديث الشريف غير صالح للانطباق على التدخين كونه لا يسكر ولا يفتر.

---

(١) كنز العمال الجزء ٥ الصفحة ٣٤٥.

(٢) تاج العروس الجزء ٣ الصفحة ٤٦٣.

هل الحرمة تشمل البيع والشراء؟:

السؤال المتبادر إلى الذهن هو أنه لو ثبتت حرمة التدخين، فهل تثبت معها حرمة الاتجار بها؟ والجواب أن ليس كل ما كان حراماً تناوله كان بيعه وشرائه حراماً، فالسم حرام تناوله في حين أن الاتجار به جائز، ولكن هذا الجواز ناتج عن وجود منفعة محللة معتد بها غير شربه، وبالتالي إن كان للدخان مورد آخر محلل من الناحية الشرعية جاز بيعه وشرائه، وإلا فإن من يعتقد بحرمة تعاطيه يحرم بيعه له لمن يعلم أنه سيستعمله بالتعاطي. نعم يمكن القول بجواز بيعه لمن يستحل شربه حتى لو كان من يبيعه يعتقد بالحرمة، وقد يقال بالحرمة حتى في هذا المجال من جهة كونه إعانة على الإثم كونه أي البائع يعتقد بأن من يتعاطاه يرتكب إثماً، ولكن هذا الأمر غير كافٍ للدليل على الحرمة لأن العبرة بكونه حراماً عند متعاطيه لا من يبيعه.

٢ ــ أدلة من قال بالكراهة:

ذهب بعض الفقهاء ونتيجة إلى فقد الدليل المباشر على الحرمة من خلال المصادر المقررة للتشريع الإسلامي، وبعد اقتناعهم بالآثار السلبية للتدخين إن على صعيد الصحة أو على صعيد آثار اجتماعية أخرى، إلى القول بالكراهة وقد استند هؤلاء إلى ما ثبت أنه حرام أم مكروه باعتبار آخر فقالوا:

أ ـ إيجابه الضرر:

الضرر وإن كان غير محقق فهو مشكوك ومظنون به إلى درجة كبيرة، وإيقاع النفس بالتهلكة أمر منهي عنه لقوله سبحانه وتعالى:
﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[1].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

فالضرر وإن كان غير متحقق على نحو اليقين ولكنه محتمل بشكل كبير ما يوجب كونه إيقاع للنفس في التهلكة. ومع كل ذلك فمن المتحقق كونه موجباً لنوع من الضرر، لاسيما في حال الإكثار منه، وبما أن الضرر الخفيف فيما لو أدمن عليه الإنسان يوجب الوقوع بالضرر الكبير، فلا ريب ساعتئذٍ من القول بالكراهة على نحو القدر المتيقن.

ب ـ كون صرف المال للحصول عليه تبذيراً:

هو نوع من أنواع التبذير لأنه صرف لمال فيما لا ينفع، بل فيما يضر، وبالتالي فإن هذا الصرف يكون منهياً عنه لما ورد في آية النهي عن التبذير.

وبالتالي فإن التدخين مكروه بهذا الاعتبار، وهو إن لم يكن تبذيراً فهو على الأقل إضاعة للمال فيما لا ينفع، وكان يمكن لصاحبه أن ينفقه فيما هو أنفع له أو للناس. وهنا يأتي إشكال كون الكراهة لنفس صرف المال، فيما لا ينفع لا لكون التدخين مكروهاً في ذاته.

ج ـ إيجابه لإزعاج الآخرين:

من المعروف أن المدخن يكون لديه رائحة فم نتنة، ومن المعروف أيضاً أن أكل أو شرب ما يؤدي إلى نتن رائحة المتعاطي أمر منهي عنه، لما يوجبه من إزعاجٍ لكل من حولنا خاصة لغير المدخن الذي تؤذيه عادة رائحة الدخان. وقد ورد في هذا المعنى ما عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا وليعتزل مساجدنا وليقعد في بيته»[1].

وهذا النهي من رسول الله ﷺ إنما كان بسبب رائحة هاتين الثمرتين، فكيف وللدخان رائحة انتن وأشد إيذاءً وهذا سبب للكراهة واضح.

---

(١) كنز العمال الجزء ١٥ الصفحة ٢٦٧.

د ـ إخلاله بالمروءة:

المروءة كما في لسان العرب:

«مرأ: المروءة كمال الرجولية ... وقيل للأحنف ما المروءة فقال: العفة والحرفة وسئل آخر عن المروءة فقال: المروءة أن لا تفعل في السر أمراً وأنت تستحي أن تفعله جهراً»(١).

فالذي يشرب الدخان إنما يقوم بأمر ينافي العفة، وبالتالي هو مكروه لهذا السبب.

ووقع الخلاف أيضاً بين من ذهب من الفقهاء إلى الكراهة بين كون هذه الكراهة تنزيهية أم تحريمية، ولكننا نعتقد أن الكراهة هي عدم الحرمة، ولا عبرة بالكراهة التحريمية التي هي عندنا نفس الحرمة.

٣ ـ أدلة من قال بالإباحة:

ذهب بعض الفقهاء إلى القول بالإباحة، استناداً إلى الأصل في الأشياء الإباحة، واعتبروا أن ما ذهب إليه البعض من التحريم استناداً إلى دعوى أنه يسكر أو يخدر فهو غير صحيح، بل لم يقم عليه دليل معتبر. وبالتالي فإن الضرر غير محقق؟، والاسكار مقطوع العدم، فلم يثبت التحريم استناداً إلى عنوان آخر غير التدخين من خلال آثاره، ولم يرد فيه تحريم بعنوانه لذلك فإن الحكم الشرعي فيه الإباحة. لكن من لم يعتده يحصل له إذا شربه نوع من غثيانٍ وهذا لا يوجب تحريمه. أما كونه موجباً للإسراف فهذا لا يؤدي إلى تحريمه لنفسه وإنما تحريم الإسراف هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن من ذهب إلى القول بالإباحة إنما استند إلى أن صرف المال بإزاء شيء يستمتع به الإنسان بعد أن لم يثبت إيجابه للضرر وهذا لا يوجب الحرمة.

---

(١) لسان العرب الجزء ١ الصفحة ١٥٤ ـ ١٥٥.

٤ ـ أدلة من ذهب إلى التفصيل:

ذهب بعض الفقهاء إلى التفصيل بين القول بالحرمة إذا تيقن المكلف الضرر، وبين القول بالإباحة إذا لم يكن الضرر محققاً، واستدلوا لكلا الرأيين بالأدلة التي استند إليها أصحاب كل رأي، وبالتالي فإن من تيقن من ضرر التدخين، إما لكونه مريضاً مرضاً يوقعه التدخين بسببه في خطر حقيقي، أو بأن تكون المعلومات لديه حول التدخين وصلت إلى مرحلة قطعية بالضرر البالغ حتى لو لم يكن مريضاً. أما إذا لم يصل إلى هذه القناعة أو لم يكن مريضاً مرضاً يضره التدخين فإن الحكم هو الإباحة.

وهذا الرأي بالنسبة إلي هو الأرجح بالنظر والذي تقتضيه ملاحقة الأدلة الشرعية. غير أن المقطوع فيه هو أن التدخين عادة سيئة مضرة أبتلى الله سبحانه وتعالى بعض الأشخاص بها فلم يعودوا قادرين على تركها، بحيث أصبحوا مدمنين عليها، وهذا ما يوجب النهي عنها منذ البداية بالتشديد على الأطفال بعدم الاقتراب منها، وذلك من خلال توعيتهم بضررها.

هل التدخين من المفطرات؟:

صدرت في الآونة الأخيرة فتاوى تتعلق بالتدخين لجهة كونه من المفطرات أم لا، وهذا الأمر وإن كان خارج بحثنا إلا إنه لا بد من المرور عليه وتبيان الرأي الشرعي للموافقين والمخالفين لهذه الفتوى.

والحقيقة إن بعض من ذهب إلى عدم كون التدخين من المفطرات ومنهم سماحة السيد الأستاذ آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله دام ظله لم يفت من جهة أخرى بجواز التدخين، بل إن الفتوى عنده حرمة التدخين سواء في شهر رمضان أم غيره، وعليه لا يمكن الاستناد

إلى هذه الفتوى إلى القول بجواز التدخين، بل إن من يدخن في نهار شهر رمضان عنده مأثوم وإن لم يكن بذلك قد أفسد صومه. بل إن الحرمة عنده تشتد في شهر رمضان باعتبار الإساءة إلى أجواء الشهر المبارك.

وممن ذهب أيضاً إلى هذه الفتوى الكاتب الإسلامي جمال ألبنا، حيث أفتى بالسماح بالتدخين أثناء الصيام لمن أدمن التدخين لكونه ليس من المفطرات. وقد لاقت هذه الفتوى اعتراضات كبيرة من فقهاء مصر ما دفع ألبنا للدفاع عن نفسه بقوله في تصريح لجريدة الشرق الأوسط:

«إن فتواه هذه ليست مجرد رؤية عابرة، وإنما قام بتأصيلها بناء على رأي الإمام بن عابدين، وهو من كبار فقهاء الحنفية، والذي أباح التدخين في رمضان، وقال أيضاً إذا كان التدخين والبخور ليسا مغذيين فهما ليسا مفطرين للصائم»[1].

وإني وإن كنت لست موافقاً على الرأي القائل بأن التدخين ليس من المفطرات، إلا إن ذلك لا يجوز أن يدعوني أو يدعو غيري إلى التهكم على أصحاب الرأي الآخر والنيل من فكرهم واجتهادهم.

ومن المعروف احتواء الدخان على مواد كثيرة تدخل إلى الجوف أثناء التدخين، ودخول أي مادة مهما كانت صغيرة حتى لو لم تكن أكلاً معتاداً يوجب الإفطار، والدليل على احتواء الدخان على هذه المواد الصلبة هو الأثر الذي تتركه على الأسنان، بل على الشارب وأصابع اليد التي تحمل اللفافة، وهذا يعني أن الذي يدخل الجوف ليس مجرد هواء، بل هو دخان كثيف يحتوي على مواد كالنيكوتين والقطران وغيرهما ما يوجب إفطار متعاطيها.

---

(١) جريدة الشرق الأوسط الثلاثاء ٩ أكتوبر ٢٠٠٧ العدد ١٠٥٤٢.

كيف نتخلص من التدخين؟:

بغض النظر عن كون التدخين محرماً أم مكروهاً أم مباحاً فإنه من الواضح أنه عادة سيئة تؤدي إلى ضرر واضح على صحة الإنسان، وبعد الاعتياد عليه يصبح آفة يصعب التخلص منها، ويحتاج الإنسان إلى إرادة صلبة في ذلك. إلا إن ترك التدخين في نفسه أمر مرغوب ومحبوب للشارع المقدس لو دققنا بالمفاهيم الإسلامية، التي تتحدث عن تجنب الإنسان الإضرار بنفسه أو بغير. وعليه كيف يمكن لنا التخلص من هذه الآفة؟

إن مكافحة التدخين تنطلق من منطلقين أساسيين، أولهما الوقاية من خلال عدم وقوع الناس في براثن هذه الآفة. والثاني هو العلاج الذي يجب أن نعطيه لمن وقع في حبائل هذه العادة السيئة.

مسؤولية الوقاية تقع بشكل أكبر على الدولة ووسائل إعلامها، كما تقع على الجهات المتخصصة بالشأن العام، كجمعيات المجتمع المدني والمدارس والجامعات ووسائل الإعلام، كما تقع مسؤولية أكبر على العلماء في توعية الشباب المسلم حول هذا الخطر الكبير.

فعلى الدولة اتخاذ قرارات بمنع التدخين في الأماكن العامة، ومنع بيع الدخان لمن كان دون الثامنة عشر سنة، أو حتى أكبر من ذلك وأيضاً فرض ضرائب عالية على الدخان. كما يمكن منع الترويج الإعلاني للتدخين في وسائل الإعلام.

أما في موضوع العلاج لمن وقع في براثن هذه الآفة الخطيرة فلا بد أولاً من إقناع المدخن بخطر التدخين على صحته، إذ لو لم يعتقد المدخن بذلك، فإنه يستحيل تركه لهذه الآفة التي أدمن عليها. والأمر الثاني الذي لا بد من توافره في المدخن للإقلاع عن التدخين، هو توفر الإرادة لديه لهذا الفعل وهذا يحتاج إلى تدريب من جهة، ومن جهة

أخرى، إقناعه بأن الاتكال على الله يوفر له إمكانية التحلي بالقوة اللازمة للتخلص من هذه الآفة، لأنه لو اعتمد على نفسه فقط لن يستطيع التخلص من سلطان التدخين عليه. وهنا لا بد من توجيه النصائح التالية:

١ ـ اختيار وقت مناسب لترك التدخين.

٢ ـ استبدال التدخين بعادة نافعة مساوية لها في قوتها (هواية، رسم، رياضة).

٣ ـ تغيير الروتين اليومي: مثل التخلي عن القهوة قبل الطعام.

٤ ـ أن ينفق كل ما يتوفر له من ثمن السجاير في شراء أشياء نافعة، أو أن يتصدق بها وأن يفتخر بذلك أمام الناس.

٥ ـ في كل مناسبة أعلن أنك تركت التدخين، وانصح المدخنين بالسلوك مثلك، وذلك كي يتحول الأمر لديك إلى صفة حميدة تفتخر بها بحيث يصعب عليك تركها.

ثانياً: المخدرات:

قدمت الحديث عن التدخين والذي هو عادة سيئة لا بد للمجتمعات المتحضرة من التخلص منها، والذي ذهب بعض الفقهاء إلى حرمته لما يجلبه من ضرر على متعاطيه، مما يسهل علي الحديث عن حرمة المخدرات بشكل أوضح، ذلك أنه لا خلاف بين الفقهاء والعلماء على اختلاف أنواعهم على الضرر الذي يوجبه.

والمخدرات كلمة مأخوذة من الخدر الذي هو كما الصحاح:

«الخدر الستر وجارية مخدرة إذا لازمت الستر»[١].

---

(١) الصحاح الجزء ٢ الصفحة ٦٤٣.

والمراد به هنا الحالة التي تغشى العقل والفكر من الكسل والثقل والفتور، فكأنه يستتر بشيء.

فالمخدر هو ما يستر الجهاز العصبي عن نشاطه المعتاد. ونقصد بالمخدرات من الناحية الشرعية المسكر الجامد في مقابل المسكر المائع وهو الخمر، وكل ما يسبب هذه الحالة للعقل ويشمل الحشيشة والأفيون والكوكايين والهيروين والمورفين وحبوب الهلوسة على اختلافها.

والمخدرات ليس مجرد عادة سيئة فحسب، بل هو بمثابة الوباء الذي إن انتشر فسيقضي على المجتمع ويدمره تدميراً. وللأسف لم يتم التعامل مع هذه الظاهرة في مجتمعاتنا بالشكل المطلوب والذي يتناسب مع خطرها.

وبالرجوع إلى مفاهيم الإسلام الأساسية المتعلقة بالإنسان والنظرة إليه نجد أن الله سبحانه وتعالى كرم بني آدم بقوله سبحانه وتعالى:

﴿۞وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾(١)

إن من يتعاطى المخدرات يكون ممن لم يكرم نفسه، وهو بذلك لا يكون من بني آدم الذين كرمهم الله سبحانه وتعالى، ذلك أن أعظم نعمة كرمنا الله بها ولأجلها هي نعمة العقل، ومن يذهب إلى تناول المخدرات يكون متجهاً نحو تعطيل عقله ليصبح كالأنعام بل أضل سبيلاً. ذلك أنه بذهاب عقله باختياره يكون مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾(٢).

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

(٢) سورة الحج، الآية: ٤٦.

فالآية تذم كل من يسعى لطمس عقله، بحيث أنه يصبح أعمى لا يبصر، وإن كان يمتلك أداة البصر التي هي العين، ذلك أن العمى الحقيقي هو عمى البصيرة لا عمى البصر، ومتعاطي المخدرات يعمل على عمى بصيرته باختياره. والشارع الكريم أكد على أن مقاصده خمسة وهي: حفظ الدين والنفس والعقل والمال والنسب، فمن يسعى لإذهاب عقله وإفساده يكون مخالفاً لمقاصد الشريعة المقدسة.

أضرار المخدرات:

إن أضرار المخدرات أكثر من أن تحصى وهي تمس كل المستويات الشخصية والعائلية والاجتماعية:

أ ـ على الصعيد الشخصي:

فهي على المستوى الشخصي تؤدي إلى الإضرار بالدين، ونسيان ذكر الله، ولها تأثير فادح في الجسد والعقل، مما يؤدي إلى ذهاب الحياء والغيرة والمروءة، وتساعد على اقتراف المحرمات من السرقة والفواحش والظلم والقتل وعقوق الوالدين، وغير ذلك من الكبائر فضلاً عن الصغائر الواقعة في الدين، كما أن هناك أضرار بدنية واجتماعية، وهي أيضاً تؤدي إلى تخريب وتدمير الصحة والأعصاب والعقل والفكر ومختلف أعضاء جهاز الهضم، وغير ذلك من المضار والمفاسد التي تفتك بالبدن كله، أما بالاعتبار الآدمي والكرامة الإنسانية فإنها تؤدي إلى اهتزاز شخصية الإنسان المتعاطي، ويصبح موضع الهزأ والسخرية، وفريسة الأمراض المتعددة. وقد ثبت أن حوالي ٣٦٪ من المدمنين على المخدرات ينتحرون إما تحت تأثير مباشر للمخدرات، أو لكونه مصاباً بالاكتئاب أو الذهان أو شذوذ الشخصية أو بالهلوسة المزمنة.

ب ـ على الصعيد العائلي:

المخدرات تفكك الأسرة، وتؤدي إلى تعريض الزوجة والأولاد

إلى إساءات كبيرة غير محتملة، قد تصل إلى حد تعريضهم للقتل، أو إلى سفاح القربى، مما يؤدي إلى انقلاب حياة الأسرة جحيماً لا يطاق، جراء التوترات العصبية والنفسية والهيجان والسب والشتم، والتكسير لأثاث البيت والإرباك في أجواء الأسرة، وإهمال الزوجة والتقصير في الإنفاق على المنزل زوجة وأولاداً، كما تؤدي المسكرات والمخدرات إلى إنجاب أولاد معاقين متخلفين عقليا.

ج ـ على الصعيد العام:

تؤدي المخدرات تعاطياً وترويجاً إلى تضييع الأموال من دون أية منفعة من وراء هذا الإنفاق، بل إن المتحصل هو الضرر، كما إن المخدرات تفقد صاحبها القدرة على العمل والدراسة، وتعطيل المصالح والأعمال والتقصير في أداء الواجبات والإخلال بالأمانات العامة، سواء بمصالح الدولة أو المؤسسات أو المعامل أو الأفراد. هذا فضلاً عما يؤدي إليه السكر أو التخدير من ارتكاب الجرائم على الأشخاص والأموال والأعراض، بل إن ضرر المخدرات أشد من ضرر المسكرات، لأن المخدرات تفسد القيم الخلقية وتكلف الدولة مبالغ مهمة في محاربتها.

وما ثبت أخيراً من كون تعاطي المخدرات أحد الأسباب الرئيسية التي تؤدي إلى الإصابة بمرض الإيدز، يؤكد أن هذه الآفة توقع المجتمع والأفراد بأفدح الأخطار التي يمكن أن يواجهها فرد أو مجتمع. ومن البديهي ذكره أن من الأضرار التي تقع على هامش الاتجار بالمخدرات، هو تلك العصابات الإجرامية التي تعيش على هامش عملية الترويج مع ما تنشره من أخطار على السلم والأمن الاجتماعيين، وهذا الضرر ليس على صعيد الفرد فحسب بل يعم المجتمع بأكمله.

حرمة المخدرات:

لعل الإجماع على حرمة المخدرات من الأمور البديهية التي لا يختلف فيها اثنان، وقد استدل الفقهاء عليها من خلال أدلة كثيرة هذه أهمها:

أ ـ كون المخدرات من الخبائث:

لا إشكال في أن الإسلام حرم علينا في باب الأطعمة والأشربة كل ما ينطبق عليه عنوان الخبيث

فقد قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[(١)].

ولو أردنا أن نصنف المخدرات هل هو من الطيبات أم من الخبائث، فإن كل ذي عقل راجح يحكم بأنه من الخبائث، وبما أن كل خبيث منهي عنه فإن المخدرات يحرم تعاطيها.

ب ـ إيجاب المخدرات للضرر:

إن الضرر الذي توجبه المخدرات هو ضرر بيِّن أجمع عليه علماء الصحة الجسدية والنفسية ولا يقتصر الضرر على نفس الشخص، بل إنه يعم المجتمع بأكمله لما يوجبه من تفكك للأسرة والجماعة وللأمراض الفتاكة، التي تنتقل بواسطة المخدرات كالإيدز وخلافه. وبما أن الضرر منهي عنه كما قدمنا في حديثنا عن الضرر في التدخين فساعتئذٍ لا يجوز من الناحية الشرعية تعاطي المخدرات.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

ج ـ كونه من المسكرات:

إن حرمة الخمر أمر متسالم عليه في الشرع الإسلامي لقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(١).

ومن المعروف أن الخمر إنما حرم من أجل كونه من المسكرات، وقد أجمع الفقهاء على حرمة كل مسكر لا على أساس القياس المطلق بل لكونه من قياس منصوص العلة. فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كل مسكر حرام، قال: قلت: أصلحك الله كله؟ قال: نعم الجرعة منه حرام»(٢).

وبناء للحديث الشريف يمكن الاستفادة أن المخدرات حرام لثبوت كونه من المسكرات. وهو بالتالي داخل تحت عموم تحريم الخمر ويأخذ حكمه، بل أنه من اخطر المسكرات فإن الخمر قد تترك لشاربها بعضاً من عقله أما المخدرات فإنها تُذهب العقل بأكمله.

بالرجوع إلى الحديث الشريف السابق، نجد أن الإسلام سعى ليس لمجرد التحريم، بل سد الطريق أمام الاعتياد على هذه العادة السيئة، فنهى عن المسكر حتى لو تناولت كمية قليلة منه لا تؤدي إلى الإسكار فاعتبر أن الجرعة منه حرام، وهذا هو مصداق الاجتناب في آية تحريم الخمر السابقة. حيث أن الاجتناب أقصى من الحرمة لأنها تعني الابتعاد كلياً حتى مجرد الاقتراب منها، وبالرجوع إلى المدمنين على المخدرات

(١) سورة المائدة، الآية: ٩٠.

(٢) الكافي الجزء ٦ الصفحة ٤٠٩.

والخمر نجد أن أغلبهم إنما أدمنوا بعد أن ابتدءوا بتناول جرعات بسيطة على سبيل حب الاستطلاع والتجربة، ثم وقعوا في حبائل الشيطان وتحولوا نحو الإدمان.

د ـ كونه موجباً للتبذير والإسراف:

من أوضح الواضحات أن ما نصرفه من مال بإزاء المخدرات هو صرف للمال فيما لا منفعة منه، بل هو صرف له بما يوقعنا بالضرر وهو عين التبذير والسفه، وهما أمران حرمهما الشرع الحنيف، وانطلاقاً من ذلك يمكن لنا القول بحرمة صرف المال لشراء المخدرات، وهذا الدليل وإن كان واضحاً لجهة حرمة صرف المال بإزائه، إلا إنه لا يرقى للدلالة على حرمة التعاطي، فماذا لو أهداك أحدهم المخدر أو تيسر لك من خلال نباته في أرضك من دون مقدمات منك.

حكم ترويجها وصناعتها وزراعتها والاتجار بها:

بما أن المخدرات صنفت كالخمر كونه من المسكرات، فإن حكم بيعها وترويجها وصنعها هو تماماً حكم من يفعل ذلك في الخمر، الذي لعن الله فيها كما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام عشرة أنه قال:

«لعن رسول الله صلى الله عليه وآله في الخمر عشرة غارسها وحارسها وبايعها ومشتريها وشاربها والآكل ثمنها وعاصرها وحاملها والمحمولة إليه وساقيها»[(١)].

وهذا الحديث الشريف دليل على حرمة التعاطي والترويج والصنع للخمر، ولكل مسكر ومنه المخدرات، وهذا دليل عن أن الإسلام في أحكامه الشمولية لم يغادر المسألة دون أن يحكم على المال المكتسب فيها واعتبره من الكسب الحرام.

---

(١) الكافي الجزء ٦ الصفحة ٤٢٩.

وإن قلت إن هذا الحكم خاص بالخمر ولا دليل على شموله للمخدرات، قلت: إنه يمكن سريان الحكم للمخدرات كون الحكم في الخمر إنما كان بسبب الإسكار، ويمكن استخدام القياس هنا كون التحريم منصوص العلة، وحتى لو لم يكن كذلك فإننا يمكن لنا الحكم بحرمة كل ذلك من باب حرمة كل ما يؤدي إلى الحرام، وإذا لم يستقم لديك هذا الدليل فيمكن القول بالحرمة من باب النهي عن التعاون على الإثم والعدوان لقوله سبحانه وتعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْيَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾(١).

حكم متعاطيه:

إن حكم متعاطي المخدر هو عينه حكم متعاطي الخمر، فإن المتعاطي يكون مرتكباً لكبيرة يحكم عليه القاضي بحد شارب الخمر، وهو هنا ثمانون جلدة لا يفرق فيها بين رجل وامرأة لما ورد عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام أنهما قالا:

«كان علي عليه السلام يضرب في الخمر والنبيذ ثمانين»(٢).

وقد يُشكل على ذلك بان هذا هو حد شارب الخمر ولا يمكن أن يشمل متعاطي المخدر لعدم وروده قي النص، وقد يكون هذا الكلام صحيحاً من ناحية آلية استنباط الأحكام، إلا إن للقاضي في هذا المجال

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢.

(٢) وسائل الشيعة الجزء ١٨ الصفحة ٤٦٩.

أن يحكم بالتعزير، لارتكاب المتعاطي السكر المنهي عنه بغض النظر عن كون ذلك من الخمر موضوعاً، أو مما هو مقاس عليه كون حرمته كما قلنا إنما هي من باب قياس منصوص العلة.

حكم زراعته وترويجه:

تعتبر مسألة زراعة وترويج المخدرات من المسائل المستحدثة، التي يعود أمر الحكم فيها إلى اجتهاد الفقهاء الذين يستنبطون حكمه من الكتاب والسنة وتعويلاً على مقاصد الشريعة، ولقد أفتى فقهائنا المعاصرون باعتبار مروجي المخدرات مصداقاً للمفسدين في الأرض الذين حكمهم القتل كما ورد في قوله سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1].

ولا إشكال في انطباق عنوان الفساد في الأرض على مروج المخدرات، فإذا ما لاحظنا الضرر الذي توقعه المخدرات في المجتمع، والتي تعم أرجائها وطبقاتها كافة يتأكد لنا أن الفساد الذي توقعه أكبر بكثير من أي نوع آخر من أنواع الفساد.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الأموال التي يحصل عليها كل من الزارع والمروج هي أموال محرمة وسحت، لا يجوز تملكها تماماً كمال الخمر. فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«السحت أنواع كثيرة منها كسب الحجام إذا شارط واجر الزانية وثمن الخمر فأما الرشا في الحكم فهو الكفر بالله العظيم»[2].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٣.

(٢) الكافي الجزء ٥ الصفحة ١٢٧.

أسباب تعاطي المخدرات:

معرفة الأسباب المؤدية لتعاطي أية آفة هي الطريق الأقصر لمعرفة طرق العلاج، وهناك العديد من الدراسات التي أجريت على متعاطي ومدمني المخدرات توصلت إلى نتائج مهمة على هذا الصعيد، ويمكن تلخيص أهمها على الشكل التالي:

١ ـ الفراغ الروحي والنفسي، وعدم وجود أهداف يسعى لها الإنسان، أو كونه قد حصل على كل المتع التي يريدها من خلال امتلاكه للثروة مثلاً، ولكنه في نفس الوقت لم يتوصل إلى السعادة، كل ذلك أدى ببعض ضعاف النفوس إلى اللجوء إلى تعاطي المخدرات، ظناً منهم أن ذلك سيؤدي إلى تخلصهم من الفراغ وملئ أوقاتهم بما يسعدهم، فإذا بهم يتحولون بعد الإدمان إلى تعاسة أكبر تؤدي بهم في كثير من الأحيان إلى الانتحار. وتبين أن ٥١٪ ممن تعاطت معهم الدراسة كان تعاطيهم أو إدمانهم لهذا السبب.

٢ ـ لرفاق السوء الذين يتعاطون المخدرات أو يدمنون عليها الأثر الكبير على دخول عدد كبير من متعاطي المخدرات إلى هذا العالم، وقد تبين بحسب الدراسة أن ٦٦٪ من أفراد العينة لجئوا للمخدرات بسبب رفاق السوء[١].

٣ ـ سفر بعض الأشخاص إلى البلاد الغربية وابتعادهم عن رقابة الأهل وعدم تحصنهم بالإيمان، أو على الأقل بمنظومة من القيم الأخلاقية والاجتماعية، يؤدي بهؤلاء الأشخاص إلى الانحراف واللجوء إلى التعاطي والوصول إلى الإدمان ربما، وقد تبين أن ٤٦٪ من أفراد العينة كان تعاطيهم انطلاقاً من هذا السبب.

---

(١) النسبة ٦٦٪ وفي غيرها ٥١٪ يعني تداخل الحالات بأن يكون هناك أكثر من سبب للتعاطي.

٤ ـ تعتبر المشكلات الأسرية واحدة من الأسباب المهمة المؤدية للجوء إلى المخدرات، هرباً من الجو الضاغط الذي يعاني منه هؤلاء في أسرهم، وتبين أن ٣٨٪ من أفراد العينة كان تعاطيهم انطلاقاً من هذا السبب.

وهناك أسباب أخرى سيقت لموضوع التعاطي بالمخدرات، منها توافر المشروبات الكحولية والمخدرات وسهولة الحصول عليها، ومنها الأحكام الغير رادعة على الاتجار بها وزراعتها وتعاطيها، ومنها وفرة المال مع نقص الوعي بالمخدرات، والأهم من ذلك كله الابتعاد عن تعاليم الدين بغض النظر عن نوعه، إما بسبب عدم قيام العلماء بدورهم، أو بسبب البرامج الإعلامية والمواد الإعلانية الهابطة.

كيف نواجه هذه الآفة ونقضي عليها:

تعتبر ظاهرة انتشار المخدرات من أخطر الآفات التي تعاني منها المجتمعات على اختلاف أنواعها، وصحيح أن المجتمعات الغربية هي الأكثر عرضة لهذه الآفة، إلا إن مجتمعاتنا الإسلامية لم تسلم منها، بل إنها انتشرت إلى حد باتت تعتبر من أصعب مشكلات مجتمعاتنا، وإننا نجد من خلال الاستطلاعات أنه كلما كانت بيئة ما بعيدة عن الإلتزام بالإسلام أو بالتعاليم الدينية الأخرى، كلما كانت هذه البيئة عرضة لهذه الآفة، أما إذا كانت البيئة ملتزمة أحكام الشرع والدين، أو كانت تلتزم بالضوابط الأخلاقية للإسلام خاصة، أو الأديان الأخرى بشكل عام، وإن لم تكن متدينة بالأصل، كانت هذه البيئة أبعد عن هذه الآفة ومحصنة من الوقوع فيها. ولمواجهة هذه الآفة الخطيرة لا بد من سلسلة إجراءات هذه بحسب إطلاعي على الموضوع أهمها:

أ ـ الإلتزام بتقوى الله وطاعته:

انطلاقاً مما تقدم يظهر لنا بوضوح أن من أهم الطرق في القضاء

على هذه الآفة القاتلة هو تقوى الله تعالى والتوبة إلى الله والإنابة إليه، والرجوع إلى الكتاب والسنة ففيهما كل الخير، فقد قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1].

إن الإلتزام بطاعة الله ﷻ في كل شيء تحصن المجتمع وتبعده عن المعاصي فينال هذا المجتمع رحمة الله، لذا فإن تقوى الله سبحانه وتعالى هي من أهم طرق مواجهة آفة المخدرات القاتلة. خاصة أن الأديان بشكل عام والإسلام منها يحرم بشكل مطلق ومجمع عليه تعاطي هذه الآفة، ومعنى تقوى الله هو الإلتزام بأوامر الله ﷻ والامتناع عن نواهيه، مما يؤدي إلى ترك المؤمنين المتقين لتعاطي المخدرات. كما وإن التقوى تكون دافعاً لدعوة غيرنا وخاصة أهلنا من التعرض لهذه الآفة من باب وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مما يشكل حصانة إضافية للمجتمع بشكل عام من الوقوع فريسة هذه الآفة الخطيرة والمدمرة على صعيد الفرد والمجتمع.

ب ـ قيام الدولة بواجباتها:

إن المهمة الأساسية في مواجهة آفة المخدرات تقع على عاتق الدولة، ذلك أن حماية المواطنين هي من أولى واجباتها، كما أن هذه الآفة الخطيرة لها آثار سلبية على صحة المجتمع من خلال ما تنشره من أمراض، وعلى اقتصاد المجتمع من خلال ما تستنزفه من أموال، وما توجبه من تعطيل للطاقات، وعلى الأمن الإجتماعي نتيجة للجرائم التي ترتكب على هامش التعاطي أو الاتجار بهذه الآفة. لذا فإنه يجب على الدولة القيام بواجبها بردع انتشار هذه الآفة من خلال استصدار قوانين

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٢.

رادعة وقاسية لمروجي المخدرات، بل وحتى متعاطيها. كما لا بد من توفير فرص العمل والدراسة ومحاربة البطالة بتأمين فرص عمل مناسبة للأجيال الصاعدة. فإذا قامت الدولة بواجباتها على أكمل وجه، استطعنا حماية وتحصين مجتمعاتنا من الوقوع في براثن هذه الآفة الخطيرة.

ج ـ قيام مؤسسات المجتمع المدني بواجباتهم:

في أي مجتمع من المجتمعات بغض النظر عن توجهاتها الفكرية والدينية والثقافية، خاصة المجتمعات الحديثة لا بد من تضافر جهود عدة عناصر فيها للعمل على بناء المجتمع وتحصينه، فمن دور الأسرة إلى دور الدولة إلى دور ما اصطلح عليه بمؤسسات المجتمع المدني، إن الدور الذي يمكن أن تلعبه هذه المؤسسات كبير جداً وهو لا ينحصر بمجال واحد، بل يمكن لهذه المؤسسات القيام بأدوار مختلفة بحسب ما تسمح به إمكاناتها، أو ما توفره لها الدولة من مساحة حرية للعمل. وبالتالي فإنها يمكن لها صيانة وحماية المجتمع من هذه الآفة، من خلال قيامها بتأمين برامج ترفيهية وتعليمية تحذر من مخاطر المخدرات، وتؤمن الفرص المناسبة لملئ الفراغ الذي يعيشوه من خلال النشاطات المختلفة، أو من خلال تأمين فرص عمل تسهم في القضاء على البطالة، كأحد الأسباب المؤدية إلى التعاطي بهذه الآفة الخطيرة.

د ـ دور علماء الدين:

لعالم الدين دور أساسي في مواجهة الأخطار التي تتعرض لها الأمة، وخاصة في الأمور التي لا يعرف الناس حكمها، وهي من الحوادث الجديدة التي لم تكن معروفة سابقاً، وحيث أن المخدرات هي من تلك الأمور التي يتذرع البعض بأنها لم تكن على عهد رسول الله ﷺ، فلا بد من أن يقوم علماء الدين بتبيان الحكم الشرعي منها، وإذا لم يفعلوا ذلك فإنهم ملعونون كما قال رسول الله ﷺ:

«إذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه، فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله»[1].

لذا فحيث أن رأي علماء الدين أن المخدرات حرام، فلا بد من قيامهم بتبيان هذا الحكم الشرعي، والتحذير من عقاب الله ﷻ لمتعاطيها ومروجيها، ولا بد من إفهام الناس أن ما يروجه البعض من أن المخدرات غير مذكورة في آية أو رواية أمر مردود عليه، وأن الإسلام نهى عن كل مسكر ومفتر، وبالتالي فإن عقاب المتعاطي والمروج هو عقاب متعاطي ومروج الخمر، بل لعله أشد لأن خطر المخدرات أكبر بكثير من الخمر.

إن تقصير علماء الدين في أداء دورهم في مواجهة هذه الآفة هو من أهم أسباب انتشار هذه الآفة، وبالتالي فإن حساب الله على هذا التقصير سيكون عسيراً، ويكفي أن لعنة الله سبحانه وتعالى ستحل عيهم.

هـ ـ دور وسائل الإعلام:

هذا العصر هو بحق عصر الإعلام، الذي من خلاله يبنى الرأي العام ويُحبب الناس بهذا المنتج أو يكرهونهم به، لذا يجب أن لا نغفل دور الإعلام في عملية تحصين مجتمعاتنا من الوقوع في براثن آفة المخدرات، وحيث أن لوسائل الإعلام دور كبير في توجيه الرأي العام، بل إن المرغبات التي تعتمدها والتقنيات الني تبرع بها سواء من خلال الإعلان، أو من خلال البرامج التلفزيونية أو الأفلام تُسهل على المتعاطي التمسك بهذه الآفة، ففي بعض الأفلام تقدم لنا المؤسسات الإعلامية بعض الأبطال على أساس أنهم من متعاطي المخدرات، ويبررون لنا تعاطيهم ويحببونهم لنا، فيتحول التعاطي بالنسبة إلى الناشئة

(١) الكافي الجزء ١ الصفحة ٥٤.

أمراً محبباً يمكن لهم القيام به تقليداً لهذا البطل المحبوب. في حين إنه يجب على هذه الوسائل أن تقدم المتعاطي بصورته الحقيقية والتي هي صورة مقيتة، وإبراز المصير السيئ الذي سيؤول إليه هؤلاء، فيرتدعون عن الوقوع في هذه الآفة. ويمكن لهذه الوسائل أن تبث أفلاماً وثائقية، أو برامج تعليمية توضح أخطار تعاطي المخدرات على الفرد وعلى المجتمع، ما يساهم في عملية الردع عن الوقوع فيها ويتحصن المجتمع من خطرها.

و ـ دور المؤسسات التعليمية:

تعتبر المؤسسات التعليمية وخاصة في المرحلة الثانوية والجامعية ساحة خصبة لترويج المخدرات وتعاطيها، ذلك أن الشباب في هذه المرحلة يعيشون سن المراهقة التي هي أخطر المراحل العمرية للإنسان، حيث يكونون فيها عرضة لخطر الانحراف أكثر من أي وقت آخر، وهذا ما يفرض على المؤسسات التعليمية القيام بمهام التوعية والإرشاد لصون الشباب في هذه المرحلة العمرية عن خطر الانحراف.

إن البرامج التعليمية التي توضح خطر المخدرات المدمر، إضافة إلى البرامج الترفيهية أللامنهجية الهادفة، يمكن أن تساهم في التقليل من أخطار الوقوع في حبائل هذه الآفة الخطيرة. ولا بد من أن تتضمن البرامج التعليمية مواداً توضح أخطار المخدرات وتنبه لخطرها، ما يساهم في تحصين الشباب من الوقوع في حبائلها من خلال العلم.

ز ـ توفير مراكز علاج الإدمان:

من المهم التعاطي مع موضوع المدمنين على أساس أنهم مرضى لا بد من معالجتهم عبر إخضاعهم لبرامج تأهيل نفسي وصحي، لا على أساس أنهم مجرمون لا بد من عقابهم، فالذي يستأهل العقاب هو المروج الذي مكّنهم من المخدر ليتعاطوه، ولذلك يجب على الدولة ومؤسسات المجتمع المدني أن يقوموا بتأمين هكذا مراكز متخصصة يتم

حجزهم بها وعلاجهم من الإدمان، ذلك أن تركهم من دون علاج سيؤدي إلى تفاقم مشكلتهم، بل وتأثيرهم على غيرهم من خلال إما خداعهم وإدخالهم في نفس المأزق الذي يعيشونه، أو من خلال الأمراض التي ينشرونها، أو من خلال الجرائم التي يرتكبونها في المجتمع.

ح ـ مقاطعة مروجي المخدرات وزارعيها:

المشكلة إن مروجي المخدرات هم من الطبقة الغنية عادة لما تجلبه هذه التجارة من أرباح كبيرة، وهم في كثير من البلدان يحتلون مواقع مهمة في الدولة، ويصلون إلى مراتب عليا فيها، فمنهم النواب، ومنهم الوزراء، وقد يصل بعضهم ليكون رئيساً للبلاد، كل ذلك بسبب أن الناس ونتيجة فقرهم وحاجتهم للمال يسعون إلى التواصل معهم، بل إنهم يتملقون لهم طمعاً في التقرب منهم والاستفادة من أموالهم، أو من نفوذهم فيتحولون إلى قدوة يطمع الكثير من الناس أن يكونوا مثلهم، في حين أن محاربة هذه الآفة تقتضي عزل هؤلاء الناس ومقاطعتهم وإبداء الامتعاض من تصرفاتهم. لذا لا بد من قيام الأفراد والمؤسسات بمقاطعة هؤلاء، وعدم إبداء الاحترام لهم، بل رفض مساعداتهم والأموال التي يقدمونها كتبرعات يستغلونها كساتر لتغطية أعمالهم المشبوهة. بل أكثر من ذلك إن توفر لنا معلومات عنهم لا بد مع أمن الضرر من الإبلاغ عنهم والتشهير بهم، وإيصالهم إلى القضاء العادل كي ينالوا نصيبهم وجزائهم العادل الذي تحكم به عليهم القوانين الوضعية والشرائع الإلهية.

ط ـ الاختيار الصحيح للرفاق:

تبين لنا من خلال تحديد أسباب تعاطي المخدرات أن من أهمها هم رفاق السوء، لذا يجب على الأهل التنبه لرفاق أولادهم والحرص على اختيار هؤلاء الرفاق، بأن يكونوا من أهل التقوى والعقل والرشاد ومن الناجحين في حياتهم العملية، وقد أوصى الإسلام فيما أوصاه بحسن اختيار الصديق فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«الإخوان ثلاثة: فواحد كالغذاء الذي يُحتاج إليه كل وقت فهو العاقل، والثاني في معنى الداء وهو الأحمق، والثالث في معنى الدواء وهو اللبيب»[1].

لذلك على الأهل، بل على الشخص نفسه أن يُحسن اختيار خليله وصديقه كي لا يقع في خطر صحبة ورفقة السوء. وعلى الشباب أن يحذروا من التقليد والمجاملة لرفقاء السوء، بل عليهم أن يبتعدوا عن مجالسهم السيئة فأول الطريق يبدأ من هناك.

ي ـ عدم السفر إلى بلاد ينقص فيها الدين:

من المعروف شرعاً أن التعرب بعد الهجرة إلى البلاد التي ينقص فيها الدين هو من الكبائر، ومعناه السفر إلى بلاد لا يأمن فيها الإنسان من الوقوع في الحرام، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«في وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام قال: ولا تعرب بعد الهجرة»[2].

وقد تبين لنا من الأبحاث التي أجريت على متعاطي المخدرات، أن السفر إلى تلك البلاد مع عدم التحصن منها بالإيمان القوي، هو من الأسباب الموقعة في تعاطي وإدمان المخدرات. لذا على الأهل إن وجدوا في أولادهم عدم الحصانة من الوقوع في الحرام عدم السماح لهم بالسفر إلى تلك البلاد، حتى لو كان ذلك من أجل الدراسة، وحصر دراستهم في بلادهم ولو كانت الدراسة في الخارج أفضل. فإن احتمال خسارة الابن كلياً يجعلنا نختار أن يدرس بمستوى أقل، فليس المهم نوع الشهادة التي يحمل ومصدرها بقدر ما المهم أن يكون ابننا عبداً صالحاً مؤمناً.

---

(١) تحف العقول الصفحة ٣٢٣.

(٢) وسائل الشيعة الجزء ١١ الصفحة ٧٥.

باختصار تعتبر مسألة التدخين من أهم مسببات الأمراض في مجتمعاتنا، ما يوجب التنبه لخطرها حفاظاً على الفرد وعلى المجتمع، وقد اختلف الفقهاء في حكمها بين الإباحة والكراهة والتحريم، وقد دافع كل عن رأيه استناداً إلى الكتاب والسنة، وكون أحد الاحتمالات هو الحرمة فإن الاحتياط يوجب الحذر والاجتناب عن هذه الآفة. وقد بينا في البحث أننا نتبنى الرأي القائل بالتفصيل، فكل من تأكد على نحو القطع واليقين أو بوجه عقلائي أن التدخين مضر على نحو العموم، أو به شخصياً فإن التدخين عليه حرام، أما لمن لم يصل إلى هذه المرحلة فإن الحكم هو الإباحة، وإن كان التحفظ بالاجتناب درءاً للخطر أولى.

وقد بينا أيضاً ما ثبت من أضرار ناتجة عن التدخين وهي الآن من قبيل الأمور البديهية التي لا مجال للتشكيك بها، أما خطرها على المجتمع ككل فهو أمر ثابت، فمن خطرها على البيئة، إلى خطرها على الاقتصاد من خلال تضخم الفاتورة الصحية التي تدفعها الدولة لعلاج الأمراض الناتجة عن التدخين، ما يوجب على الدول اتخاذ قرارات رادعة لمنع التدخين، وهذا ما تفعله أغلب الدول المتحضرة وسارت على طريقهم في ذلك بعض الدول النامية.

أما بالنسبة للمخدرات فالحرمة لا إشكال فيها، بل هناك إجماع عليها، ومدرك الحرمة واضح إذ إن المخدرات نوع من المسكرات، وبالتالي يلحقه حكم الخمر بالنسبة للحرمة إضافة لكونه من الخبائث، ولإيجابه الضرر على الفرد والعائلة والمجتمع، إضافة لكونه موجباً للإسراف والتبذير. والحرمة لا تقتصر على التعاطي، بل تعم الترويج والاتجار والصناعة والزراعة، وحكم المتعاطي التعذير وهو كتعذير شارب الخمر أي ثمانون جلدة، وإن لم تلحق بالخمر فيمكن للقاضي اتخاذ الحكم بالتعزير بالمقدار الذي يراه مناسباً باعتبار قيام المتعاطي بالإضرار بنفسه على نحو السفه.

أما حكم المروج فقد أجمع الفقهاء على اعتباره مفسداً في الأرض الذي حكمه شرعاً هو القتل. وقد بينا أسباب التعاطي فمن الفراغ الذي يعاني منه المتعاطي، إلى رفاق السوء الذين يزينون لرفيقهم هذه الآفة، أو السفر إلى البلاد التي ينقص فيها الدين، والمشاكل الأسرية. وبالتالي فإن مواجهة هذه الآفة تكون من خلال إزالة الأسباب المؤدية لتعاطيها، والتشجيع على تقوى الله سبحانه وتعالى وطاعته وقيام الدولة بواجباتها، بتبيان خطر المخدرات على صحة الفرد والمجتمع، وقيام مؤسسات المجتمع المدني بواجباتها في الإرشاد والتوجيه، وقيام علماء الدين بواجبهم في التوعية والإرشاد، وكذلك التنبه لخطر وسائل الإعلام وقيامها بالتوجيه والإرشاد للتنبيه لخطر المخدرات وضرورة تجنبها، وكذا قيام المؤسسات التعليمية بواجبها في توعية الطلاب خاصة في سن المراهقة، ولا بد من توفير مراكز علاج متخصصة للمدمنين ومقاطعة مروجي المخدرات وزارعيها، والاختيار الصحيح للرفاق، وكذا عدم السفر إلى البلاد التي ينقص فيها الدين.

٦

الانترنت

يعتبر الانترنت من أبرز سمات عصرنا هذا حتى سمي هذا العصر بحق عصر الانترنت. ومن الطبيعي مع هذه الثورة في عالم الاتصالات أن يُطرح هذا الموضوع على بساط البحث من الناحية الشرعية. وهناك أراء مختلفة بين الفقهاء حول هذا الموضوع سنبينها في طي هذا البحث.

التحادث عبر الانترنت أو كما يقال عنها في اللغة الانجليزية بالـ (chatting)، هو قيام شخص ما من وراء جهاز الكومبيوتر بالتحادث مع شخص آخر على جهاز آخر من مسافة بعيدة، ولا حدود لما يطرح في هذه المحادثة، التي يمكن أن تدخل في أمور حميمة، بل قد تدخل في مجال الأمور الجنسية الفاحشة.

ومما يُعقِد البحث في الموضوع ويزيد في خطورته، هو أن هذه الوسيلة هي سلاح ذو حدين، لأنها يمكن أن تستخدم في الخير، وتساهم في تطور الفكر البشري، وترتقي بالإنسان إيمانياً وثقافياً وأخلاقياً واجتماعياً، ولكنها يمكن في نفس الوقت أن تكون سبباً في هدم المجتمعات، وفسادها، وتهديم العائلات والأسر، وإثارة الغرائز والشهوات، وبث كل ما هو هدام ومضر في المجتمعات، خاصة تلك النامية أو التي على طريق النمو.

ومع تسليمنا بأن شبكة الإنترنت قدمت للمجتمعات الكثير من المنافع وعلى الصعد المختلفة، إلا إنها في نفس الوقت ساهمت في الكثير من الأخطار والمشاكل، التي هدمت ثقافة المجتمع وأمنه وعلاقاته الداخلية، وذلك من خلال ما تحمله هذه الشبكة من أفكار هدامة، وترويج للعنف والجريمة، وإشاعة للفاحشة بما تبثه من مشاهد جنسية فاضحة تُطلقها آلاف المواقع المتخصصة، ما أدى إلى تدمير الأخلاق في المجتمع وشيوع الفاحشة.

والأخطر من ذلك هو الشريحة التي تتوجه لها شبكة الانترنت، والمستوى العمري للفئات التي ترتادها، إذ يتبين من خلال الإحصاءات أن أغلبية الذين يرتادون هذه الشبكة هم فئة الشباب، وخاصة العزاب منهم، وهذه الفئة هي التي يكون بها فساد وصلاح المجتمع، وبالتالي فإن الخطورة تكون في التعامل معهم أكبر، فعلى عاتقهم تُلقى مهمة التغيير والإصلاح في المجتمعات.

ومن المخاطر التي تختزنها هذه الشبكة، هي أنها بعيدة عن وسائل الرقابة التي تتعرض لها وسائل الإعلام الأخرى كالتلفزيون والسينما، ما يجعلها تنحرف باضطراد دون رادع من دولة أو حاكم.

ونحن عندما نريد الحديث عن موضوع الانترنت والتحادث عبره، والتنبيه إلى خطر بعض أفراده، لا نريد التوهين بهذا النوع من التقنيات، بقدر ما نريد التنبيه من استعمالها بطريقة غير جيدة أو غير شرعية. وهنا أريد أن أوضح أنه لا يوجد لدينا قاعدة عامة نسوق بها جميع المواقع على حد سواء، فإن هناك الكثير من المواقع العربية نسائية أو مختلطة تتعاطى مع المواضيع التي تطرح من خلالها بروحية مسؤولة وإيمانية، وبالتالي فإن الدخول إلى هذه المواقع والمشاركة فيها أمر مرغوب، ولا مشكلة فيه. وإن ما نحذر منه هو تلك المواقع الإباحية وغير الأخلاقية والهزلية البعيدة عن الجد وروح المسؤولية.

تعريف شبكة الانترنت:

هناك عدة تعاريف لشبكة الانترنت، أو الشبكة العنكبوتية كما يسميها البعض، وهي بحسب موسوعة ويكيبيديا، الموسوعة الحرة:

«اسم إنترنت في الإنجليزية (Internet) يتكون من البادئة (inter) التي تعني (بين)، وكلمة (net) التي تعني (شبكة)، أي (الشبكة البينية). والاسم دلالة على بنية الأنترنت باعتبارها «شبكة ما بين الشبكات» أو شبكة من شبكات «(بالإنجليزية: a network of networks)، أو (بالإنجليزية: interconnected networks)، و مع هذا فقد شاعت خطأ في وسائل الإعلام العربية تسمية(الشبكة الدولية للمعلومات) ظناً منهم أن المقطع (inter) في الاسم هو اختصار كلمة (international) التي تعني دولي»[١].

أما عن كيفية عمل هذه الشبكة، فأيضاً وكما ورد في الموسوعة فإن ذلك يتم من خلال الطريقة التالية:

«وكما يدل اسمها فإن شبكة الإنترنت هي شبكة ما بين عدة شبكات تُدار كل منها بمعزل عن الأخرى بشكل غير مركزي، ولا تعتمد أيا منها في تشغيلها على الأخريات، كما قد تستخدم في كل منها داخلياً تقنيات حاسوبية وشبكية مختلفة، وما يجمع بينها هو أن هذه الشبكات تتصل فيما بينها عن طريق بوابات تربطها ببروتوكول مشترك قياسي هو بروتوكول إنترنت»[٢].

والإنترنت هي كما تبين من خلال التعاريف، هي شبكة من الحواسيب متصلة ببعضها حول العالم، من خلال مركز إدارة واحد يوزع هذه الخدمة ويسيطر عليها ويراقبها ويستطيع التدخل فيها ساعة يشاء،

---

(١) موسوعة ويكيبيديا، مادة (انترنت).

(٢) المصدر السابق.

وهذه تقدم العديد من الخدمات مثل الشبكة العنكبوتية العالمية (الويب)، و تقنيات التخاطب، و البريد الإلكتروني، وانسياب الفيديو والصوت والمحادثة والدردشة وبرتوكولات نقل الملفات (FTP).

الانترنت بحد ذاته لا يحوي معلومات، وإنما هو وسيلة لنقل المعلومات المخزنة في الملفات، أو الوثائق في جهاز الحاسوب الآلي إلى جهاز حاسوب آلي آخر. ولذلك من الأخطاء الشائعة القول بان المعلومة وجدت في الانترنت، والصحيح القول بان المعلومة وجدت عن طريق استخدام شبكة الانترنت.

والإنترنت اليوم لم تعد مجرد تقنية تستخدم لحاجات خاصة أو عامة، بل أصبحت ظاهرة لها تأثيرها الاجتماعي والثقافي في جميع بقاع العالم، وقد أدت إلى تغيير المفاهيم التقليدية لعدة مجالات، مثل العمل والتعليم والتجارة وبروز شكل آخر لمجتمع المعلومات.

تاريخ الانترنت وكيف نشات وتطورت:

عن تاريخ الانترنت تحدثنا موسوعة ويكيبيديا فتقول:

«كانت الإنترنت نتيجة لمشروع (Arpanet) الذي أطلق عام ١٩٦٩، وهو مشروع من وزارة دفاع الولايات المتحدة الأمريكية. أنشئ هذا المشروع من أجل ربط الجامعات ومؤسسات الأبحاث، لاستغلال أمثل للقدرات الحسابية للكومبيوترات المتوفرة. في الأول من يناير ١٩٨٣ استبدلت وزارة دفاع الولايات المتحدة البروتوكول (NCP) المعمول به في الشبكة واستعاضت عنه ببروتوكول (TCP/IP). من الأمور التي أسهمت في نمو الشبكة هو ربط (المؤسسة الوطنية للعلوم) جامعات الولايات المتحدة الأمريكية بعضها ببعض، مما سهّل عملية الاتصال بين طلبة الجامعات وتبادل الرسائل الإلكترونية و المعلومات، بدخول الجامعات إلى الشبكة،

أخذت الشبكة في التوسع والتّقدم وأخذ طلبة الجامعات يسهمون بمعلوماتهم ورأى النور المتصفح (موزاييك)، والباحث (جوفر) و(آرشي)، بل إن الشركة العملاقة (نتسكيب) هي في الأصل من جهود طلبة الجامعة، قبل أن يتبنّاها العقل التجاري ويوصلها إلى ما آلت إليه فيما بعد.

لم يجري استخدام الانترنت بشكل واسع حتى أوائل التسعينات من القرن العشرين، وبالرغم من توفر التطبيقات الأساسية والمبادئ التوجيهية التي تجعل من استخدام الانترنت ممكن و موجود منذ ما يقرب من عقد. وفي ٦ آب/ أغسطس/ ١٩٩١، وفي المختبر الأوروبي للفيزياء والجزيئات (CERN)، والذي يقع على الحدود بين فرنسا وسويسرا، نشر مشروع ألشبكه العالمية (الويب) والتي تم اختراعها من قبل العالم الإنجليزي تيم بيرنرز لي في عام ١٩٨٩. وبحلول عام ١٩٩٦ صار استخدام كلمة الانترنت قد أصبح شائعا، وبالتالي، كان ذلك سببا للخلط في استعمال كلمة إنترنت على أنها إشارة إلى ألشبكه العالمية (الويب)»[١].

تعاريف خدمات الانترنت:

كما قلنا هناك العديد من الخدمات التي تقدمها شبكة الانترنت، ولا يمكن بحثها في هذا البحث بشكل تفصيلي كي لا تضيع الغاية منه ولكن وللاستفادة سأقدم توضيحات تعريفية حول أهمها وهي على الشكل التالي:

١ ـ البريد الإلكتروني:

البريد الإلكتروني ومعناها بالإنجليزية: (Electronic Mail وتختصر إلى E-Mail) هو مصطلح يطلق على إرسال رسائل نصية إلكترونية بين مجموعات، وعن طريق الشبكة من خلال الحواسيب في طريقة تشبه إرسال الرسائل العادية قبل ظهور الإنترنت.

---

(١) المصدر السابق.

٢ ـ الشبكة العالمية:

الشبكة العالمية وكما ورد في تعريفها من خلال موسوعة ويكيبيديا هي:

«الكثير من الناس يستعملون مصطلحيّ الإنترنت والشبكة العالمية (أو ويب فقط) على أنهما متشابهان أو الشيء ذاته. لكن في الحقيقة المصطلحين غير مترادفين. الإنترنت هو مجموعة من شبكات الحواسيب المتصلة معاً عن طريق أسلاك نحاسية، وكابلات ألياف بصرية، وتوصيلات لاسلكية Wireless، وما إلى ذلك.

على العكس من ذلك، الويب هو مجموعة من الوثائق والمصادر المتصلة معاً، مرتبطة مع بعضها البعض عن طريق روابط فائقة (Hyperlinks) وعناوين إنترنت .(URLs) بشكل آخر، الشبكة العالمية واحدة من الخدمات التي يمكن الوصول إليها من خلال الإنترنت، مثلها مثل البريد الإلكتروني ومشاركة الملفات (File Sharing) وغيرهما.

البرامج التي يمكنها الدخول إلى مصادر الويب تسمي عميل المستخدم (.User Agent) في الحالة العادية، متصفحات الويب مثل إنترنت إكسبلورر (Internet Explorer) أو فاير فوكس (Fire fox) تقوم الدخول إلى صفحات الويب، وتمكن المستخدم من التجول من صفحة إلى أخرى عن طريق الروابط الفائقة. صفحة الويب يمكن تقريباً أن تحتوي مزيج من بيانات الحاسوب بما فيها الصور الفوتوغرافية، الرسوميات (Graphics)، الصوتيات، النصوص، الفيديو، الوسائط المتعددة ومحتويات تفاعلية (Interactive Contents) بما في ذلك الألعاب وغيرها»[١].

---

(١) المصدر السابق.

٣ ـ الدردشة مع الآخرين:

الدردشة مع الآخرين كما ورد في تعريفها في موسوعة ويكيبيديا هي:

«الدردشة عبر الانترنت وسواء كان في شكل (IRC) أو القنوات (Channels)، أو عن طريق المراسلة الفورية يسمح للزملاء البقاء على اتصال دائم عن طريق وسيلة مريحة للغاية تعمل في حواسيبهم طول الوقت. ويجري تبادل للملفات سواء كانت تحتوي على الصوت والصور أو أي نوع أخر من الملفات وتدعم العمل المشترك بين أعضاء الفريق»[١].

استخدام الإنترنت في العالم:

إن نظرة متفحصة للأرقام التي تنشرها مراكز الإحصاءات حول عدد المستخدمين لهذه الشبكة، يؤكد لنا بما لا مجال فيه للشك أهمية هذه الوسيلة، وخطورة تركها من دون رعاية سواء من الدول، أو الأهل، أو باختصار أولياء الأمر فقد أوردت موسوعة ويكيبيديا الإحصاء التالي:

«بلغ عدد مستخدمي الإنترنت في العالم ٣١٩.١ بليون شخص في ديسمبر ٢٠٠٧، وتعد الصين أولى دول العالم في عدد مستخدمي الإنترنت الذين بلغ عددهم فيها ٢٢١ مليون شخص في شهر فبراير ٢٠٠٨»[٢].

إن هذه الأرقام تجعل من وسيلة الانترنت أكبر وسيلة في العصر الحديث، وأكثرها رواجاً، وبالتالي فإن علينا الاهتمام بها والتعاطي الجدي معها، للاستفادة من إيجابياتها والتقليل قدر الإمكان من سلبياتها، خاصة إذا ما عرفنا أن استعمالها في العالم العربي

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

والإسلامي، هو بنسبة متقاربة مع الاستعمال العالمي. فقد أوردت على سبيل المثال أن ٣٧٪ من الشعب في الإمارات يتعاملون مع هذه الشبكة، ومن هنا كانت ضرورة هذا البحث لدراسة كيفية التعامل مع هذه الشبكة.

أخطار استخدام شبكة الإنترنت:

مع عدم إهمالنا وإنكارنا لأهمية شبكة الانترنت خاصة في موضوع التبادل المعرفي، إلا إن هناك أخطاراً كبيرة على المستعملين لهذه الشبكة ناشئة من عدم كون كل ما هو موجود على هذه الشبكة هو أمور فكرية وعقائدية سليمة، وليس كل ما هو عليها من الأمور التي يمكن القبول بها أخلاقياً. وقبل الحديث عن الحكم الشرعي في التعاطي مع هذه الشبكة خاصة في موضوع التحادث عبرها، لا بد من الإشارة إلى بعض هذه الأمور ولو بشيء من الاختصار وهي على الشكل التالي:

أولاً: العنف والجريمة:

تقدم شبكة الإنترنت في ضمن ما تقدمه مجموعة من الأفلام والصور والمواضيع ذات الطابع الإباحي، أو تلك التي تشجع على الجريمة والعنف، وهي بذلك تساهم في تحفيز الشباب على ممارسة الرذيلة والعنف والدخول في الجريمة، من الاغتصاب، إلى السرقة الفردية، أو عصابات السلب، أو حتى القتل والجريمة المنظمة، مما يكون له أكبر الأثر في تكوين البعد الثقافي لشباب اليوم على أسس غير سليمة بعيدة عن الدين والأخلاق والفضيلة. وقد سمعنا الكثير من عمليات النصب التي كانت تتم عبر الانترنت، عندما يرسل أحدهم طلباً لآخرين من أنه يمتلك ثروة كبيرة لا يستطيع أن يحصل عليها إلا من خلال مبلغ بسيط بالنسبة إليها لا يمتلكه الآن، ويعرض عليك أن تدفع هذا المبلغ في مقابل أن يعطيك حصة من ثروته، فإذا كان المرسل إليه ساذجاً وأعماه الحصول على مبلغ كبير من المال من دون تعب، فإنه

يقوم بإرسال المال إليه ليكون ضحية لشجعه ومكر الآخرين ومن هذا القبيل تجد الكثير من البدع المتعلقة بعمليات النصب والاحتيال.

ثانياً: التبعية الثقافية:

من المعروف أن ألغالبية العظمى لأصحاب المواقع الالكترونية، وللذين يفتحون مواقع التفاعل مع المتعاطين مع هذه الشبكة هم من أصحاب الثقافة الغربية التي إما أنها تعادي ثقافتنا، أو أنهم على خلاف معها يصل إلى حد التباين المطلق في كل شيء. لذلك فإن التعامل مع الانترنت يؤدي إلى ما يمكن تسميته بالاكتساح الثقافي، الهادف إلى إحلال التبعية لثقافة الغرب محل الأصالة النابعة من عقيدة الأمة ومرجعيتها الثقافية.

إننا يمكن لنا أن نقول أن ما تنقله شبكة الإنترنت من أفكار ومعلومات مخالفة لأفكارنا يشكل حرباً حقيقية، تُستخدم فيها القنابل الإلكترونية بديلا عَن القنابل العادية، إنها تدمير للثقافة، وسعي لمنع التواصل بين أبناء أمتنا وأفكارهم وحرفهم عن قضاياهم المصيرية، ولهذا كانت هذه الحروب حروب أدمغة لا أسلحة.

إن الشباب في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، هم أكثر فئات المجتمع عرضة للتأثر بما تحمله شبكة الإنترنت من ثقافات معارضة لثقافتهم، بحكم تعاملهم المتواصل مع هذه الشبكة، مما يجعل فئة الشباب مجالاً خصباً لخطر الإصابة بالتبعية الثقافية.

ثالثاً: جعل الانترنت مصدراً وحيداً للمعرفة:

لقد أدت سهولة الحصول على المعلومات من شبكة الإنترنت، وتنوع هذه المعلومات إلى انبهار الباحثين بهذه الشبكة السحرية فجعلوها المصدر الرئيس للبحث والقراءة والاطلاع والتسلية وأهملوا المصادر الأخرى. وهذا ما أدى إلى إهمال الشباب وجيل الباحثين لمصادر

المعلومات الأخرى ما قلّص من تعاملهم مع الكتاب، والأبحاث الواقعية المباشرة، وارتيادهم للمكتبات العامة، والجلوس إلى أهل العلم والفكر، واللجوء إليهم فيما يعرض لهم من مشاكل، أو يواجهونه من إشكالات، والاستماع إلى المحاضرات، والاطلاع على آخر الأبحاث التي يمكن أن تكون غير معروضة على شبكة الانترنت.

إننا نعتقد أن التعاطي مع الكتاب، وحضور المحاضرات، والاستماع إلى الأبحاث، وحركة الثقافة والفكر في المجتمع، لا يزال أمرًا أساسيًا لا يمكن الاستغناء عنه. كما إنه لا يوجد ضابطة يمكن من خلالها الحكم على صوابية الفكر الذي ينقل إلينا من خلال الانترنت ما يؤكد على خطورة هذه المسألة.

رابعًا: إدمان ارتياد المواقع الإباحية:

يقضي الشباب ساعات طويلة أمام شاشات الحاسوب يشاهدون الأفلام والصور الإباحية، ويصل الأمر ببعضهم إلى البقاء لأكثر من أحد عشر ساعة أمام الشاشة من دون الانتباه إلى مرور الوقت، ويكاد لا يغادرها إلا إذا لم يعد قادراً جسدياً على المتابعة، فيذهب إلى النوم أو إلى المدرسة لينام على مقاعد الدراسة، ثم ما يلبث يعود إلى البيت أو إلى مقهى الانترنت ليقضي ساعات طوال أخرى أمام الحاسوب، حتى يصبح فعلاً مدمناً على الاتصال بشبكة الانترنت والتحادث مع نساء مومسات، أو يشاهد أفلاماً وصوراً إباحية، فيصبحون كمدمني المخدرات والمسكرات، لا يتمالكون أنفسهم أمام هذا البلاء، وهم على استعداد لإفناء أموالهم بل وأجسادهم من أجل إشباع غرائزهم.

إن أخطر ما يقع فيه الشباب من خلال هذا الإدمان هو استنزاف طاقاتهم الفاعلة، وتبديد أوقاتهم، وتقييد مهاراتهم المبدعة، وتدمير أخلاقهم، وانشغالهم بأنفسهم. وذلك يفقد مجتمعاتهم حصيلة عقول

شبابها، وفاعلية جوارحها، وإشراقات إبداعها، ليس هذا فحسب بل ربما ينقلب الشباب على مجتمعاتهم ويشيعون فيها الفاحشة والجريمة.

لقد أجرى باحثون بجامعة (كارنيجي) في الولايات المتحدة الأمريكية بحثاً حول نسب المتصفحين لشبكة الانترنت، فوجدوا إن الصفحات الإباحية هي أكثر الصفحات ارتياداً وتصفحاً من قبل الشباب، خاصة أن كثيراً من تلك المواقع تؤمن خدمة التصفح بالمجان. وفي دراسة أخرى تبين أن هناك علاقة وثيقة جداً بين درجة إدمان الشباب على المواقع الإباحية المنقولة عبر شبكة الإنترنت، ونسبة العنف والجريمة التي تزداد في أوساط أولئك الشباب. ففي دراسة للدكتور (وليام مارشال) قال ما نصه:

«اعترف (٨٦ ٪) من المغتصبين بأنهم يكثرون من استخدام المواد الإباحية. واعترف (٥٧ ٪) منهم أنه كان يقلد مشهدًا رآه في تلك المصادر حين تنفيذه لجريمته».

إن العلاقة وثيقة أيضًا بين إدمان المشاهد الإباحية وظهور الأمراض الفتاكة في هذا العصر، ولقد صرح كثير من الباحثين بأن أكثر من (٨٠ ٪) من حالات (الإيدز) مصدرها الإباحية الخلقية.

وصدق رسول الله ﷺ عندما قال فيما رواه عنه الإمام الباقر عليه السلام:

«قال رسول الله ﷺ: خمس إن أدركتموهن فتعوذوا بالله منهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان، ولم يمنعوا الزكاة إلا منعوا قطر السماء، ولولا البهائم لم يمطروا ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوهم وأخذوا بعض ما في أيديهم ولم

يحكموا بغير ما أنزل الله ﷻ إلا جعل الله بأسهم بينهم»[1].

نعم إن إشاعة الفاحشة بين الناس سيؤدي إلى نشر الرذيلة التي تكون سبباً في نشر الأمراض الخطيرة المعبر عنها في لسان الأحاديث بالطاعون.

خامساً: الأخطار الصحية:

إن استخدام الحاسوب لمدة زمنية طويلة وأكثر من المعتاد تؤدي إلى إصابة المستخدم بأضرار جسمية ونفسية خطيرة، لما ينبعث من هذا الجهاز من إشعاعات ضارة بالبدن ومهيجة للاضطرابات النفسية. وهذه بعض الأخطار الصحية المترتبة على استخدام الحاسوب:

١ ـ اضطرابات العين الناتجة عن انعكاس الوهج المنبعث من شاشة الحاسوب، مما يؤدي إلى إثارة العين وإصابتها بأمراض منها التهاب قرنية العين وأجفانها، وضعف الإبصار.

٢ ـ اضطرابات جلدية تتمثل في تهيج الجلد الذي يظهر على شكل تقشر وحكة نتيجة جذب الجلد جسيمات الغبار بفعل تراكم الكهرباء السكونية المنبعثة من الشاشة.

٣ ـ أخطار صحية على النساء الحوامل، حيث لوحظ ارتفاع نسبة الإجهاض وموت الأجنة لدى عاملات الحواسيب الحوامل.

٤ ـ إن بعض الدراسات الحديثة أفادت بأن (الإنترنت) كانت سببًا في إصابة، البعض بالاضطرابات النفسية، إضافة إلى الاكتئاب الجنوني، وفقد الشهية، والوسواس القهري، والاكتئاب، والتوتر وغيرها.

---

(١) الكافي الجزء ٢ الصفحة ٣٧٣.

سادسًا: الاغتراب والعزلة:

يعتبر موضوع الاغتراب والعزلة الذي يعاني منه الشباب الذين يتعاملون مع شبكة الإنترنت بشراهة أمراً خطيراً لا يجوز تجاهله، ذلك أن الساعات الطوال التي يقضيها الشاب متسمرًا أمام الحاسوب الآلي أو الإنترنت، من شأنها أن تمتصه كليًا وتسحبه من واقعه إلى واقع آخر أكثر انفتاحًا واتصالا بالعالم الخارجي، الذي يبدو بديلاً عن عالم الشاب وأهله ومنبته وقيمه وثقافته. إن الخوف كل الخوف أن ينشأ عندنا جيلٌ يعاني من الانفصام في شخصيته، لا يمت إلى واقعه بصلة، ويبقى معزولاً عنه بعيداً من هموم وطنه، بل يبقى يسبح في سماءات أخرى غير سمائه، فتصبح في تركيب شخصيته أمور لا تمت إليه ولا إلى مجتمعه وقيمه.

إن إدمان الشباب على شبكة الإنترنت يؤدي إلى عزلته عن واقعه الذي يعيشه وغربته عنه، بل إن الشباب ينسجون عالمهم الإلكتروني، الموهوم داخل شبكة الإنترنت التي تعج بالكذب والتصّنع والتمثيل، خاصة في جانب المحادثة والدردشة ومراسلات البريد الإلكتروني التي يستطيع من خلالها الشاب أن يمثل دور الفتاة والعكس صحيح أيضًا، والكبير يمكنه أن يمثل دور المراهق والعكس صحيح أيضاً. وذلك كله يجعل للشباب عالماً خاصاً غير عالمهم الواقعي، وواقعاً اجتماعياً مختلفاً عن واقعهم الاجتماعي، مما يجعلهم في عزلة عن واقعهم وأكثر تعرضاً للتقليد الأعمى.

وعلى الصعيد الثقافي تُعد شبكة الإنترنت من أهم وسائل الاتصال والإعلام التي تساهم في سحق ثقافة المسلم وعقيدته، وإيجاد حالة اغتراب بين الإنسان الفرد وتاريخه الوطني وموروثاته الثقافية والحضارية التي أنتجتها حضارة الآباء والأجداد.

بل إن الغربة تصل إلى حد وقوع المشاكل بين أفراد الأسرة الواحدة، حيث يحس الزوج الذي تتعاطى زوجته الانترنت بغربة عن زوجته التي تعيش في عالمها الخاص والعكس صحيح، وكذا بين الأولاد وأهلهم وهذا له أثر كبير في تفكيك الأسرة وضربها.

سابعاً: التشكيك العقائدي والتردي السلوكي:

إن شبكة الإنترنت تنطوي على مواقع متعددة وموضوعات كثيرة تشكك الشباب في عقيدتهم، كما أن هناك مواقع حوارية متخصصة في إثارة الشبهات حول الإيمان والمعتقد، وهذا الأمر له عواقب ذات أثر سيء في نفوس كثير من الشباب المسلم، خاصة في ظل ضعف الإعداد الإيماني للشباب، وغياب البرامج التي تحميهم من التأثر بتلك المواقع التي تشكك في المعتقد وتثير حوله الشبهات. بل أكثر من ذلك فهناك الكثير من المواقع التي تثير الفتن المذهبية التي تعتبر من أخطر ما يواجهه مجتمعنا في هذه الأيام.

إن العقيدة تمثل الحصن الواقي للشباب من التردي الفكري والأخلاقي والسلوكي، وهي بذلك تعد هدفًا للتشكيك من قبل جهات كثيرة في زمن العولمة التي تستهدف إزالة جميع الحواجز، خاصة لأعداء الأمة والدين الذين يسعون لهدم كل التحصينات العقدية والقيمية والثقافية حتى يتسّنى لها اجتياح العقول والنفوس.

حكم التحادث عبر الانترنت:

التحادث قد يكون بين رجل ورجل، أو بين امرأة وامرأة، وقد يكون بين رجل وامرأة، ففي الحالتين الأولين، لا إشكال في هذه المحادثة من حيث المبدأ ولكن الإشكال يكون في طبيعة الحديث، فإن كان في أمور محرمة فهو حرام وإن كان في أمور جائزة فهو كذلك.

أما التحادث بين الرجل والمرأة، فإن الأمر يتخذ عنواناً أخر مرتبطاً بالتحادث الخاص المباشر بين الرجل والمرأة، وطبيعة هذا الحديث ما يوجب خوف الوقوع في الحرام على قاعدة ما توصل إليه الفقهاء من ضرورة الالتزام بما اصطلحوا على تسميته بـ:(قاعدة سد الذرائع) وما أمرنا به الله سبحانه وتعالى بقوله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

لذا لا يجوز التحادث بين الرجل والمرأة إلا في حدود الشرع، وفي إطار الحاجة. كطلب فتوى، أو التحدث حول أمور فكرية، أو عقائدية، أو بيع و شراء، كل ذلك من خلال كلمات موجزة، ليس فيها ليونة ولا خضوع، وخالية من كل مقصد غير سليم، سواء كان في اللفظ أو النية، أما إذا كان الحديث في غير ذلك شكلاً ومضموناً فإنه لا يجوز شرعاً، وانطلاقاً مما تقدم فإن هناك عدة احتمالات:

١ ـ التحادث بأسماء وهمية:

العبرة في حرمة التحادث أو جوازها ليس مرتبطاً بمعرفة الطرف الآخر الذي نتحادث معه، فهذا أمر ثانوي بالنسبة إلى الحرمة وعدمها، بل إن العبرة من الناحية الشرعية يكون في نفس الحديث، فإذا كان الحديث محرماً كان كذلك سواء عرفت الطرف الآخر أم لم تعرفه.

٢ ـ أن يكون مضمون الحديث أمور دينية أو فكرية وعقائدية:

الحديث في أمور دينية أو فكرية وعقائدية فهذا لا إشكال فيه، وهو جائز شرعاً شرط عدم التجاوز عنها إلى ما لا يجوز، بل إننا نحث على

(١) سورة النور، الآية: ٢١.

هكذا نوع من التحادث للفائدة التي يحققها على صعيد فهم الإسلام، والدفاع عنه في مواجهة الهجمة التي يتعرض لها في هذه الأيام.

٣ ـ أن يكون مضمونه عادياً:

الحديث بين الرجل والمرأة على الانترنت إن كان عادياً، بمعنى أنه لا يتضمن غزلاً فاحشاً، أو غزلاً عادياً، ولم يكن في نفس الوقت بأمور شرعية، أو فكرية، أو عقائدية وبالاختصار لم يكن في مواضيع جادة فإن الفقهاء اختلفوا في ذلك، فمنهم من ذهب للإباحة شرط عدم التعدي عن ذلك إلى ما لا يجوز من العناوين غير الشرعية الأخرى، ومنهم من ذهب إلى الحرمة لصدق الخلوة غير الشرعية على هذا النوع من الحديث ولما يوقعه من فتنة، فإن الحديث وإن ابتدأ بأمور عادية إلا إن الشيطان لا يزال يغريهما ليوقع أحدهما، أو كليهما بالمحذور الشرعي وبالتالي لا يجوز تعريض النفس للوقوع في الحرام.

ونحن وإن كنا لا نرى وجود الحرمة في نفس التحادث، من دون الوقوع بالمحاذير الشرعية التي تنطوي تحت العناوين الأخرى، إلا إننا نرى أن هذا الأمر لا فائدة منه، وننصح بالابتعاد عنه لما فيه من إضاعة الوقت فيما لا يفيد. ومن الممكن صرف هذا الوقت والجهد والمال بما يفيد النفس والعائلة والمجتمع، إضافة إلى أن إمكانية الوقوع في الفتنة أمر لا نستطيع نفيه بالمطلق، خاصة أنه وبالتجربة العملية تبين لنا الكثير من الحالات التي وقع فيها بعض الناس بالمحذور الشرعي من خلال موضوع التحادث عبر الانترنت، مع أن الحديث في بدايته كان مقتصراً على أمور عادية لا حرمة فيها من حيث الأصل، غير إن الشيطان استطاع إيقاع الفتنة وحصلت محاذير كانوا بغنى عنها.

٤ ـ أن يكون مضمونه غزلياً من دون فحش:

إذا كان مضمون التحادث يشتمل على الغزل فهو حرام، ويجب الاجتناب عنه، ذلك أنه حتى لو كان الغزل عادياً لا يحتوي على

عبارات إباحية، فإنه مع ذلك يكون سبباً لدخول الشيطان، ما يؤدي إلى تطور الحديث إلى ما هو حميمي بشكل أكبر، إلى أن يصل ليكون إباحياً ثم بعد ذلك يصل إلى ما لا تحمد عقباه، ومن المعروف أن من حام حول الحمى أوشك أن يقع فيها.

هذا إضافة إلى كونه نوعاً من أنواع الخلوة المحرمة من الناحية الشرعية فقد ورد عن رسول الله ﷺ قوله:

«لا يخلون رجل بامرأة فإن ثالثهما الشيطان»[1].

فإن الشيطان يتحين هكذا فرص حيث يكون للغريزة أن تطلق عنانها فيوقع الطرفين في الحرام. إضافة إلى أن الله سبحانه وتعالى نهى في تحادثنا مع الأجنبيات، أن نتحدث معهن بطريقة فيها نوع من الإغراء المعبر عنه بالخضوع بالقول. فقال سبحانه وتعالى:

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾[2].

ومن المعروف أن هذا ليس حكماً خاصاً بنساء النبي، فإن الخضوع بالقول حرام على كل النساء وجاء في تفسير الخضوع بالقول كما في تفسير الميزان:

«وهو ترقيق الكلام وتليينه مع الرجال بحيث يدعو إلى الريبة وتثير الشهوة، فيطمع الذي في قلبه مرض، وهو فقدانه قوة الإيمان التي تردعه عن الميل إلى الفحشاء، وقوله: وقلن قولاً معروفاً أي كلاماً معمولاً مستقيماً يعرفه الشرع والعرف الإسلامي وهو القول الذي لا يشير بلحنه إلى أزيد من مدلوله معرى عن الإيماء إلى فساد وريبة»[3].

---

(١) مستدرك الوسائل الجزء ١٤ الصفحة ٢٦٦.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٢.

(٣) تفسير الميزان الجزء ١٦ الصفحة ٣٠٩.

ومن المعروف أن الكلام الغزلي هو كلام فيه من الترقيق والخضوع ما يوجب التحرز عنه لوقوعه تحت عنوان النهي في الآية الكريمة.

٥ ـ أن يكون مضمونه غزلياً إباحياً:

مما سبق يظهر لنا حكم هذه الحالة، فإذا كان الحديث العادي من دون عبارات إباحية محرم شرعاً، فإن الحديث الذي يحتوي على عبارات فاحشة هو حرام بشكل أوضح، لأنه إضافة لكونه خلوة محرمة وتحادث مع امرأة فيما لا يجوز، فإن نفس الحديث الفاحش حرام حتى لو كان بين الرجل والرجل لقوله سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[١].

فيظهر بشكل واضح أن الإسلام حض على تنقية المجتمع من الفاحشة، ونهى عن إشاعتها والكلام الفاحش المستعمل في التخاطب عبر الانترنت هو نوع من أنواع إشاعة الفاحشة.

حكم من يعتقد قدرته على عدم الوقوع بالحرام:

ظهر مما تقدم أن ملاك الحرمة هو إما كون مضمون المحادثة غير جائز في نفسه، أو خوف الوقوع في الفتنة وحبائل الشيطان. وظهر أن من يخاف من عدم قدرته على مواجهة شيطان نفسه أنه لا يجوز له التحادث عبر الانترنت، أما من التزم بعدم الدخول في أحاديث محرمة في ذاتها، وكان قادراً على مواجهة الشيطان في نفسه، ولا يخشى الوقوع في الحرام، فما هو حكمه والحالة هذه؟

إن هذا النوع من الأشخاص لا مانع من قيامهم بالتحادث عبر

---

(١) سورة النور، الآية: ١٩.

الانترنت، مع الحذر الشديد من الانحراف عن التوجه الأساسي، والالتفات إلى أن الشيطان ماكر ويستطيع خداعه، وننصحه بالاطلاع على النصائح التي نعطيها لمن يمارس هذا النوع من المحادثة.

التعارف من أجل الزواج:

قبل الخوض في حكم هذه الحالة من الناحية الشرعية، لا بد من إيضاح نقطة وهي، أن هكذا نوع من التعارف لا يوفر حياة سعيدة ومعرفة وثيقة يمكن الركون إليها لبناء أسرة سعيدة على وفق المنهج الإسلامي. الأمر الثاني إن التجربة العملية أثبتت أن كثيراً من الحالات التي ابتنت على هذا النوع من التعارف كانت نتيجتها الطلاق أو عدم الزواج أصلاً. وأيضاً فإن المعلومات التي تتوافر أيضا من خلال هذه الطريقة كثيراً ما تكون غير صحيحة ومبالغ فيها، لذلك فإننا ننصح بعدم اللجوء إليها كوسيلة للحصول على الزواج.

أما من جهة الحكم الشرعي لأصل التحادث عبر الانترنت للتعارف من أجل الزواج، فإنه لما تحتويه هذه المحادثة من كلام حميم فيه الكثير من اللين والخضوع في القول فإن الأمر يكون محرماً، إلا إذا تم الإلتزام بالضوابط الشرعية فساعتئذٍ يكون جائزاً، وإن كنا ننصح بالابتعاد عنه فهو الأسلم للدين وأفضل في ترتيب علاقة زوجية سليمة.

حكم فتح مراكز التحادث:

إذا استطاع من يريد فتح هكذا مركز أن يضبطه ولا يسمح باستخدامه في الأمور التي قلنا بحرمتها، بأن حصر استعماله في الأمور الجائزة الثقافية، والفكرية العامة، أو الدينية، أو الترفيهية، فهنا لا إشكال في جواز القيام بهكذا عمل، أما إذا لم يستطع ذلك، ولم يستطع مراقبة استعمالها، فلا يجوز له ذلك. ولا يستطيع أن يقول هنا إنني أوفر

الوسيلة التقنية فقط ولا دخل لي بما يقوم به هذا الشخص، إذ إنه مع علمه بأن هناك من سيستعمله في الفساد لا يجوز له القيام بذلك لأنه يكون بذلك معاوناً له على الإثم والحرام لقوله سبحانه وتعالى:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1].

وبالتالي فإن حكم فتح مراكز التحادث عبر الانترنت مرتبط بتوافر شروط المراقبة والضبط في إطار الحكم الشرعي.

الانترنت والشباب:

لا يستطيع أحد أن ينكر أهمية الشباب في نهضة المجتمعات البشرية، إذ إنهم يعتبرون من أهم الثروات التي تمتلكها هذه المجتمعات، واستثمارها بشكل جيد، وتنميتها بأسلوب علمي حضاري يؤدي إلى تطور هذه المجتمعات، ولحوقها بركب التطور العلمي والتقني والحضاري.

إن المجتمعات الفاعلة والمتقدمة هي تلك المجتمعات التي استطاعت الاستفادة من الشباب، وما يمتلكونه من قوة وطموح وإرادة فاعلة. وأعداء أية أمة إذا ما أرادوا تحطيمها فإنهم يتوجهون إلى هذه الشريحة المهمة، ويعملوا على إفسادها مقدمة لضرب المجتمع الذي ينتمون إليها.

إن نظرة متفحصة لمجتمعاتنا التي تفيض فيها الصحف والمجلات والكتب والحوليات بمناقشة قضايا الشباب، ومشكلاته على الصعيدين المحلي والعالمي تؤدي بنا إلى استنتاج أن هذا العصر يعتبر من أكثر العصور توجهاً نحو الشباب.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢.

إن أهم مشكلات الشباب في عالمنا العربي يتلخص بالتالي:

١ ـ عانى شبابنا منذ بداية القرن العشرين من مشكلة هوية، فهم يعيشون حالة بعد بين ما يؤمنون به وبين عقيدة الأمة وثقافتها.

٢ ـ التناقض بين ما يؤمن به هؤلاء الشباب من قيم، وما يحتويه مجتمعهم من موبقات ومشكلات أخلاقية واجتماعية.

٣ ـ مع كل التطور العلمي الذي استفادت منه مجتمعاتنا بشكل ملحوظ، إلا إن التخلف العلمي وضعف التعليم والثقافة ما زالا مشكلة أساسية تعاني منها مجتمعاتنا.

٤ ـ ما زالت مشكلة الجنس بين التفلت والوعي الموضوعي هي من أهم مشكلات مجتمعاتنا، وبالتالي يجب الحذر عليهم من ما تذخر به وسائل الإعلام والاتصال من إباحية جنسية.

٥ ـ من أخطر ما يعاني به الشباب في عصرنا الحاضر هو موضوع الفراغ الفكري والروحي.

إن ما يعاني منه شباب الأمة من فراغ روحي وفكري، وما يتميزون به من طاقة، وما يعانونه من أزمات، كل ذلك يؤدي إلى سوء استخدامهم لوسائل الاتصال والإعلام الحديثة وعلى رأسها (شبكة الإنترنت). ولا نستطيع تجاهل أن كثيرًا من شباب الأمة يحسنون استخدام (الإنترنت) فيما يفيدهم علميًا ومعرفيًا ويرتقي بمهاراتهم اللغوية والاتصالية، لكن لا ينبغي أن نغفل عن شريحة واسعة من الشباب يسيئون استخدام هذه الشبكة (الإنترنت) ويبحثون في صفحاتها عما يثير شهواتهم من المواقع الإباحية، ويقتل أوقاتهم، ويبدد طاقاتهم من مواقع العنف والجريمة المنظمة والجنس. إن استخدام الشباب لشبكة الإنترنت له أخطار كثيرة ينبغي أن تُشخص تمهيدًا لتلافيها، بما يُخلص الشباب من آثارها المدمرة ويجعلهم سواعد مشيدة لأوطانها لا معاول هدم لمواطن القوة فيها.

الإنترنت والعولمة:

إن شبكة الإنترنت هي واحدة من الوسائل الحديثة التي تخترق الحدود بين الدول، والفواصل بين المجتمعات، ما يجعل العالم قرية صغيرة يستطيع الإنسان فيها الانتقال من بلد إلى بلد، ومن ثقافة إلى أخرى، بما تحمله هذه الثقافات والحضارات من لغات وثقافات، ما يشكل اختراقًا للثقافة الوطنية واللغة المحلية، وبالتالي فإن هناك خطراً كبيراً على مرتاد نوادي الانترنت والمواقع من التأثر بهذه الثقافات، خاصة إذا ما كانت تتعارض مع قيمنا وأخلاقنا وديننا، لذا يجب الحذر من التعامل مع هذه الوسيلة، لأن الدخول إلى شبكة الانترنت يتم من خلال نوافذ اللغات الأوروبية والإنجليزية والثقافات المغايرة لإطارنا المرجعي والروحي والثقافي والحضاري.

المواقع الإباحية وأثرها على الفرد والمجتمع:

من المعروف أن للأفلام الإباحية من الأخطار ما لا يحصى، من تدمير الأسرة، إلى انتشار الزنا والاغتصاب واللواط والسحاق وممارسة العادة السرية، مع ما في ذلك من خطر تفشي الأمراض الخطيرة كالإيدز وكذا الأمراض الجنسية المرتبطة بالأعضاء التناسلية.

وفي نفس المجال فإن الإباحية تساهم بشكل كبير في انحطاط القيم، وتفشي الإجرام في المجتمعات البشرية، وبالتالي فإن تأثيرها على الأفراد والمجتمعات مما لا يمكن إنكاره أو التغاضي عنه. ووسيلة الأفلام يمكن ضبطها من خلال الجمارك ومنع التهريب، ومن خلال السلطات التي تدهم أماكن بيع هذه الأفلام، أما ما يدخل علينا من خلال المواقع على شبكة الانترنت فإن مهمة الرقابة عليه تصبح صعبة إن لم نقل مستحيلة، وبالتالي فإن أعداء الأمة يستغلون هذه المواقع للتأثير

على مجتمعاتنا وحرفها عن قضاياها الأساسية وتوجيهها نحو الرذيلة، وما يصاحب ذلك على مستوى الطلاب من تأخر دراسي، وتدني المستوى العلمي، وقلة الكفاءات العلمية والتقنية. وهذا ما يعمل عليه الغرب اليوم إذ إنه يحاول تصدير الإباحية إلى غيره من المجتمعات بدعوى الحرية. مما يفرض على المجتمعات الإسلامية والمحافظة أن يعمدا إلى حجب المواقع الإباحية لمنع آثارها المدمرة على المجتمعات العربية والإسلامية. نحن لا ننكر أن خدمة الإنترنت فيها منافع لا تُحصى، لكنها في الوقت ذاته تحمل في طياتها مخاطر متعددة، لا بد من التنبه إليها.

وسائل العلاج:

من المعروف أن هناك أعداداً كبيرة من الشبان يتعاطون موضوع التحادث عبر الانترنت مع الجنس الآخر، وكذا تصفح ما لا يجوز تصفحه من المواقع الإباحية واللاأخلاقية، وهذه المشكلة توقع جيل الشباب في الكثير من المجتمعات في مشاكل أخلاقية ونفسية، وقد تحولهم في كثير من الأحيان نحو الجريمة، ما يفرض البحث عن وسائل لعلاج هذا الموضوع. ونحن نعتبر أن هذه الوسيلة أي الانترنت لا نستطيع تجاهلها ولا تركها، بل لا بد من الاستفادة منها في سبيل الخير، وكي تكون الاستفادة فيما يجوز وعدم الوقوع في الحرام نوصي عادة بوسائل العلاج التالية:

١ ـ ضرورة إشراف الأهل:

تقع على الأهل مسؤولية كبيرة في الإشراف على تعامل أبنائهم مع الانترنت، وهم إن لم يقوموا بذلك فإنهم يساهمون في انحراف أولادهم إذا ما دخلوا إلى المواقع المنحرفة، أو تحادثوا مع أشخاص يسهلون لهم الدخول في الحرام. والرقابة من قبل الأهل تكون من خلال الاطلاع

على المواقع التي يزورها أبنائهم، والأشخاص الذين يتحدثون معهم، فإذا كانوا يتعاملون مع ما لا يجوز من المواقع، أو يتحدثون مع أشخاص سيئون، ولم تنفع الموعظة معهم، أو لم يمكن ضبط تعاملهم، فعليهم ساعتئذٍ أن يعمدوا إلى فصل الاشتراك عن الإنترنت نهائياً. وفي مطلق الأحوال يجب أن يكون الحاسوب الذي يدخلون من خلاله على الشبكة في مكان مشترك، وعلى مرأى ومسمع من الجميع، وأن يتم توجيه الأولاد ذكوراً وإناثاً، إلى طرق الاستخدام الصحيحة، وتعريفهم بالمواقع الجادة، وتحذيرهم من المزالق والمنعطفات، وأن يوضع على الحاسوب كلمة مرور تمنع من الاستعمال إلا من خلال الأهل ووضع ضوابط تمنع وصول الصور الخليعة.

ونحن عندما نتحدث عن رقابة الأهل لا يعني ذلك الرقابة التي تُشعر الشباب بعدم الثقة بهم، بل يجب أيضاً أن نحفز ضمائرهم لكي يمارسوا الرقابة الذاتية النابعة من ضمير الإنسان، والتي هي أقوى مصادر الضبط لسلوك الإنسان، ذلك لأن الإنسان، يمكنه أن يتفلت من رقابة القانون ومن رقابة الأهل في كثير من الأحيان، وعندئذ يمكنه أن يسلك بالطريقة التي يريد. لكن الرقابة الذاتية تنبع من الإنسان وترافقه في كل أحواله.

إن الرقابة الذاتية لدى الشباب تمنعهم من تبديد طاقاتهم العقلية والجسدية في استخدامهم لشبكة الإنترنت، ووعيهم بالمسؤولية الفردية والجماعية يدفعهم إلى الاستفادة من المعلومات والمعارف فيما ينفعهم ويعود بالفائدة على مجتمعهم، وبذلك ينضبط استخدام الشباب لشبكة الإنترنت، ويجعل هذه الشبكة سلاحاً بيد الشباب لا سلاحًا موجهًا نحو صدورهم.

٢ ـ استشعار الرقابة الإلهية:

أكثر ما ينفع في هذا المجال هو تقوى الله ﷻ، والانتباه إلى أنه

مُطلع على كل أعمالنا، وإذا استطعنا إخفاء ما نفعل عن أهلنا فإننا لن نستطيع إخفاء ذلك عنه سبحانه وتعالى، لذلك على الشباب استشعار رقابة الله جل جلاله، والخوف من عقابه، وأن نذكر أن الله يرانا، وعلينا الانتباه إلى أننا عندما نخاف من أن يرانا أهلنا نقوم بالدخول إلى موقع إباحي، أو نخوض في حديث وجداني زائف مع شاب لا نعرفه، ولا نخاف في نفس الوقت من الله ﷻ فإننا بذلك نجعله ـ جل جلاله ـ أهون الناظرين إلينا، وليكن قوله سبحانه وتعالى:

﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[1].

إن هذه الآية الكريمة يجب أن تشكل دافعاً لنا في استشعار رقابة الله ﷻ لنا في كل أفعالنا، فهو أقرب إلينا من حبل الوريد فلا نفعل ما لا يرضى عنه ويكون كل عملنا في إطار رضوانه سبحانه وتعالى.

٣ ـ التحصين الثقافي النابع من العقيدة:

لا بد في مواجهة أخطار الانترنت من تحصين الشباب عقائدياً وفكرياً، بشكل يستطيعون معه مواجهة الثقافات الوضعية والأفكار الهدامة والسلوكيات الغريبة عن عقيدتنا وبيئتنا، فإننا نعتبر أن الدين هو الذي يمكن أن نلجأ إليه في تحصين شبابنا من الأخطار الوافدة.

وهنا نؤكد على ضرورة أن يمارس الأهل دوراً أساسياً في هذا التحصين، لأن الأسرة لها دور كبير في تشكيل ثقافة النشء بناءً على ما تغرسه في نفوسهم من عقيدة. وإذا أحسنت الأسرة المسلمة البناء الثقافي لأبنائها وفقًا لعقيدة التوحيد فإن ذلك يساهم في حمايتهم في مرحلة الشباب.

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ٧.

يجب أن نتوجه نحو شباب الأمة ونحصنهم ثقافياً انطلاقاً من عقيدة صحيحة مبنية على مصادر موثوقة. ولا شك في أن إدراك الشباب لحقيقة الثقافة الإسلامية من حيث المصدر ومن حيث المضمون يجعلهم أبعد عن التبعية الثقافية، وأقرب إلى الاعتزاز بدينهم وتراثهم، مما يزود شباب الأمة بمعيار يساعدهم على انتقاء النافع من الأفكار وأنماط السلوك، وطرح الفاسد منها الذي يتعارض مع دينهم وثقافتهم. ما يمكنهم من عدم الوقوع الانحرافات الفكرية والسلوكية التي تعج بها وسائل الاتصال والإعلام المعاصرة وعلى رأسها شبكة الإنترنت.

٤ ـ تطوير برامج الإعلام بما يحقق طموح الشباب:

لا يجوز أن تقتصر معالجتنا الانحرافات في مجتمعنا أن تقتصر على المنع والصد، بل لا بد من تقديم البدائل المفيدة التي يمكن أن يلجأ إليها الشباب فيملئون فراغهم بما هو مفيد، فنعمل على تطوير أجهزة الإعلام المحلية، وخاصة التلفزيون بما يلبي رغبات واتجاهات الشباب، وجعل البرامج والأفلام أكثر حيوية وقرباً لمشكلاتهم، وجعلهم مشاركين فعالين في صنع هذه البرامج ضمانًا لإعادة الثقة بالأجهزة الإعلامية، مع محاولة تقليل ساعات المشاهدة للقنوات الفضائية الوافدة.

ولا بد من أن تنطلق البرامج سواء عبر الفضائيات أو الانترنت من القيم الإسلامية الأصيلة، مع تحقيق الإمتاع والتسلية وفي نفس الوقت الفائدة وتنمية القدرات الفكرية والثقافية. فمن المهم جدًا أن يُخاطب إعلامنا المحلي شبابنا بما يحتاجونه لا بما يشتهونه، لأن الشباب قد يشتهون ما يدمرهم ويدمر ـ بالتالي ـ مجتمعاتهم. وهذا يحتاج إلى إعلام فاعل يتعرف على هموم الشباب وحاجاتهم ومن ثم يقدم لهم ما يحتاجونه من أفكار ومهارات بطريقة مبدعة ومشوقة.

إن تأكيد كثير من الباحثين على دور الدين في البرامج الإعلامية

ينم عن أهمية الدين ودوره في تفجير طاقات الشباب وضبط غرائزه، بما يزوده بسياج أخلاقي واقي يمنعه من الوقوع فريسة الانحرافات الفكرية والسلوكية.

٥ ـ تنظيم المنتديات الحوارية من خلال الجمعيات الثقافية:

نحن لا ننكر أبداً أهمية الانترنت والدخول إلى المواقع المفيدة، بل إننا نعتبر أن عدم اعتماد هذه الخدمة في هذا العصر هو تخلف عن تقنيات العصر الحديث، وهذا أيضاً لا يجوز لذا لا بد من استخدام هذه التقنية في الأمور المفيدة دون غيرها، وذلك يكون من خلال تنظيم المنتديات الحوارية المتخصصة التي تنشئها الجمعيات الثقافية والمنتديات الفكرية والمفكرون الجادون، الذين يعتنون بتنمية الفكر الإنساني ويحذرون الناس من الانزلاق في متاهات الرذيلة والانحطاط عبر استخدامها في الأمور الجنسية والخلاعية.

٦ ـ إشراف الدولة:

لا يجوز اقتصار إشراف الدولة على الجانب الأمني السياسي، بل لا بد من إشرافها على ضبط استخدام شبكة الإنترنت، والذي هو من أهم مسؤولياتها، بل مسؤولية المجتمع بشكل عام، ذلك لأن التسيب في ارتياد الشباب لمقاهي الإنترنت وسوء استخدامهم لهذه الشبكة يؤديان إلى آثار مدمرة لأخلاق الشباب، الذين هم الشريحة الفاعلة في المجتمعات. وينبغي كبح جماح هذه التقنية (الإنترنت) وضبط سلوك الإنسان حيالها، حتى تكون خادمة له بدلاً من أن يكون هو خادماً لها، بحيث تساعده على الإبداع والابتكار بدل أن تحد من طموحه فيصبح رقمًا من أرقامها.

ويتم ذلك من خلال تقنين خدمة مقاهي الإنترنت وضبطها، بحيث تكون تحت الرقابة، ويمنع دخول الشباب دون سن الثامنة عشر، وتحديد أوقات فتحها وإغلاقها، وإلزامها باستخدام برامج الترشيح والفلترة للمواقع

حرصًا على الدين والخلق. إضافة إلى ذلك لا بد من المتابعة والرقابة والزيارات المفاجئة، لمقاهي الإنترنت ومحاسبة المتفلتين من أصحابها.

ويكون ذلك أيضاً من خلال تبني قطاع التعليم مسؤولية إنشاء مواقع تربوية وتعليمية وثقافية موجهة للنشء، وتزويد تلك المواقع بالكوادر البشرية والدعم المادي. ونشر الوعي لدى الشباب حول خدمة الإنترنت وإرشادهم إلى المواقع النافعة الهادفة.

ومن بين ضوابط استخدام شبكة الإنترنت حجب الدولة للمواقع المحظورة التي تبث المواد الجنسية والأفكار الهدامة.

ومن الأمور النافعة في هذا الشأن تزويد الشباب بقوائم تتضمن عناوين المواقع الدينية والثقافية والمعرفية واللغوية المفيدة الموجودة على شبكة الإنترنت، وكذلك تحذيرهم من المواقع الهادمة للدين والمروءة والخلق، ليكون الشباب على بينة من أمرهم.

٧ ـ توجيه الشباب باتجاه قضايا أساسية بدلاً من إلهائهم بقضايا هامشية:

يعاني الشباب في عصرنا هذا، خاصة أولئك الذين يتعاطون بشكل سلبي مع الانترنت، من حال فراغ فكري وسياسي وعقائدي، وهذا يقتضي أن يكونوا بمنأى عن التعاطي مع الأفكار المشبوهة، التي تكون عادة مرغوبة لديهم لمخاطبتها غرائزهم واستثارة شهواتهم، في حين إن الذي يجب أن يوجه إليهم هو الخطاب التوجيهي الذي يجيب عن أسئلتهم ويوجههم التوجيه السليم، بينما ترى هؤلاء الشباب يسعون لملئ فراغهم بأمور تؤذيهم وتحرفهم سلوكياً وفكرياً، من خلال دخولهم إلى الصفحات المشبوهة والموبؤة كتلك التي تروج للانحراف الجنسي، فينساقون وراء شهواتهم ما يوقعهم بالآفات المضرة بالروح والعقل والجسد.

وصوناً لهؤلاء الشباب من الوقوع في هذه الانحرافات الخطيرة لا

بد من توجيه عنايتهم إلى قضاياهم الجادة، وهموم أمتهم الكبرى، وهذا يقتضي بالضرورة سماع آراء الشباب ومناقشتهم والتعرف إلى دورهم ومشكلاتهم وتطلعاتهم، واهتمام رواد الثقافة والتربية بموضوع الشباب عمومًا وتحديد مشكلاتهم ووضع البرامج المناسبة لمساعدتهم على تأدية أدوارهم المستقبلية.

لا بد من إشعار جيل الشباب بهموم أمتهم الكبرى كقضية فلسطين ومسألة التخلف والفقر والسير في ركب النمو والتطور، والظلم الاجتماعي، والتبعية للغرب، والفرقة والتمزق بديلاً عن الوحدة والتآلف، ما يبعدهم عن التلهي بالسخافات والتفاهات وصغائر الأمور.

إن شغل الشباب المسلم بقضاياه الجادة وهموم أمته الكبرى له أثر كبير في صرف الشباب عن الاهتمام بشهواتهم وغرائزهم، وله دور كذلك في شحذ همتهم وتقوية عزيمتهم، وبالتالي تجنب الاستخدام السيئ لوسائل الاتصال والإعلام الحديثة وعلى رأسها شبكة الإنترنت.

٨ ـ الثقافة الجنسية الموضوعية:

إن نظرة الإسلام إلى الجنس ليست نظرة سلبية، فهي لا تعتبره شراً وعملاً شيطانياً، بل هو حاجة إنسانية ضرورية، فهو لا يكبت هذه الشهوة بل ينظمها ضمن أحكام وضوابط تمنع من التفلت في سياق التنفيس عنها، لا الانسياق ورائها بشكل حيواني يلغي القيمة الإنسانية في هذه العلاقة. فالمطلوب هو تفريغ الطاقة الجنسية بشكل سليم مع الحفاظ على طهارة الأنساب، وبقاء النوع الإنساني من خلال التناسل المنضبط بسلسلة قوانين وضوابط.

لذلك طرح الإسلام الحفاظ على العلاقات الطاهرة من خلال مؤسسة الزواج، والابتعاد عن الزنا والفاحشة فقال في كتابه الكريم:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ

بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

فالإسلام لا يدعو إلى رهبانية، ولكنه يدعو إلى علاقة جنسية لها طابع ينسجم مع فكرة خلافة الله في الأرض من حيث إعمار هذه الأرض عبر التناسل الشريف والمنضبط.

انطلاقا مما تقدم يجب على أولياء الأمر الذين يرعون شبابنا، سواء أكانوا أهلاً أم دولة أم مؤسساتِ مجتمع مدني، العمل على إدخال الشباب في برامج مكثفة لتربية جنسية متوازنة، ما يحصنهم من الوقوع في حبائل المواقع الجنسية الإباحية والداعية إلى جنس لا قيمة فيه ولا إيجابيات، بل يوقع الشباب في أخطار صحية ونفسية وعقلية.

علينا أن نربي شبابنا تربية جنسية متوازنة، تبدأ من الأسرة ثم تنتقل إلى المسجد من خلال الحديث عن فقه الطهارة والعشرة الزوجية، ثم تنتشر إلى باقي المؤسسات التربوية كوسائل الإعلام والأندية الاجتماعية والرياضية والثقافية.

إن التربية الجنسية المتوازنة ينبغي أن تصاحب التنشئة الاجتماعية للأبناء منذ نعومة أظفارهم في الأسرة، ثم ترافقهم في مسيرتهم التعليمية في المدرسة والجامعة، كما تصاحبهم في أنديتهم وما يقدم إليهم من إعلام، لكن شريطة الالتزام بالآداب والأخلاق الإسلامية، والتمسك بمعايير الحياء في الألفاظ والتعبيرات.

٩ ـ تسهيل الزواج في سن مبكر:

بدراسة متأنية ومعمقة للأسباب التي تدفع الشباب نحو اللجوء إلى الانترنت في مواقعها الجنسية الإباحية، يتبين أن النسبة الأعلى لمرتادي هذه المواقع هم من الشباب الذين لم يستطيعوا الزواج لظروف في

---

(١) سورة الروم، الآية: ٢١.

أغلبها مادية، وخاصة تلك التي تنتج عن القيود الكثيرة التي يضعها الأهل أمام الشباب لزواجهم من غلاء المهر، إلى طلب بيت وفرش غالي الثمن، ما يجعلهم يعزفون عن الزواج، ويلتجئون خاصة مع قلة التدين إلى وسائل أخرى لتنفيس غريزتهم في المجال الحرام، ومن أهمها ارتياد المواقع الإباحية أو ممارسة التحادث الإباحي عبر الانترنت.

إن الزواج هو نعمة إلهية كبيرة يجب أن نسهله، ولا نضع أمامه عقبات من أي نوع، فيكفي أن يكون المتقدم للزواج شاباً متديناً حتى نقبل به فقد ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال:

«قال رسول الله ﷺ: إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه وأمانته فزوجوه فإن لم تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير»[1].

إن هذا الحديث الشريف يضع الأصبع على الجرح، وكأنه يتحدث عن عصرنا الحاضر، فإن الذي يحصل هو أننا لا نزوج بناءً للالتزام الديني والأخلاق والأمانة، بل لغنى المتقدم للزواج وفقره ما يوجب بقاء الفقراء من الشباب خارج المؤسسة الزوجية، ما يلجئهم إلى الزنا أو المواقع الإباحية وهذه هي الفتنة والفساد الكبير.

والعلاج مستبطن في هذا الحديث الشريف وهو أن نسهل الزواج من خلال تسهيل تكاليفه، والتخفيف من شروطه، أو لنقل الاقتصار على الشروط التي تصون الزواج عن الفشل، وبالتالي نصون شبابنا عن الوقوع في الحرام ويسد أمامهم باب المعاصي ويصونهم عن الانحراف.

١٠ ـ قيام المؤسسات التربوية بدورها على أحسن وجه:

للمؤسسات التربوية دور أساسي في رعاية الشباب من خلال البرامج التي تعدها، على أن تكون متناسبة مع حاجات هؤلاء الشباب،

(١) مستدرك الوسائل الجزء ١٤ الصفحة ١٨٨.

وجاذبة لهم، ومرغبة في الانخراط فيها، وهذا لن يكون إلا بطرح المواضيع التي تستهويهم، واعتماد الأسلوب الذي يتلاءم مع أعمارهم، بعيداً عن الأسلوب الجاف أو الفكري البحت، بل من خلال التناغم بين اللعب والمرح وفي نفس الوقت تمرير المفاهيم والأفكار، فمن أهم ما يمكن أن يرسخ في ذهن الشباب هي تلك الأفكار التي يأخذها عبر وسيلة ترفيهية، كأن تكون المحاضرات في مخيمات ترفيهية أو خلال رحلات تثقيفية.

ولا بد هنا من الإشارة إلى ضرورة التكامل والتناسق بين جهود المؤسسات التربوية في رعاية الشباب والعناية بهم، حتى تؤتي هذه العملية ثمارها، وذلك لأن الأصل في هذه الجهود أن تكون متوافقة ومتكاملة لصياغة شخصيات الشباب بطريقة متوازنة ومتكاملة.

وهنا نؤكد على دور أهم مؤسستين تربويتين، وهما المسجد والمدرسة، فعلى لجان المساجد أن تكون فاعلة فتقدم برامج تجذب الشباب وتدفعهم للاشتراك في نشاطاتها، ولا مانع من أن يحتوي المسجد على قاعة للإنترنت يستطيع الشباب ارتيادها، وتقدم لهم لجنة المسجد المواقع المفيدة التي يمكن أن يرتادوها.

أما المدرسة فلا بد من تعزيز دورها وأن تقدم العلم بقالب يستهوي الشباب، بشكل يجعلهم يخرجون من المدرسة مكرهين ويتمنون انقضاء الوقت الذي يقضونه خارجها ليعودوا إليها، ولا بد من فتح مراكز داخل المدرسة للانترنت لارتياد المواقع التي تحددها لهم إدارة المدرسة بعد اختيارها من ذوي الخبرة في هذا المجال. وهنا نحن لا نقلل بل نؤكد على دور الأندية الثقافية والرياضية والاجتماعية.

إن التناقض وعدم الانسجام بين الأدوار التي تؤديها المؤسسات التربوية المختلفة يساهم في اضطراب شخصية الشاب وتناقضها، فالمدرسة والأسرة قد يزودان الأبناء بالقيم التربوية السليمة، ثم تأتي

مؤسسة الإعلام فتهدم تلك القيم، من خلال ما تقدمه من برامج وأفلام وموضوعات تثير شهوة الشباب، وتحرك فيهم الشك والريبة في دينهم وثقافتهم. وبذلك ينشأ شبابنا وهم مصابون بما يشبه انفصام الشخصية الذي يؤدي إلى تذبذبهم بين الفضيلة والرذيلة، فنراهم تارة يُقبلون على ما ينفعهم من برامج ومواد إعلامية مبثوثة على شاشات الفضائيات وصفحات الإنترنت، وتارة أخرى تغلب عليهم شقوتهم فيبحثون عن البرامج والموضوعات المشبوهة والمواقع الإباحية التي ترسلها الفضائيات وشبكة الإنترنت.

ولا يمكن إزالة هذا التناقض في نفوس الشباب إلا بالتعاون الكامل والتنسيق المحكم بين مؤسسات المجتمع التربوية والثقافية والاجتماعية والدينية، من أجل غرس القيم الدينية والاجتماعية والثقافية الإيجابية في نفوس النشء، بما يساهم في بناء شخصيات شباب المستقبل بطريقة تجنبهم الانحراف الفكري والسلوكي والاستسلام للشبهات والشهوات.

١١ ـ الترفيه الشرعي عن الشباب:

يُجمع كل علماء النفس على ضرورة الترويح عن النفس، وعدم إشغالها الجدي دائماً فإن ذلك يؤدي إلى مللها ووصولها إلى حالة الاكتئاب العادي، أو المرضي وهذا قد يدفع الشباب في بعض الأحيان للجوء إلى الانترنت كوسيلة للترفيه في ظل عدم وجود البديل، لذلك فإن المطلوب تأمين وسائل ترفيهية للشباب ضمن الضوابط الشرعية وهذا ما أكد عليه الشرع الحنيف، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«روحوا القلوب ساعة فساعة»(١).

إن كلام الرسول ﷺ يؤكد على ضرورة الترفيه على أساس أنه

---

(١) كنز العمال ٣ الجزء الصفحة ٢٧.

واجب لا بد منه، لذلك أتى به بصيغة الأمر مشعراً بأهميته، لأن هذه النفس إن تعاملت معها بشكل دائم بجدية ستعاني من الجفاف الروحي المؤدي للإصابة بأمراض نفسية كالاكتئاب الذي يطلق عليه اليوم مرض العصر .

إن الترويح عن النفس هو ضرورة للشباب، لأنه يُفَرِّج عنهم الهم، وينّفس الكرب، ويزيل عن النفس السآمة والملل، لأن الأنفس تمل كما تمل الأبدان فقد ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال:

«روحوا أنفسكم ببديع الحكمة فإنها تكل كما تكل الأبدان»[١].

من روائع ما قرأت في هذا المجال هو هذا القول لأمير البلاغة عليه السلام لأنه يقول روحوا عن أنفسكم ببديع الحكمة، فإنك عندما تريد أن تروح عن نفسك يجب أن يكون هذا الترويح ببدائع الحكمة لا بسفاسف الأمور، لذلك فإن نشاطات الترويح التي يزاولها الشباب قد تكون مضرة، وقد تكون نافعة، وقد تكون مما لا ينفع ولا يضر، ولا بد من اختيار الترويح النافع الذي ينطوي على نشاطات وممارسات مفيدة للشباب، وهو الترويح التربوي الهادف الذي يُسَرّي عنهم ويُمتّعهم ويفيدهم في الوقت ذاته.

إن المطلوب من خلال ما تقدم هو عدم الإفراط وعدم التفريط، فلا الجِد المرهق والعمل المتواصل مقبول، ولا التفلت من كل القيود والذهاب باتجاه المتعة المنفلتة، أو المزاح المستمر، أو اللعب واللهو الدائم مقبول، بل المطلوب أمر بين أمرين وبمعنى آخر ساعة بعد ساعة، فإن ذلك يُنمي القدرات العقلية لدى الشباب مثل قدرات التنظيم والتحليل والتفسير والإدراك والملاحظة. وفي نفس الوقت فإن ذلك يؤدي إلى

(١) شرح أصول الكافي الجزء ٢ الصفحة ١٧١.

المحافظة على الصحة الجسمية والنفسية، وبث الروح النشيطة في جسد الشباب مما يزيد في إنتاجيتهم، ويساهم بشكل كبير في تنمية المعرفة الثقافية لدى الشباب، كما يؤدي إلى تخليص الإنسان من التوترات النفسية والصراعات الداخلية، وإشباع حاجاته الأساسية كالحاجة إلى تنفيس الانفعالات والتخلص من الكبت والإحباط.

ويساهم الترويح التربوي أيضًا في تكوين الروح الجهادية لدى الشباب، من خلال ممارسة ألوان الترويح ذات المغزى الجهادي، كالفروسية والرماية والسباحة والتدريب على السلاح العصري واكتساب المهارات القتالية على اختلاف أنواعها.

والترويح بهذا المعنى يُشغل الشباب عن كل ما هو مضر ومنها، بل من أخطرها إدمان تصفح المواقع المفسدة المبثوثة على شبكة الإنترنت، لأن الترويح يُخلص الشباب من الفراغ القاتل الذي يُفقده الشعور بهدف وجوده وغايته في هذه الحياة، ومن ثم يكون ضحية لكل شبهة وشهوة.

نصائح لمن يريد التحادث عبر الانترنت:

بغض النظر عن الحكم الشرعي في موضوع التحادث على الانترنت، فلو إن شخصاً أراد فعل ذلك إما عصياناً على فرض الحرمة، أو مع جواز ذلك على فرض الإباحة، فإن هناك نصائح لهما كي لا يقعوا في المخاطر المترتبة على فعلهم هذا، والاستفادة من إيجابيات هذه التقنية دون الوقوع في السلبيات. وهذه النصائح هي على الشكل التالي:

١ ـ قلنا إن الإباحة متعلقة في أن يكون الكلام حول مسألة مباحة أو واجبة، ولا يجوز التحادث فيما لا يجوز من الناحية الشرعية، وعليه

يجب على المتحدث الاقتصار على الموضوع الجائز، وعدم الإكثار من الكلام خارج موضوع المسألة المطروحة، لأن الانسياق في الحديث بعد إنهاء الموضوع الأساسي يزيد من إمكانية الكلام فيما لا يجوز.

٢ ـ نحن ننصح أن لا يكون التحادث بأمور عبثية أو لا طائلة وفائدة من ورائها، بل الاقتصار على الضروري من الحديث.

٣ ـ إن الموضوع الذي تحدثنا حوله هو تحادث الرجال والنساء، وقلنا أنه في بعضه جائز وفي بعضه الآخر غير جائز، ففي مورد الجواز ننصح بالانضباط في الحديث وعدم ترقيق الصوت، أو تليين العبارة بشكل يؤدي إلى الفتنة. فهذا أمر به الله ﷻ بقوله:

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾(١).

وهذا الخطاب لا يختص بزوجات النبي ﷺ، بل يعم جميع النساء بأن يكن في حديثهن مع الرجال إن اضطروا لذلك مقتصراً على الضروري، ومنضبطاً في طريقة التعبير من دون ترقيق وميوعة في الحديث شكلاً ومضموناً .

٤ ـ إن بداية أي فتنة على صعيد العلاقة بين الرجل والمرأة يكون من خلال الخروج من جو اللقاء الجاد المحصور بالحديث عن أمور عامة فكرية وثقافية وخلافه والدخول في المسائل الشخصية، لذا فإننا ننصح بعدم السؤال عن المسائل الشخصية التي لا تتعلق بالموضوع المطروح كالسؤال عن العمر أو الطول أو عنوان السكن...الخ.

٥ ـ الاقتصار على الضروري من الحديث، فإذا ما انتهيت أغلق الجهاز، أو تحول نحو بحث آخر، وتجنب قدر الإمكان الإطالة في

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٢.

الحديث كي لا تقع في المحذورات من خلال الحديث فيما لا ينفع. ويفضل أن يكون الحديث مباشراً لا يكتنفه الغموض، أو محاولة الإيحاء من خلال تعابير يكتنفها الغموض بأمور لا علاقة لها بأصل الموضوع تكون مدخلاً للشيطان.

٦ ـ الامتناع عن الاستمرار في المحادثة إن أحس بأن شهوته تتحرك، أو أنه ابتدأ بالحديث بأمور تعتبر حراماً في التحادث بين الرجل والمرأة.

هذه بعض نصائح لمن يريد التحادث عبر الانترنت بشكل عام، وبالأخص لمن يريد التحادث مع الجنس الآخر تكفل مراعاتها عدم الدخول بما لا يجوز من الناحية الشرعية.

الأطفال على الانترنت:

لا تقاس الخطورة الناشئة عن تعاطي الشباب مع الانترنت عن تلك الناشئة عن تعاطي الأطفال، إذ إن الكبار يمكن إرشادهم إلى الصواب ونهيهم عن المخاطر من خلال إفهامهم ذلك، أما الأطفال فإن الجانب العقلي يكون قليل التأثير ويبقى الجانب ألغرائزي والعاطفي، ما يوجب وقوعهم في محاذير كبيرة يصعب إخراجهم منها.

فهناك الكثير من المحتالين الذين يقومون باستغلال الأطفال من خلال الانترنت عبر إغرائهم من خلال الحديث اللطيف، أو المثير غرائزياً، بل وحتى تقديم الهدايا لهم، وهناك جمعيات ومنظمات تهتم بهذا الشأن ويكرسون له وقتاً ومالاً وجهداً ويقدمون للأطفال آخر صيحات الموضة، أو المقاطع الموسيقية والغنائية التي يحبونها ويدخلون من وراء ذلك لأهداف أخرى غالباً ما تكون دنيئة وخطيرة.

ومن أجل الوصول إلى أهدافهم هذه يحاولون إقناع الأطفال بأنهم يريدون مصلحتهم، ويسعون لحل مشاكلهم، فيعرضون عليهم أن يخبرونهم بمشاكلهم ليعملوا على حلها لهم، ويبدون التعاطف معهم حتى

وإن كان هؤلاء الأطفال هم المخطئون، وتكون هذه المشاكل عادة خاصة في المجتمعات الغربية سبباً لتدخل هذه الجمعيات تحت ستار حماية الأطفال لفصل الأولاد عن أهلهم وحضانتهم هم لهم مقدمة لتأطيرهم في أفكار لا تمت للإسلام بصلة، وفي بعض الحالات يقومون بطرح أمور جنسية على الأطفال خاصة أولئك الذين يشعرون بالكبت الجنسي مقدمة لاستغلالهم جنسياً عبر منظمات دعارة خاصة بالأطفال، وقد اكتشف في بلاد الغرب الكثير من هذه المنظمات التي ليست المنظمات الصهيونية ببريئة من تمويلها وتشغيلها.

وما يضاعف الخطر في هذا الشأن أن الأطفال وخاصة المراهقين منهم هم الأقل حصانة والأكثر تعرضا لخطر المحتالين عبر الانترنت. إذ إنهم يميلون عادة أكثر من غيرهم إلى التعرف على خصوصياتهم الجنسية، وذلك بشكل بعيد عن رقابة الأهل وهم يسعون لكي يفجرون هذه الحاجة من خلال علاقات خارج الأسرة، ومن هم أكثر عرضة من غيرهم لهذا الأمر هم الأطفال حديثو العهد في التعامل مع الانترنت، وهم في نفس الوقت الأكثر بحثاً عن الأمور المثيرة والغريزية.

ويجب الانتباه إلى تصرفات يقوم بها طفلك تؤشر إلى أنه قد يكون وقع فريسة لهؤلاء المحتالين نشير إلى بعضها على الشكل التالي:

١ ـ قضاء طفلك وقتاً طويلاً في غرفته على الكومبيوتر من دون أدنى صوت أو خروج للراحة.

٢ ـ تلقي طفلك هدايا من شخص أو أشخاص لا تعرفهم.

٣ ـ إذا دخلت على طفلك فجأة يقوم بإطفاء الجهاز بسرعة.

٤ ـ إصرار طفلك على إقفال باب الغرفة عليه بالمفتاح أثناء استعماله للجهاز.

٥ ـ اختيار ابنك لأوقات عدم وجود العائلة في البيت لاستعمال الانترنت.

حيث أن الآخرين يسعون إلى الدخول إلى أسرارنا من خلال أطفالنا الذين لا يدركون عادة الأهداف الأساسية من الأسئلة الموجهة إليهم عبر الشبكة، والتي يمكن أن تكون هدفاً لأعداء الأمة، وحيث أنهم يعملون للإساءة لأطفالنا وتعريضهم لمخاطر لا تحمد عقباها، لذا فعلينا إذا أردنا السماح لأطفالنا بالتعاطي مع الانترنت أن تلتزم بالنصائح التالي:

١ ـ شبكة الانترنت هي للأحاديث العامة ولا يجوز السماح للآخرين بالإطلاع على خصوصياتنا، فإياك أن تكشف عن أي معلومات شخصية عنك سواء اسمك، أو عنوانك، أو أسم والديك، أو رقم الهاتف، أو أية تفاصيل خاصة أخرى.

٢ ـ إفهام أبنك أن الرقم السري للاتصال بالانترنت هو أمر خاص بنا وكشفه يؤدي للأضرار به وبالعائلة.

٣ ـ إن شعرت بالإزعاج وعدم الارتياح من حديثك مع أي شخص فبادر إلى إغلاق الخط بسرعة، أو انتقل إلي موقع آخر علي الانترنت.

٤ ـ ليس من الضروري أن يعرف الطرف الآخر أية معلومات شخصية عنك، أو عن أحد أفراد عائلتك فلا ترسل لهم صورك، أو صور أي فرد من أفراد عائلتك.

٥ ـ إذا عرض عليك أحد أن تقابله في الخارج فلا توافق أبداً على ذلك وأخبر والديك فوراً.

٦ ـ إذا تلقيت أي تهديد، أو استمعت لألفاظ بذيئة، أو غير أخلاقية فبادر إلى الانتقال إلى موقع آخر وأخبر والديك عن ذلك.

٧ ـ لا تضع الحاسوب في غرفة نوم أبنك فهذه دعوة دائمة له ليتسلل ليلاً ويقوم بفتح الانترنت.

٨ ـ فليكن حساب ابنك على الانترنت جزءاً من حسابك أنت، ما يوفر لك مراقبة دائمة ومستمرة لما يقوم به والمواقع التي يدخل إليها وهي ضمانة إضافية للمراقبة اللصيقة.

٩ ـ عندما يكون أطفالك يافعين، يجب عليهم مشاركة العائلة عنوان البريد الإلكتروني بدلاً من الحصول على حسابات بريد إلكتروني خاصة بهم، وعندما يكبرون، يمكنك أن تطلب من موفر خدمات الإنترنت (ISP) أن يقوم بإعداد عنوان بريد إلكتروني منفصل، ولكن على أساس أن يبقى بريد طفلك مقيماً في حسابك.

١٠ ـ أطلب من أطفالك عدم الإجابة على الرسائل الفورية، أو رسائل البريد الإلكتروني من الغرباء، وأن يطلعك عليها قبل الإجابة عنها كي لا تكون الرسالة تحتوي أسئلة تشكل الإجابة عليها خطراً على الأهل أو الطفل أو المجتمع .

وهنا فإننا نؤكد على الرقابة الأبوية المباشرة على المواقع التي يدخل إليها الأولاد، والأفضل من ذلك عدم دخولهم إلى شبكة الانترنت أبداً، وإن كان هناك ضرورة لذلك فليكن من خلال الأهل لا من خلالهم.

وهنا لا بد من إرشاد الأهل لضرورة تهيئة الحاسوب ليخزن المواقع التي يُدخل إليها، وبالتالي التحقق منها مرة أسبوعياً على الأقل، لتعرف ما هي المواقع التي يدخلها أطفالهم، والوقت الذي يقضونه فيها مما يجعلك تتأكد من أن أطفالك يستخدمون الانترنت كمصدر للتعلم وليس كجهاز للتفاعل.

المشكلة تكمن في الأهل الذين لا يعلمون شيئاً عن الحواسيب، أو كيفية التعامل مع الانترنت فهنا ننصحهم أن يتعلموا ذلك، ففيه فائدة كبيرة لهم، وإن لم يستطيعوا فعليهم اللجوء إلى من يتقن ذلك للإشراف

على أطفالهم أو أن يحصروا تعاطي أولادهم مع الانترنت بالمدرسة فهذا أهون الضررين.

مسألة أخرى لا بد من الاهتمام بها، وهي أنه ونتيجة لكثير من الاستطلاعات تبين أن سبب تعاطي الأطفال مع الانترنت لفترة طويلة من الزمن ناتج عن عدم إعطاء الأهل أولادهم الوقت الكافي للجلوس معهم ومحادثتهم، أو أنهم في أحاديثهم يتحدثون في أمور ليست مفيدة للأطفال، أو لا تغريهم لمتابعتها والاستماع إليها، لذا يجب على الأهل الالتفات لهذه المسألة، وإعطاء أولادهم الوقت الكافي، واختيار الأحاديث التي تتناسب مع أعمارهم وتفيدهم في نفس الوقت.

باختصار يعتبر موضوع الانترنت من الظواهر الأساسية التي تذخر بها مجتمعاتنا في العصر الحديث، ونحن لا ننظر إلى هذه التقنية نظرة سلبية بالمطلق، بل نؤمن بضرورة التعامل الإيجابي معها فنستفيد إلى أقصى الحدود منها ونتلافى السلبيات التي لا يمكن التهاون بها، أو التقليل من شأنها. ومن أخطر سلبيات التعامل مع هذه الشبكة هو تشجيعها بشكل مباشر وغير مباشر على العنف والجريمة، وإحساس المتعامل معها من حيث يدري أو لا يدري بالتبعية الثقافية، كون هذه المواقع توجه وتدار من خلال مؤسسات غربية بعيدة عن فكرنا وعقيدتنا وثقافتنا، ومن سلبياتها الاعتماد عليها كمصدر وحيد لتحصيل المعرفة وترك المصادر الأخرى التي يمكن الحصول عليها من خلال المطالعة واللجوء إلى أهل الاختصاص والعلم، ولما كان موضوع المواقع الإباحية هو من أخطر المشاكل التي يواجهها شباب اليوم فلا بد من الحذر من خطر الإدمان عليها مع ما تؤثر به عليهم في صحتهم النفسية والجسدية، وتؤثر على إنتاجيتهم وتجعلهم شباباً لا جدوى منهم، وإن الإدمان على التعاطي مع الانترنت يؤدي إلى الاغتراب والعزلة والتشكيك العقائدي والتردي السلوكي.

أما حكم التحادث عبر الانترنت فهو لا مانع منه بين الرجل والرجل، والمرأة والمرأة، أما الحديث بين الرجل والمرأة فإن كان بأمور دينية، أو فكرية أو عقائدية فلا مانع منه، أما إذا كان حديثاً عادياً فهو وإن كان لا مانع منه ولكننا ننصح بالابتعاد عنه كونه قد يكون مصداقاً للخلوة المحرمة بالمرأة الأجنبية، أما إذا كان الحديث غزلياً سواء أكان فاحشاً، أم عادياً فهو غير جائز من الناحية الشرعية، ولا تقبل دعوى من يقول بأنه قادر على عدم الوقوع في الحرام ذلك أنه من حام حول الحمى أوشك أن يقع فيها. أما موضوع التعارف عبر الانترنت من أجل الزواج فهو وإن لم يكن محرماً ما لم يكن مضمونه محرماً ولكننا مع ذلك نحن لا ننصح به لاعتبارين. أولاً لعدم نجاح هكذا زيجات في الغالب، وثانياً لخوف تجاوز الحد في الكلام إلى ما لا يجوز ما يؤدي إلى الوقوع في الحرام. ووسائل العلاج كثيرة منها ضرورة إشراف الأهل والدولة وأولياء الأمور على تعامل من هم تحت رعايتهم مع الانترنت، وتدريبهم على استشعار الرقابة الإلهية الدائمة وتحصينهم بثقافة قوية نابعة من عقيدة صحيحة، وأن تقوم الدولة بتطوير البرامج الإعلامية بما يتلاءم مع طموح الشباب، ويجيب عن استفساراتهم، وقيام الجمعيات الثقافية بتنظيم المنتديات الحوارية التي تحصن الشباب، وتنمى أفكارهم وتوجههم بالاتجاه الصحيح وكذلك توجيه الشباب باتجاه قضايا أساسية بدلاً من إلهائهم بقضايا هامشية، وحذراً من الوقوع في حبائل المواقع الجنسية الإباحية، ولا بد من توجيههم نحو تثقيفهم بثقافة جنسية موضوعية منطلقة من الحكم الشرعي، ولتحصينهم أكثر فلا بد من تسهيل أمر زواجهم وبسن مبكر ما يحصنهم من الوقوع بالحرام. ولا بد من قيام المؤسسات التربوية بدورها في تأهيل الشباب وتنوير الدرب أمامهم، وتنظيم لقاءات ترفيهية للشباب كي لا يعانوا من الجفاف الذي يكون غالباً مصاحباً للقضايا الفكرية الجادة. وهنا لا بد من التحذير من خطر هذه التقنية على الأطفال وضرورة الحذر في تعاملهم معها.

٧

العلاقات المفتوحة بين الجنسين

نظرة الإسلام للعلاقات بشكل عام:

موضوع العلاقات المفتوحة بين الجنسين، يعتبر من أهم المواضيع التي تناقش على نطاق واسع بين الباحثين في مجال العلاقات الاجتماعية، ومدى تأثيرها على انتظام العقد الاجتماعي، وتكون الأسرة وانتشار الفاحشة أو التخفيف منها. ويكاد يكون هذا العنوان عنواناً مشتركاً لكثير من المشاكل التي تعصف في مجتمعنا خاصة في مجال العلاقات الزوجية، وقبل الخوض في هذا الموضوع سنتناول موضوع العلاقات بين أفراد المجتمع بشكل عام ونظرة الإسلام إليها.

في موضوع العلاقات هناك فهم خاطئ من قبل البعض للنظرة الإسلامية إلى العلاقة بين الرجل والمرأة، إذ يعتبرون أن الإسلام ليس ديناً اجتماعياً، لأنه يضع حدوداً للعلاقات بين الجنسين. والحقيقة إن هذه النظرة ليست فقط خاطئة، بل هي اتهام بلا أي دليل ومن دون فهم للواقع الإسلامي بل إنها افتراء واضح.

وإذا أردت أن أعرض بالتفصيل للعناوين المتعلقة بالعلاقات الاجتماعية في الإسلام، فإن هذا الفصل فضلاً عن هذا الكتاب لن يكفي

لعرضها، فهي كثيرة بحيث يمكن أن تُصَنف بمجلدات كثيرة لا في كتاب واحد، وقد لا ترى مثلها في أي معتقد أو في أي دين آخر.

إن الإسلام أكد على تعميق الأواصر الاجتماعية، ابتداءً من مسألة بر الوالدين التي جعلها الله ﷻ الطاعة الثانية بعد توحيده، وجعل العقوق الذنب الثاني بعد الشرك به ﷻ، فقد قال الله ﷻ:

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[1]. إلى مسألة صلة الرحم التي فرضها الله ﷻ واعتبر أن من يَصِل رحمه يَصِله الله برحمته يوم القيامة، ومن يقطع رحمه يقطع الله رحمته عنه يوم القيامة. فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام قوله:

«صِلَة الأرحام تُزكي الأعمال، وتنمي الأموال، وتدفع البلوى، وتُيَسِر الحساب، وتنسئ في الأجل»[2].

إلى العلاقة بالجار التي وصلت إلى حد أن يقول الرسول (ﷺ): «ما زال جبرائيل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه يورث بشيء»[3].

إلى إيواء الأيتام، والتعامل بالرحمة مع الإنسان الضعيف بغض النظر عن دينه وعن معتقده، إذ إن الإسلام يحث على معاونة الضعيف وإدراك اللهيف فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«أربع من كن فيه بنى الله له بيتاً في الجنة: من آوى اليتيم، ورحم الضعيف، وأشفق على والديه ورفق بمملوكه»[4].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

(٢) الكافي الجزء ٢ الصفحة ١٥٠.

(٣) مستدرك الوسائل الجزء ٨ الصفحة ٤٢٢.

(٤) ثواب الأعمال الجزء ١ الصفحة ١٦١.

باختصار ودون اضطرار إلى التوسع، فإن الإسلام دين فيه من الأحكام والتوجيهات المتعلقة بالعلاقات الاجتماعية ما لا يوجد في أي معتقد آخر. فقد حدد الإسلام أطر العلاقات الاجتماعية في المجتمع بكامل أطيافه وكل تلاوينه، من دون فرق بين سيد وأمير أو عبد وفقير، حتى وصل إلى موضوع العلاقة بين الصغير والكبير، والرحمة بالفقراء والمساكين كما ورد في خطبة الرسول ﷺ في استقبال شهر رمضان المبارك:

«.... وتصدقوا على فقرائكم ومساكينكم، ووقروا كباركم، وارحموا صغاركم، وصلوا أرحامكم، واحفظوا ألسنتكم .....»[(١)].

إلى موضوع الإنسان الذي ينقطع به السبيل حتى جعل الله له سهماً من الزكاة، أيُ إنسانٍ قد يكون غنياً في دياره وقد لا يكون مسلماً وينقطع به السبيل في دار أخرى، يفرض الله على المسلمين أن يدفعوا له من مال زكاتهم كي يعاونوه على هذه المحنة التي ألمت به، فيستطيع تدبير شؤونه حتى يعود إلى بلده. فقد ورد في القرآن الكريم في مورد تحديد موارد صرف الزكاة هذا المعنى حيث قال الله ﷻ:

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[(٢)].

ومن خلال هذه الآية يظهر مدى اهتمام الإسلام بتمتين أواصر العلاقات الاجتماعية، من خلال الحث على أن يقوم الأغنياء بمساعدة

---

(١) وسائل الشيعة الجزء ٧ الصفحة ٢٢٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

الفقراء والمساكين واليتامى، بحيث أن الله ﷻ أعتبر أن البر لا يكون براً حقيقياً إلا إذا قام المؤمن بالانتباه إلى الضعفاء في مجتمعهم بكافة أنواعهم.

وإنك لو استعرضت الأحكام الشرعية لوجدت أنه لا يوجد حُكمٌ شرعيٌ إلا وفيه عنصرٌ اجتماعيٌ مهمٌ في العلاقات بين أفراد المجتمع كائناً من كانت هذه الأفراد.

نظرة الإسلام للعلاقات بين الجنسين:

للإسلام نظرة خاصة في موضوع العلاقة بين الجنسين، فعندما نتحدث عن العلاقة بين الرجل والمرأة، بما هما ذكر وأنثى، فإن هناك عناوين وضوابط فرضها الله ﷻ كي لا تؤدي هذه العلاقة إلى ما لا تحمد عقباه، إذ إنه مما لا شك فيه إن الله ﷻ وضع في الإنسان الغريزة الجنسية لأجل مصلحة كبرى وحكمة عظمى هي بقاء النوع الإنساني. لأن هذه الغريزة تساعد على تعاون الجنسين بما أولاهما الله تعالى من وظائف بيولوجية في الإنجاب والتوليد، بشكل يكون النسل صادراً عن هذا التعاون المشترك بينهما. ولولا هذه الغريزة الأصيلة لباد النوع الإنساني وانقرضت البشرية.

وقد اتفقت كلمة علماء النفس على إن الغرائز لا عقل لها، فهي عبارة عن دوافع نفسية صرفة وحاجات مفتوحة، تحث الفرد على إشباعها حثاً مستمراً، مع غض النظر عن طريق الإشباع وأسلوبه. فالجوع يتطلب الشبع والعطش يحتاج إلى الري، من دون أن يقترح على صاحبه مصدراً معيناً للطعام وللشراب، وإنما يطلب منه سدّ الحاجة بأي طريق كان.

ومن جملة هذه الغرائز التي تتطلب الإشباع، ولعلها أقواها تأثيراً وأكثرها اندفاعاً، الغريزة الجنسية، الغريزة التي تصاحب الفرد من كلا

الجنسين فترة طويلة من حياته. ولا يمكن للفرد تناسيها ولا غض النظر عن إشباع متطلباتها. بل إن إهمالها قد يؤدي إلى أنواع من الأسقام النفسية والعقلية والجسمية مما لا يحمد عقباه.

من ذلك يظهر بكل وضوح، النتيجة الطبيعية المنطقية التي تترتب على إباحة الاختلاط بين الجنسين على سائر المستويات وفي كل زمان ومكان، وما ينتجه من فساد وانحراف. وخير دليل على ذلك هو تلك الانحرافات السلوكية التي تعج فيها مجتمعاتنا نتيجة الاختلاط المفتوح بين الجنسين من دون ضوابط شرعية وأخلاقية.

فلو إننا لم نكن نفهم معاني الفضيلة والرذيلة والعدل والظلم والنظام والفوضى، ولم تكن هذه المفاهيم مرتكزة في عقولنا وأذواقنا لهان الأمر، ولأصبح الاتصال بين جنسي البشر كالاتصال بين أي جنسين من ذوات الأرواح، لا يحده حد ولا يقوم أمامه قانون. وقد أجمع أهل العلم خاصة الفقهاء والمشتغلين بالشأن الاجتماعي العام وبمقتضى ما يدركونه من قواعد العدل والنظام، على لزوم الحد من اندفاع الغريزة والوقوف أمام تيارها الجارف، بشكل يضمن معه استتباب النظام وسيادة العدل والرفاه في ربوع المجتمع الإنساني.

فالإسلام أعتبر أن الحاجة إلى الجنس الآخر واقع إنساني لا يمكن تحت أي ظرف من الظروف تجاهله، لكن يبقى السؤال هو كيف يمكن التعامل مع هذا الواقع بطريقة لا تتجاهل هذه الحاجة وفي نفس الوقت تحافظ على الالتزام بالضوابط الاجتماعية والأخلاقية التي فرضها الشرع الحنيف؟

ومن ضمن هذه التشريعات وضع الإسلام ضوابط للعلاقة بين الرجل والمرأة، وإذا أردنا أن نُعطي قاعدة كلية تحدد بشكل شبه دقيق نظرة الإسلام إلى هذا الموضوع نقول:

«إن الإسلام أراد من العلاقة بين الجنسين أن تكون منحصرة في الإطار الإنساني، ولا تتعدى ذلك إلى الإطار الحيواني، والمقصود من ذلك أن تعامل المرأة في المجتمع على أساس أنها إنسان، ويعامل الرجل في المجتمع على أساس أنه إنسان، وأن لا تكون العلاقة بين الرجل والمرأة علاقة ذكر بأنثى، فعلاقة الذكر بالأنثى محصورة في إطار مقدس أسمه الدائرة الزوجية، أما خارج إطار الأسرة، وخارج إطار العلاقة الزوجية المباحة، فلا يمكن أن تُفْتَح العلاقة إلى المدى الذي يصل فيه إلى إباحة كل شيء من دون ضوابط تحت حجة الحرية الشخصية».

فقد منع الإسلام بشكل قاطع وكامل أي نحو من أنحاء الاتصال الجنسي غير المشروع، مَنَعَهُ بكل مراتبه وأشكاله، ابتداء من تبادل النظر وانتهاء بالاتصال المباشر. فقد ورد عن الإمامين أبو جعفر الباقر وأبو عبد الله الصادق عليهما السلام:

«ما من أحد إلا وهو يصيب حظاً من الزنا. فزنا العينين النظر، وزنا الفم القبلة، وزنا اليدين المس صدق الفرج ذلك أم كذب»[1].

فنعرف من ذلك إن لكل من الحواس نحواً من المتعة الجنسية، واستعمالها في الطريق غير المشروع مرحلة وشكل من الزنا. ولا يستثنى من هذا المنع العام إلا عدة موارد:

١ ـ الجنس الآخر الذي ارتبط معه الفرد برباط شرعي مقدس، هو رباط الزوجية، أو أي نحو محلل في الشرع. وهو ما ذكره الله تعالى في كتابه الكريم إذ قال:

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ

---

(١) الكافي الجزء ٥ الصفحة ٥٥٩.

أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧﴾[1].

وهذا هو الطريق الشرعي الوحيد في الإسلام، لإشباع الغريزة وسد حاجاتها، والاتصال على هذا المستوى المقدس جائز جوازاً مطلقاً.

٢ ـ الأقارب الذين يسمون بالمحارم في الاصطلاح الفقهي، فيجوز للفرد الارتباط بأفرادهم اجتماعياً، وان كانوا من الجنس الآخر. وهم الذين نص عليهم في القران الكريم في قوله تعالى:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا دَخَلْتُم﴾[2].

وفي هذا المجال سمح الشرع الإسلامي بالتحادث والعلاقة مع الأرحام، ولكن ضمن ضوابط الاحتفاظ بالآداب العامة، والأحكام الشرعية، وان يكون هناك احتشام باللباس لا لشيء إلا للتقليل من موارد التدخل الشيطاني، إذ إنه يسعى للتدخل حتى في مثل هذه الموارد التي يصعب عليه النجاح فيها إلا بصعوبة بالغة.

٣ ـ المورد الثالث هو العلاقة بين الرجل والمرأة خارج الوضعين السابقين، فإنه لا مانع من الناحية الشرعية من العلاقة مع المرأة الملتزمة بالآداب الإسلامية وبالستر والحجاب، وغض البصر عن الحرام، والتي

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ٥ ـ ٦ ـ ٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ٢٣.

تقتصر في أعمالها وحواسها على الحلال. فإنه يجوز والحالة هذه إقامة علاقة عمل إسلامي أو تجاري أو دراسي. فالله لم يحرم علي أن أعاون المرأة الضعيفة وأساعدها بما هي إنسانة. فقد ورد في وصية أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال:

«الله الله في النساء وفيما ملكت أيمانكم، فإن آخر ما تكلم به نبيكم أن قال: أوصيكم بالضعيفين النساء وما ملكت أيمانكم»[١].

يعني أوصى الله عز وجل بالمرأة، وأوصى بأن يهتم بها في المجتمع، وأوصى بأن تقنن لها التشريعات التي تحفظ لها كيانها وتعينها على مواجهة الذئاب البشرية إذا صح التعبير، والتشريعات الإسلامية هي تشريعات تحافظ على المرأة وتعطي لها اهتماماً خاصاً. وقد لا تجد في تشريعات أخرى هذا الاهتمام بالمرأة كما تجده في الإسلام.

وفي نفس الوقت لم يحرم الإسلام أن تعاون المرأة القوية الرجل الضعيف، وبين هذا وذاك لم يمنع الإسلام من أن يحصل تعاون عملي في إطار وظيفي أو رسالي بين الرجل والمرأة على قاعدة أنهما إنسانان لا ذكر وأنثى.

في المجتمعات الغربية قد يصل الأمر إلى حد أن يفتح الإنسان علاقة مع امرأة تصل إلى أن يُمارس معها ما يمارس الرجل مع زوجته، ولا يعتبرون ذلك عيباً، أو أنه يمكن أن يُشكل خطراً ما على المجتمع. هذا الانفتاح إلى هذا الحد رفضه الإسلام، والهدف من وراء ذلك هو حماية المجتمع من سلبيات هذا الأمر، فالإسلام أراد أن تكون المرأة عندما تخرج من بيتها إلى العمل مثلاً، أرادها أن تُلغى كل الأمور التي تبرز أنوثتها، بل عليها أن تُبرز كل الأمور التي تبرز كفاءتها وعلمها

---

(١) مستدرك الوسائل الجزء ١٤ الصفحة ٢٥٥.

وقُدراتها الفكرية والعملية، فلا يعود الذكر ينظر إليها كأنثى بل ينظر إليها كمثيل له تمتلك كفاءات تفرض عليه أن يحترمها ويتعامل معها على أساسها. وهذا الأمر لو طبق فإن فوائده ستكون عظيمة على المجتمع وذلك من خلال عدة اعتبارات:

أولا: يصبح المجتمع مجتمعاً إنسانياً ويكون التعامل فيه على الأساس الإنساني لا الأساس الشهواني الحيواني.

ثانيا: يصبح المقياس الذي توظف عليه الأنثى في أية وظيفة هو الكفاءة الفكرية والعملية لا الجمال الشكلي، وبالتالي سيكون الموظف المناسب في المكان المناسب، ما يؤثر على الإنتاجية الأفضل والأكبر.

ثالثا: يمنح هذا الاعتبار تكافؤ الفرص بين الإناث بغض النظر عن شكلهن، وهذا ما يوفر عدالة كبيرة في المجتمع.

رابعاً: عندما لا يركز على الشكل فإن الغش الذي يحصل للزبون من خلال تأثير الجمال الأنثوي عليه لن يكون موجوداً، ما يوفر أيضاً سلامة اقتصادية في المجتمع.

إن هذا التوجه يرى أن النظر في المتغيرات الجديدة الناتجة عن التطور التكنولوجي خاصة في مجال الاتصالات، والذي أدى إلى إمكانية التواصل بين الناس بسهولة ويسر في كل مكان وفي أي زمان، يلزم القيمين على أمور الشرع الحنيف أن يتناغموا في أحكامهم مع هذا التطور من خلال رفع الحرج الذي يمكن أن يقع فيه شبابنا، وأن إهمال ذلك يؤدي إلى تنحية الدين عن واقع الناس، وحاجاتهم، ومن ثَم فلا بد من تشجيع قنوات التواصل المفتوحة بين الجنسين في إطار مجتمعي، لئلا يلجأ الشباب خاصة إلى القنوات السرية عبر الإنترنت مثلاً، ولا بد من اغتنام مساحات السعة في الفقه الإسلامي، ليكون في سعة الحلال غنى عن الحرام.

مراعاة الأحكام الشرعية لروح العصر:

كما قلنا سابقاً إن التواصل بين البشر في عصرنا أصبح مفتوحاً ومباحاً أكثر من أي وقت آخر، وهذا ما يفرض على الفقهاء أن يواكبوا في أحكامهم هذا التطور، وذلك من خلال محاولة الموائمة بين القواعد الكلية في الشريعة وبين حاجات الناس وتغيرات واقعهم. يجب الاستفادة إلى الحد الأقصى من الرخص التي رخصنا بها الشارع المقدس، والالتزام بالمفاهيم التي تحتويها النصوص عبر تفسيرها بالشكل الذي تجيب عن تساؤلات الشباب في أيامنا. وهنا فإني لا أدعو إلى التسيب الفقهي أو ترك المسلمات والبديهيات والضروريات لصالح المتشابهات، بل إني أدعو إلى فهم جديد لمصادر التشريع منطلقة من المستجدات التي طرأت نتيجة لتطورات العصر الذي نعيش فيه.

وهذه القضية ليست بسيطة لكي نتعامل معها ببساطة وخفة، بل هي عميقة جداً وتحتاج إلى نظرة معمقة ودقيقة، ومعرفة بالواقع وروح العصر، وفي نفس الوقت تمسك بثوابت الدين، وأن يكون الاستنباط للأحكام الشرعية ينبع من فقه أصيل فيه كل الآليات المتسالم عليها بين علماء الأصول والفقه، وهنا لا بد من التأكيد على أنه لا يمكن لعالم واحد أن يكفي هذا الباب، بل ينبغي أن يُشكل لأجل ذلك مؤتمرات بحثية يتناول فيها الموضوع ثلة من العلماء المحققين، يتباحثون مع المتخصصين في العلوم الاجتماعية والنفسية، بل والدعاة القريبين من الشباب، كل ما له علاقة في هذا الموضوع وتأثيراته الاجتماعية، ثم تكون الكلمة الفصل لأهل التحقيق من العلماء بعد النظر والمداولة.

الحجاب عنصر أمان للمجتمع:

وللوصول إلى المجتمع الذي تكون فيه العلاقة بين الرجل والمرأة خارج إطار الأسرة والأرحام علاقة بين إنسانين، فرض الإسلام الحجاب

على المرأة، فطلب منها أن تخرج إلى المجتمع متحجبة، ومعنى ذلك أنها تقول سلفاً للآخرين:

«إني لا أريد أن أبرز أياً من مفاتني كي لا تعاملوني على أساسها، فأنا أحمل في داخلي عقلاً وفكراً وأطلب منكم أن تعاملوني على أساسه لا على أي أساس آخر، أما موضوعي كأنثى فإني قد ضربت بيني وبينكم حجاباً وهذا الأمر يأتي ضمن نظرية واضحة وقانون واضح».

فليس معنى الحجاب، إلا صيانة الفضيلة والعدل في علاقات الجنسين، وليس معناه جعل سد منيع وهوة سحيقة بينهما. فالمرأة في الإسلام، وفي حدود ما فرضه من آداب، لم تُمنع من تلقي العلم ولا من التجارة ولا من أي أمر اجتماعي آخر، مفيد للمجتمع الإسلامي.

في هذا المجال يطرح البعض فكرة أنه في القديم كان الستر أمراً عاماً، وبالتالي فإن مجرد الكشف لجزء من جسد المرأة في ذلك الوقت كان يُشكل إثارة، أما اليوم فإن كل النساء تخرج شبه عاريات ومتبرجات وبالتالي لا حاجة إلى موضوع الحجاب، بل يكفي أن تكون المرأة تلبس لباساً غير متهتك من دون أن يكون حجاباً كما تطلبون ما دام أن المطلوب من الحجاب أن يمنع التعامل مع المرأة كأنثى. والجواب عن هذا الإشكال هو:

أولاً: إننا عندما نلتزم بالأحكام الشرعية نلتزم بها لأنها تكليف من الله ﷻ، وهو أعلم بما فيه مصلحة المجتمع كونه الخالق الذي يعرف ما خلق وما أودع في مخلوقه من غرائز ومن عقل، ولذلك فإنه سبحانه وتعالى عندما أمر المرأة بالحجاب إنما أمرها بذلك للحفاظ عليها وصيانتها من الوقوع في الحرام أولاً، أو أن تقع فريسة في براثن من لا يخافون الله سبحانه وتعالى ممن أعمت قلوبهم الدنيا وانقادوا وراء غرائزهم، وبالتالي الحفاظ على المجتمع وقد ورد ذلك في قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1].

ومن المعروف أن الأحكام التي جاء بها الإسلام هي أحكام نهائية، ونحن نلتزم بها تسليماً بأمر الله تعالى، وهذا التشريع ليس لفترة من الفترات، ولو كان كذلك لوجب أن يكون هناك ديانة أخرى غير الإسلام ستظهر لاحقا، وللزم أن يأتي نبي آخر، وحيث أن الله ﷻ قد أرسل محمداً ﷺ بالرسالة الخالدة، فهذا يعني أن هذه التكاليف وهذه الأحكام هي نهائية وثابتة.

ثانياً: إن الأمور الموجودة في المجتمع على مستوى هذه المسائل هي أيضاً أمور ثابتة، والذي تغير هي الوسائل والمقدمات، أما المضمون فما زال هو نفسه، فالأخلاق لم تتغير فالشر ما زال شراً والخير ما زال خيراً. والحق ما زال حقاً والباطل ما زال باطلاً. الأمور المتعلقة بالأخلاقيات وكذلك الأمور المتعلقة بالغرائز لا تتغير بمقياس الأزمنة، الذي يتغير بمقياس الأزمنة هي الوسائل في التعبير، فمثلاً قابيل قتل أخيه هابيل وهو قد يكون قتله بحجر، أما الآن فإنهم يقتلون برشاش وبأسلحة كيميائية، فالذي تغير هو الوسائل، أما القتل فما زال هو القتل لم يتغير فيه شيء.

في علاقتنا الاجتماعية في الماضي، وبالخصوص فيما يتعلق بموضوع العلاقة بين الرجل والمرأة، كان الرجل يُشبب بالمرأة من خلال الشعر، وكان ذلك يعتبر جريمة، أما الآن فإن من الممكن أن تخرج المرأة من دون أن يتعرض لها أحد، ولكن التشبيب أصبح يحصل بوسائل حديثة، فهو يتم من خلال التلفزيون والسينما، فالذي تطور هو وسائل التعبير ووسائل الإظهار أما المضامين فما زالت هي نفسها، أما

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٩.

القول أن الناس في هذا العصر لم تعد تتأثر بثياب محتشمة وإن كانت غير محجبة، فهذا يعود أولاً لوجود الأهتك ستراً، وثانياً إن الفساد الذي يعم المجتمع الآن والتهتك الكبير ناتجٌ عن ترك الناس للحجاب بشكل تدريجي، فكانت أهداف الجمعيات التي كانت في أغلبها أحزاباً وجمعيات ماسونية، هي ضرب الحجاب كوسيلة أساسية من وسائل تحصين المجتمع، بحجة تحرير المرأة وتقدمها، فإذا ما استطاعوا ضرب الحجاب توجهوا نحو أمور أخرى حتى وصلوا بمجتمعاتنا إلى ما وصلت إليه.

وبعد كل هذا فللوصول إلى إعادة المجتمع إلى ما كان عليه من أجواء إسلامية محتشمة ومحترمة لا بد من العودة إلى التزام الأحكام الشرعية كما أمرنا الله بها.

الإسلام يؤكد على ضرورة العلاقات الاجتماعية كما أوردنا في بداية البحث، وعلى أن تكون هذه العلاقات بين كل الناس بغض النظر عن جنسهم، ولكنه أكد على ضرورة أن تكون هذه العلاقات محصورة ضمن الضوابط التي رسمها الشرع، كي لا تنحرف عن توجهها وعن هدفها الأساسي الذي رسمه الله لنا.

الإسلام يقول للمرأة وللرجل أن لا مانع من أن تعملوا في المجتمع من أجل خير هذا المجتمع، لكن عندما تخرجون إلى المجتمع من أجل شيء آخر لا علاقة له بتقدم وخير المجتمع كأن يكون الهدف هو بناء علاقة من نوع آخر، فإن الأمور ستتجه نحو ما يضر المجتمع ونحو التفكك والانحلال، وليس هذا هو الهدف الذي يريده الإسلام من المرأة والرجل.

وفي نفس الوقت الذي أمر الله فيه بالحجاب، أمر فيه أيضاً بأن يغض المؤمنون من أبصارهم، سواء الرجال أم النساء فقد قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾[1].

وهذا أيضاً هو تدخل إلهي لصالح صيانة المجتمع من الاتجاه نحو الانحراف.

أنواع العلاقة التي تقام بين الجنسين:

يمكن تصنيف العلاقة بين الجنسين من حيث غاياتها وكما يُنظر إليها من الخارج إلى نوعين من العلاقة هي على الشكل التالي:

أولاً: العلاقة غير البريئة:

وهى العلاقة التي تتصف بعدم وجود موانع وعوائق لرغبات كلا الطرفين، وقد تكون بدايتها بريئة كالصداقة والزمالة، وتنتهي بهما إلى الفاحشة أو في أفضل الحالات إلى زواج فاشل. فهذه العلاقة لا خلاف بين أهل العقل، فضلاً عن أهل الدين على الإجماع على حرمتها ودناءة أهلها. وهذه لن نتعرض لها بأي من التفصيل لوضوحها ووضوح حرمتها شرعاً وعقلاً.

ولكن ما سنلمح إليه وبشكل ملخص هو الأسباب التي تؤدي إلى

---

(١) سورة النور، الآيتان: ٣٠ ـ ٣١.

سعي الشباب إلى هكذا نوع من العلاقات، وقد اطلعت على أكثر من دراسة اجتماعية لمراكز متخصصة حول هذا الموضوع، والتي توصلت في مجملها إلى أن أسباب تفشي هكذا نوع من العلاقات بين الشباب والشابات تتلخص فيما يلي:

١ ـ أهم هذه الأسباب هو قلة الوازع الديني، حيث توصلت هذه الدراسات إلى إنه كلما كان المجتمع أو الفرد متديناً أكثر كلما كان الوقوع في هذا النوع من العلاقات أقل والعكس صحيح.

٢ ـ الفراغ النفسي والروحي الذي يقع فيه شبابنا في هذه الأيام، والناتج عن تفشي الموبقات الأخلاقية، وعدم قيام مؤسسات التوجيه الأساسية سواء تلك المرتبطة بالدولة، أو تلك المرتبط بالمجتمع المدني بواجبها في التوعية، وملئ الفراغ الذي يواجهه شبابنا، ما يدفعه للسعي نحو ملئه بالعبث والعلاقات غير الأخلاقية مع الجنس الآخر.

٣ ـ عدم قيام الأهل بواجبهم في الرقابة، وترك أولادهم يديرون شؤونهم بأنفسهم، ما يؤدي مع تعدد وسائل الاتصال إلى فتح علاقات مع الجنس الآخر من دون أية رقابة، ومع قلة الوازع الديني يقع المحذور.

٤ ـ كثرة المثيرات العاطفية وانتشارها عبر وسائل الإعلام المختلفة، بما تبثه من أفلام وقصص وإشهارات توحي لكل الشباب بان هكذا نوع من العلاقات أمر جيد، بل هو تعبير عن رجوليته وعن تمدنه مما يدفع الفتاة للبحث عن حبيب، والشاب للبحث عن علاقات غير بريئة، أو تكون في الأساس بلا هدف فتنتهي بعلاقة غير بريئة.

٥ ـ وجود أوقات الفراغ ورفقاء السوء، ما يدفع الشباب للتنافس على القيام بهكذا نوع من العلاقات، والتفاخر بها وبكثرتها، وإذا ما

أضفنا إلى ذلك ضعف حياء المرأة وزوال خجلها فإن المصيبة تصبح متحققة الوقوع.

٦ ـ الإعجاب بالغرب وطريقة حياتهم، والتأثر بها، والسعي لتقليدها ما يؤدي إلى علاقات معيبة، ظناً منهم أن هذا هو دليل تقدم المجتمع وحضارته، في حين إنه سبب لتفسخ المجتمع ودماره وفقدان القيم الأخلاقية فيه.

ثانياً: العلاقة البريئة:

يقول أصحاب هذا الرأي انه يمكن أن تقام علاقة صداقة بريئة بين الرجل والمرأة، وتصل إلى الحميمية بغض النظر عن كون أحدهما أو كلاهما متزوجاً أم أعزباً. ويعتقد هؤلاء أن هذه العلاقة ستبقى في هذا الإطار، ولن يقعا في الحرام أو العلاقة الجنسية المحرمة، بل هي علاقة محبة من نوع آخر، وإذا أحببت أن تعتبرها علاقة أخوة فيمكن لك أن تعتبرها كذلك ألا يقال رب أخ لك لم تلده أمك.

إننا نعتبر أن ما يقوله هؤلاء يعتبر كلاماً مثالياً، والواقع شاهد على عدم حصوله، وإذا كان ممكناً حصول ذلك فلا مانع منه من الناحية الشرعية إلا إنه لا يقع كذلك، فإن الحميمية تؤدي إلى مظنة الوقوع في الحرام في أكثر الحالات، ولا يمكن لك أن تبيح أمراً لمجرد أن بعض الحالات النادرة يمكن أن ينضبط أعضائها، في حين أن الأكثر يقعون في الحرام.

ولحل هذا الإشكال، نوضح أساس هذه العلاقة بكل صراحة من زاويتين: الواقعية العملية والشرعية.

١ ـ من الناحية الواقعية العملية:

بالتدقيق في كثيرٍ من هذه العلاقات وجدتُ ومن خلال الممارسة العملية أنها ابتدأت بريئة لتنتهي علاقة جنسية في إطار الزنا، كما وان الذي يشوب هذه العلاقة في أغلب الأحيان هو الكذب والخداع، فكل

من الطرفين يحاول أن يوحي للآخر أن لا غاية له من وراء ذلك سوى الصداقة البريئة ومحاولة مساعدة الطرف الآخر في حل مشاكله، واستشارته في المشاكل التي يقع فيها، هو ولأجل إكمال الخدعة والوقيعة يقوم الطرف المخادع بالإيحاء للطرف الآخر أنه بعيد كل البعد عن الحديث الجنسي، فيتحدث معه في مواضيع تبدو هامة، كأن تكون قضية سياسية أو نفسية أو دينية، ويتنافس كلا الطرفين بإبداء رأيه في هذه القضية ووجهة نظره، لا لشيء إلا ليُظهر أنه على دراية وإلمام بشتى العلوم والثقافات، وإنه لا يهدف إلى إقامة علاقة جنسية بل علاقة فكرية ودينية وفقهية وثقافية وسياسية. وأن كل ما يسعى إليه كل من الطرفين من وراء هذه العلاقة هو أن يفرغ همّه للطرف الآخر. وهذا حاصل في هذه العلاقة، فليس مهما أن تكون الفتاة جميلة المنظر، وإنما هي ـ كفتاة ـ تحمل مراده وتحقق غايته من تسلية النفس وانشراح الصدر أثناء المجالسة، سواء مباشرة أو هاتفياً.

إن ما نريد أن نقوله في الجواب عن هذه النقطة هو أنه إذا كانت هذه العَلاقة لا تدعو إلى الفاحشة، فهذا ليس دليلاً على صحتها وشرعيتها. فمن المعروف والمشهور اليوم أن العلاقة الجنسية في إطار الفاحشة هو أنها تبدأ بنظرة ثم ابتسامة فموعد فلقاء فغرام فحرام.

ويجب أن ننتبه هنا إلى نقطة مهمة وهي أن العلاقات بين شباب لا يتحكمون بعواطفهم تكون محفوفة بالمخاطر، فعندما تثار غرائزهم يفقدون القدرة على التمييز، فإذا بهم يرون الرديء جيداً والتافه عاقلاً، وبالتالي فإننا لا نستطيع ترك العلاقة مفتوحة إلى الحد الذي يمكن أن يوقع الإنسان بالحكم الخاطئ على من يعيش معه، وقد يصل إلى الزواج وبالتالي سيكون هذا الزواج فاشلاً ومحكوماً بالطلاق في نهايته.

أن هذه العلاقات هي من تزيين الشيطان، إذ يزين كلُّ طرف للآخر ما ليس في مصلحته، فإذا رأى أحدهما من الآخر عيباً أو نقصاً يستحسنه

ويقبله. والدليل على ذلك أن صاحب هذه العلاقة لا يقيمها مع أخته أو زوجته، وقد تكون أخته أكثر اتزاناً وتعقلاً من التي يبني معها هذه العلاقة، بل إنه لا يقبل من أخته ما يقبله منها. وكذلك الفتاة صاحبة هذه العلاقة قد يكون لها أخٌ شقيق هو أفضل من هذا الذي تبني معه هذه العلاقة، ولكن مع هذا فهو لا يغنيها عن هذا الشاب أو الرجل. فهكذا يتضح جلياً مدى تزيين الشيطان، وأن هدف هذه العلاقة في النهاية هو الجنس، إذ لو كان الهدف مجرد التشاور والتناصح فلماذا لا تكون مع الأخت، ولماذا تبحث عن علاقة مع الجنس الآخر فلا تكون علاقة التناصح والتشاور بينكَ وبين صديق تختاره وترتاح له ولا يكون هناك مظنة انحراف العلاقة نحو الزنا والفاحشة.

٢ ـ من ناحية الشرع والدين:

من الناحية الشرعية لا إشكال أن كل التوجيهات الواردة في القرآن الكريم والسنة الشريفة كمصدرين أساسيين من مصادر التشريع الإسلامي، حثت على وضع فاصل بين الرجل والمرأة لا بمعنى القطيعة الكاملة ولكن أيضاً لا بمعنى الانفتاح غير المنضبط، وقد تدخل في كل شيء حتى في كيفية نظر كل من الجنسين إلى الجنس الآخر فدعا الله سبحانه وتعالى كما في الآية الكريمة السابقة إلى أن يغض المؤمنون من أبصارهم ويحفظوا فروجهم وهذا أمر من الله يقتضى الوجوب للمؤمنين والمؤمنات بغض البصر، وهنا ليس لحسن النية أو سوءها محل، وإنما تمّ استثناء نظرة الفجأة فقط أو النظرة الأولى، فقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ لا تتبع النظرة النظرة فليس لك إلا أول نظرة»[١].

---

(١) مسند الإمام الرضا عليه السلام الجزء ٢ الصفحة ٢٨٢.

فليس لك أن تتعمد النظر إلى المرأة الأجنبية عليك، فإذا وقع نظرك عليها صدفة فإن عليك أن لا تدقق فيها وتمعن النظر فتعقب على النظرة الأولى بنظرة ثانية.

وحتى في موقف كل من الرجل والمرأة بجانب بعضهما البعض، فإن الإسلام وضع فاصلاً بينهما بحيث لا يتخالطوا في مواقفهم فمنعهم حتى في الصلاة التي يكون فيها الإنسان منقطعاً إلى ربه أن يتقاربا في المجلس. فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير الصفوف النساء آخرها وشرها أولها»[١].

فوصف المتأخرات بالخير لبعدهن عن رؤية الرجال، وتعلق القلب بهم عند رؤية حركاتهم وسماع كلامهم، وهذا في المسجد الذي هو مكان العبادة وبحضرة النبي. فما بال من تتجرأ وتقول هذا صديقي في القسم أو الثانوية أو العمل؟ و تقول إنها علاقة بريئة أو إن نيتها سليمة؟ هل إن نيتك أسلم من نية من كانت من صحابة رسول الله ﷺ؟ إن جواب ذلك واضح، إن الإسلام حث على خلق فاصل بين الرجل والمرأة لتبقى العلاقة ضمن الإطار الإنساني وليس ضمن الإطار ألذكوري والأنثوي.

وعندما تنظر إلى الأحكام الشرعية المتعلقة بعلاقة الرجال بالنساء فترى أن الإسلام حرم مصافحة الأجنبية وذلك من خلال قول رسول الله ﷺ:

«لأن يُطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد، خير من أن يمسّ امرأة لا تحل له»[٢].

---

(١) بحار الأنوار الجزء ٨٥ الصفحة ٢٣.

(٢) كنز العمال الجزء ٥ الصفحة ٣٢٨.

إن منع المصافحة التي يُنظر إليها في عصرنا الحاضر على أنها أمر طبيعي، بل يستنكر على من يمتنع عنها وينظرون إليه على أنه مريض نفسي لأنه يعتقد أن المصافحة أمر حرام شرعاً، وأن الامتناع عنها يحصن المجتمع عن وقوع أفراده بالحرام والزنا في حين إنهم يقبّلون بعضهم بعضاً ويعتبرون إن ذلك أمراً طبيعياً، وهو من أللياقات الاجتماعية في عصرنا ويُعاب على من لا يقوم بذلك.

يتضح من هذا كله أنه لا توجد علاقة بريئة، أو صداقة عادية بين الرجل والمرأة أو الفتى والفتاة، سواء في الثانوية أو الجامعة أو العمل أو أي مكان. بل لا بد في هذه العلاقات أن تكون عابرة محصورة في مورد الضرورة ولا تتعداها إلى الغوص في التفاصيل، والتعمق في الأحاديث والميوعة والعبث والمزاح، وكل مورد يؤدي إلى فتح كوة يستطيع الشيطان الدخول من خلالها.

العلاقة مع الأرحام:

إن صلة الرحم من الأمور الواجبة، وقطع الرحم من الكبائر، وقد ورد النهي عن قطع ما أمر الله به أن يوصل بقوله ﷻ:

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[1].

ولكن صلة الرحم يجب أن تكون ضمن ضوابط شرعية، فليس كل الأرحام تستطيع مثلاً أن تكشف المرأة عن رأسها أمامهم، وهناك أعراف خاطئة في المجتمع، وهي أن المرأة تستطيع التعامل مع ابن عمها تماماً كما تتعامل مع أخيها، وهذا غير صحيح من الناحية الشرعي، فالذين سُمح للمرأة أن لا تتحجب أمامهم واردون ضمن الآية الكريمة من سورة النور الآية ٣١.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧.

فمثلاً ابنة خالي هي من الأرحام وممكن أن أزورها وأن أساعدها كما أساعد أي أخت مؤمنة أخرى، ولكن هناك ضوابط لهذه العلاقة فلا أقدر أن أدخل إلى بيتها وزوجها غير موجود، أو لا يوجد أحد في البيت كأولادها.

في مثل هذا المجال يقولون ما هذا التزمت؟ فهل يعقل أن يغويه الشيطان؟ إن ابنة خاله كأخته. هنا أنا أجزم أن الإنسان المؤمن الطاهر القلب قد لا يُداخله الشيطان بهذه العلاقة، لكن الضابط الذي وضعه الشرع هو ضابط عام بعيداً عن الحالات الشخصية. هذا من جهة ومن جهة أخرى إن هذا التشريع وُضِع من أجل أن لا يوسوس الشيطان للإنسان بشكل يستطيع أن يتغلب عليه في لحظة ضعف. ولنُعط مثالاً عملياً على ذلك، فلو أن بعض الأزواج لاحظ أن ابن خال زوجته غالباً ما يزورها، وبعض المرات يجدهم لوحدهم، فإن ذلك سيكون سبباً لأن يُداخله الشك، وسبيلاً للشيطان ليتغلغل في نفسه، وبهذه الحالة عندما يداخله الشيطان فإنه سيبدأ بالتركيز على الظواهر ويجعله ينظر إليها نظرة المشكك المتهم، ونتيجة لهذا الأمر يبدأ بتفسير أمور كان من الممكن أن تكون نظرته إليها طبيعية لولا هذا الأمر، فإذا به يبدأ بمطالبة زوجته بأن تُبدي لأبن خالتها النفور والعبوس، بل أن لا تُجالسه حتى لو كان هو موجوداً في البيت. ويكون رد فعل الزوجة الرفض معتبرة أن هذا الأمر يُشكل إهانة لها واتهام لها بشرفها، ولعل هذا التأزم يصل إلى مرحلة صعبة قد تؤدي إلى الطلاق.

ومن جهة أخرى أي من جهة الزوجة وابن خالتها فإن العلاقة الحميمة، والدخول إلى البيت في خلوة معها مع أجواء حميمة قد يؤدي إلى أن يقعا في الحرام. ذلك أن وجودهما معاً في خلوة يؤدي إلى أن يثار لديهما، أو لدى أحدهما على الأقل الغريزة الجنسية، فيقعا في الزنا في الحالة الأولى وبالاغتصاب في الحالة الثانية، وهذا ما حذر منه أمير المؤمنين علي عليه السلام في الحديث الوارد عنه حيث قال:

«لا يخلو بامرأة رجل، فما من رجل خلا بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما»[1].

كثيرة هي التحذيرات من الخلوة بالمرأة، وهذا ليس اتهاماً لأي من الطرفين، وإنما هو تحذير من الشيطان نفسه، الذي يعتبر هذه المناسبة هي من أفضل المناسبات التي تؤدي إلى فوزه على ممانعة الإنسان من الاستماع إليه.

فلذلك فإننا نقول أن بمقدور الرجل أن يزور قريبته ورحمه ولا مانع من ذلك، ولكن على أساس أن يأتي ضمن إطار العائلة في بيت أهلها مثلاً إذا كانت عزباء، وضمن زيارتي لخالتي لا عندما لا يكون أحد في البيت. وفي حضور زوجها أو أولادها إذا ما كانت متزوجة، وفي كلتا الحالتين لا بد من الانتباه إلى سير العلاقة وعدم التمادي فيها خارج إطار العلاقة العادية، فهناك بعض الناس علاقتهم مع أقاربهم تصل إلى مرحلة الحميمية، وذلك لأنهم منذ نشأتهم تعودوا على بعضهم وكبروا معاً يتمازحون ويلعبون وكبر معهم هذا الأمر، وقد يصل الحد في بعض البيوت الغير متدينة إلى التقبيل، ويقول الرجل ابنة خالتي مثل أختي، وتتزوج الفتاة ويرى زوجها هذا المنظر وينطبع في ذهنه هذا الأمر، ويفاتحها فيه بعد مدة قد تطول أو تقصر بحسب قدرة الزوج على التحمل، ومقدار الغيرة التي تشتعل في صدره وتصل الأمور إلى ما لا تحمد عقباه.

هنا لا بد من التأكيد على أن هناك نظرتان للموضوع إحداهما نظرة المجتمع الذي يعتبرها طبيعية على أساس أنه لا يوجد نية خبيثة، بل هناك سؤ تقدير. ونظرة أخرى وهي نظرة الشرع الذي أكد على وجود الضوابط في هذه العلاقات. فإذا أردنا ما فيه مصلحة مجتمعنا فما الذي

(١) مستدرك الوسائل الجزء ١٤ الصفحة ٢٦٥.

يجب أن نعطيه الأولوية؟ نظرة المجتمع أم نظرة الشرع؟ الجواب الطبيعي أنه إذا أردنا أن لا نقع في المحاذير حتى لو لم نكن مؤمنين، لا بد من تقديم نظرة الشرع لأنها صادرة عن خالق البشر الأدرى بما فيه مصلحتهم ومصلحة مجتمعهم، خاصة إذا ما راجعنا حوادث المجتمع ووجدنا أن كل مشاكله تعود إلى الابتعاد عن التعاليم الإلهية.

قد يطرح البعض أن السبب في كل ذلك هو المفاهيم الخاطئة لدى الناس، فلا بد من تغيير مفاهيم مجتمعنا، أي أن نقوم بالتوعية الجماهيرية لتصبح هذه الأمور عادية ولا مشكلة فيها. والجواب إن هذا الأمر غير مرتبط بالمفاهيم أو بالتربية بقدر ما هو مرتبط بطبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة، هذه العلاقة التي لا ترتبط بمفاهيم، بل بالطبيعة الإنسانية المرتبطة أساساً بعالم الغرائز الفطرية التي لا تتغير بمجرد تغيير المفاهيم، بل لا بد من الإقرار بوجودها أولاً ثم وضع الضوابط لها ثانياً.

وهنا نؤكد أن العلاقات التي تحصل بين الأهل لا مانع من أن تكون حميمة، بل إن المطلوب أن تكون كذلك، ولكن هذه الحميمية لا بد من أن تكون ضمن الضوابط، فمثلاً إذا كان هناك قريبة لنا كابنة خال، أو ابنة عم، أو حتى زوجة العم والخال، وحصلت جلسة مشتركة فلا بد أن تكون العلاقة معهم في إطار مضبوط، بشكل لا يدخل المزاح فيها بشكل مفرط خارج عن اللياقات والآداب الاجتماعية فضلاً عن الأحكام الشرعية، لأن ذلك قد يكون مقدمة إلى أن تحصل أموراً أكبر وأخطر، فلو أن العلاقة منذ البداية كانت ملتزمة بالضوابط الشرعية والأخلاقية وبعيدة عن الميوعة، فلن تحصل هكذا أموراً غير طبيعية تؤدي إلى مشاكل.

ومن الأمثلة على هذه المشاكل أن تجمع سهرة ما امرأة مع أقاربها وبوجود زوجها، ونتيجة للإلفة تبدأ بالضحك والمزاح مع قريبها

والتمادي بمد اليدين إلى ما هنالك من أمور مشابهة، وهذا ما يؤدي إلى أن ينزعج الزوج وتحصل المشاكل وتصل الأمور إلى حدها الأقصى.

إن العلاقات ضمن إطار الأهل مطلوبة شرعاً، وصلة الرحم واجبة شرعاً، ولكن صلة الرحم لا بد من أن تكون ضمن الإطار العائلي وبطريقة عائلية محترمة تراعي الأصول واللياقات. تماماً كما يحصل بالعائلات الكريمة، لذلك فإذا خرجنا في نزهة أو إلى سهرة يجب أن ننضبط بالضوابط الشرعية في العلاقات مع الآخرين. ومن صلة الرحم، مساعدتهم مع القدرة، وإعانتهم في أمور حياتهم التي نقدر على مساعدتهم بها، وأن نوجههم في الأمور التي نقدر أن نوجههم فيها، وأن نقبل نصائحهم في الأمور التي ينصحوننا بها، هذه هي حقيقة العلاقات بين الأهل كما أرادها منا الإسلام.

العلاقة مع غير الأرحام:

إن العلاقة بين أحد الجنسين وأرحامه قد يكون لها ما يبررها، أما إذا كانت العلاقة مع الأجنبي وإن كان جاراً، أو صديقاً، أو أخذ أي عنوان من عناوين العلاقات الاجتماعية، كالزميل في العمل، أو الزميل على مقاعد الدراسة، فإن الضوابط في هذه العلاقة حتى على صعيد المجتمع تكون أكبر، إذ لا يُقبل أن يأتي مثلاً زوج المرأة ليجد في البيت صديق زوجته يتحادثان ويتمازحان، إن مجرد رؤيته في بيته وبغيابه كاف لإثارة مشكلة قد تصل عند البعض إلى حد اعتبار أن هناك انتهاك لشرفه.

مع أن الإسلام حبذ على الروابط الإنسانية بين البشر على اختلاف ألوانهم وأشكالهم ودياناتهم وأعراقهم بل وحتى جنسهم. غير أنه من الناحية الشرعية، لا يجوز بالمطلق أن تكون العلاقة بين أحد الزوجين وبين شخص لا تربطه به صلة قربى تصل إلى حدٍ يتجاوز معه أصول العلاقات مع الأجنبي، وما رفضناه من العلاقات المفتوحة مع الأرحام

مع عمق العلاقة فيما بينهم نرفضه هنا بشكل آكد، وكثيراً ما انتهت الحياة الزوجية بين الزوجين نتيجة هذا الانفتاح غير المبرر في العلاقة، وقد ورد في الحديث عن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام أنه قال:

«سبب الفجور الخلوة»(١).

قصة وعبرة:

ولكي يكون الحديث مستنداً إلى وقائع عملية أورد حادثة مرت معي أثناء متابعتي لقضايا الخلافات الزوجية. وهذه الحادثة مفادها أن امرأة كان زوجها يعيش في بلاد الاغتراب جاء إلينا طالباً الطلاق من زوجته التي له منها أكثر من ثلاثة أولاد، ولدى سؤاله عن سبب هذا الطلب ولماذا التسرع؟ أجاب أنه يريد العودة بسرعة إلى عمله الذي تركه والذي يُرتب عليه كل يوم غياب خسائر كبيرة، فهو يريد حسم الموضوع وزوجته امرأة ممتازة وهو الإنسان السيئ.

قلنا له: إن هذا الكلام غير مقبول، فنحن لا نقبل إجراء طلاق امرأة لديها أولاد لمجرد هذا القول. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنك إن كنت مستعجلاً بسبب ما سيترتب عليك من خسائر مادية، فإنك بهذا التسرع قد تُوقِع نفسك بخسائر معنوية أكبر فيما لو كنت ظالماً بحكمك وكانت هذه المرأة مظلومة بما اتهمتها به.

ومن جهة ثالثة إذا كنت مصراً على الطلاق فإنك تستطيع تأجيله إلى وقت آخر تأتي إلينا فيه بعد أن ترتاح من ضغط العمل وتعالج هذه المشكلة بهدوء وروية وموضوعية.

إن كل أموال الدنيا لن تكون ذات قيمة بالنسبة إليك إن اكتشفت أنك كنت مخطئاً وظالماً في قرارك فتروى.

---

(١) غرر الحكم الحديث ٥٥٣٢.

هذا الكلام منا جعل الزوجة تنتفض لتُعَبِر لنا عن أصل المشكلة، بعد أن كانت موافقة على طلب الطلاق من قبل الزوج من أجل أن لا يكونَ هناك فضائح ووجع رأس كما قالت. فقالت: سماحة الشيخ: إن كل الذي حدث هو التالي: إن لدينا صديق عائلة هو بالأصل صديق زوجي، وهو الذي عرّفَني عليه، وصار هذا الصديق يأتي مع زوجته لزيارتنا كلما رجع إلى الوطن من سفره، إذ إن هذا الصديق مسافر ويقيم مع زوجته في الخارج.

وكلما كان زوجي هنا وصادف وجود هذا الصديق وحيداً، أو مع عائلته في الوطن، فإننا نقضي معظم أوقاتنا معاً ضمن علاقة يمكن أن تصفها بأكثر من علاقة أخوية.

وصادف في أحد المرات أن جاء هذا الصديق إلى الوطن في حين إن زوجي العزيز بقي في السفر، فاتصل بي وقال إن زوجتي تسلم عليك وتريد منك مساعدتها في تأمين ثيابٍ لأولادنا فذوقك يعجبها وأنا لا أتقن هذا الموضوع، فقلت له أهلاً وسهلاً بك تفضل وسنذهب معاً لشراء الثياب.

الذي حصل أنه في اليوم التالي جاء هذا الصديق إلى بيتي وبعد أن دخل وأردت أن أقوم بتحضير فنجان قهوة له، وصادف أن أولادي كانوا جميعاً في المدرسة، ودخل هو ورائي إلى المطبخ الذي يطل على شرفة أخ زوجي فرآنا في المطبخ نتحدث ونضحك، وكان الوضع طبيعياً جدا بالنسبة إليّ، أما بالنسبة إلى أخ زوجي فقد كان مصيبة وجريمة كبرى، أنهينا إعداد القهوة ودخلنا إلى الصالون لنشربها، فما كان من أخ زوجي إلا أن جن جنونه فإذا به يقرع الباب بقوة وعنف وصلت إلى حد خلعه، والدخول علينا وللأسف سارع إلى غرفة النوم في حين إننا كنا وبشكل طبيعي نتناول القهوة في الصالون، ثم عندما خرجنا لنرى سبب فعله هذا، إذا به يتعامل معنا بصيغة الاتهام وكأنه رآنا بأم عينه نُمارس

الفاحشة، حاولنا أن نشرح له الأمر غير أن الغضب أعمى قلبه وعقله، ورفض الاستماع إلى أي تبرير أو شرح وقام بطرد صديقنا من البيت، وقفت بوجهه لأقول له أنت أخرج من البيت لأنك دخلت إليه من دون إذن في حين أنه دخل بإذن واحترام، وأنت لا تستطيع طرد أحد من بيتي، فإذا به يجرني وإياه إلى خارج البيت. أمام هذا المنظر ما كان من صديقنا إلا أن بادر للدفاع عني وعن نفسه فضربه وأخرجه من البيت وأغلق الباب فإذا به يستمر بالاتهامات والسباب والشتائم بشكل فضائحي وبصوت عالٍ سمعه كل سكان المبنى، وسارع مباشرة إلى الهاتف واتصل بزوجي ليُخبره أنه ضبطني بالجرم المشهود مع صديقه.

خلال يومين كان زوجي هنا واستقبله أخوه بالمطار، وطوال الطريق يحدثه بالموضوع على طريقته الإتهامية، فإذا بزوجي لا ينزل في بيتي بل ينزل في بيت أخيه ويدعوني إلى هنا طالباً الطلاق، هذه هي القضية فما رأيك مولانا؟

إن كل الظواهر التي تحدثت عنها هذه الزوجة إذا ما تعاملنا معها ببرآة وبنية حسنة فإننا لا نستطيع أن نستعملها لإدانة الأخت، ومن ناحية أخرى إن الإتهام بالفاحشة لمجرد هذه الظواهر هو من باب قذف المحصنات، والشرع يفرض في موضوع الإتهام بالزنا وجود شهود أربعة رأوا العملية الجنسية، وهذا غير متوافر في هذه القضية التي بين أيدينا، وقد ورد في ذلك قول الإمام الصادق عليه السلام:

«لا يُرجم الرجل والمرأة حتى يشهد عليهما أربعة شهداء على الجماع والإيلاج والإدخال كالميل في المكحلة»(١).

هذا من ناحية ولكن من ناحية أخرى إن الزوجة ارتكبت عدة أخطاء أوضحناها لها وهي على الشكل التالي:

---

(١) الكافي الجزء ٧ الصفحة ١٨٤.

١ ـ دعوتها له ليأتي إلى بيتها ولا يوجد أحد في البيت، وكان عليها أن تدعو أخا زوجها أو أي من أخوتها ليكون موجوداً في البيت ساعة وجود هذا الصديق فيه.

٢ ـ كان عليها أن تكتفي بأن تأخذ منه اللائحة المطلوبة للأغراض وتقوم هي بشرائها وإعطائها له من دون أن يحصل هذا اللقاء غير اللائق.

٣ ـ لم يكن من اللائق أن تواجه أخا زوجها بهذا الأسلوب الهجومي، بأن تطرده من بيتها وتصر على وجود ذاك في البيت، وهذا الموقف وإن كان مساعداً في التأكيد على صدقيتها إلا إنه من ناحية الذين يتهمونها يعتبر ذلك نوعاً من الوقاحة المتعجرفة.

بعد إيضاح أخطاء الزوجة التي اعترفت بها أوضحنا للزوج وأخيه إن خطأهم أكبر بكثير، فإن ما ارتكبته الزوجة لا يُبرر أبداً اتهامها بالفاحشة ولو كان الإسلام مطلق اليدين لتعرضا للرجم بسبب هذا القذف مصداقاً لقول الله ﷻ:

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[1].

فلذلك يجب إبقاء هذه المسألة ضمن حدودها الطبيعية، فاستغفر كل من الأخوين الله على ما اقترفاه نتيجة العصبية المفرطة وتم التصالح وانتهت المشكلة.

والسؤال الذي يطرح في هذا المجال هو ما الذي دعا إلى هذه المشكلة؟ أليست حالة التسيب التي تنطلق من العلاقات المفتوحة وغير المبررة؟ والجواب إن كل هذا صحيح ولكن يجب أن لا نتساهل في موضوع الصداقة التي حث عليها الشرع.

---

(١) سورة النور، الآية: ٤.

غير أن الصحيح هو أنه يجب أن تكون العلاقات ضمن ضوابط وحدود شرعية، فلا يجوز أن تخلو المرأة بالرجل بالشكل الذي يؤدي إلى أن تُتهم مهما كانت الأسباب التي تدعو لذلك، وحتى لو كانت تنطلق من نوايا حسنة لا يداخلها ريبة أو شهوة، ويجب أن تكون نوع العلاقة ضمن الأصول فلا يُداخلها مزاح خارج عن الضوابط والأصول. لذلك فنحن نحذر من تأثير العلاقات المفتوحة مع الأجانب بشكل أكبر مما حذرنا منه في مجال الأرحام.

الصداقة والعلاقات المفتوحة:

الصداقة عنوان كبير، وهي من أرقى وأنقى العلاقات لو صدقت النوايا والسرائر، وحصرت في الإطار الإنساني، ولم تتعداه للإطار ألغرائزي الحيواني، وهي من الأمور التي تحدث عنها الإسلام وشجع عليها، واعتبر الصديق مسئولاً عن تقويم صديقه، ودليله للصواب من خلال الصدق الذي هو أساس اشتقاق كلمة الصداقة كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«لقد عَظُمت منزلة الصديق حتى إن أهل النار ليستغيثون به ويدعون به في النار قبل القريب الحميم قال الله مخبراً عنهم:

﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾»[1].

ولكن السؤال الكبير هو هل تصح الصداقة بين الجنسين صداقة الرجل بالمرأة، وهنا لا بد من القول أنه عندما نقول إن الإسلام يطلب منا أن نُعامل المرأة كإنسانة في المجتمع لا كأنثى فإن ذلك يعني الإلتزام بالضوابط الشرعية في هذه العلاقة، وبالتالي فإن صداقةً تلتزم هذه

---

(١) تفسير نور الثقلين الجزء ٤ الصفحة ٦٠ سورة الشعراء، الآيتان ١٠٠ ـ ١٠١.

الضوابط لا مانع منها من الناحية الشرعية، فتكون العلاقة علاقة تناصح وتعاون لا علاقة تُبتني على أساس الغرائز والشهوات.

ولكن السؤال الأساسي يبقى هل يعترف مجتمعنا الشرقي بالصداقة بين الجنسين؟ وهل يتعامل الرجل في مجتمعاتنا على أساس علاقة بريئة لا يداخلها إحساس جنسي؟ بل حتى في المجتمعات الغربية وبحسب ما يردنا عنها هل تبقى الصداقة بين الجنسين في إطار العلاقة العادية، أم أنها تتحول في أكثر الأحيان إلى علاقة جنسية بحيث أنك لا تجد علاقة حميمية بين الجنسين لا تنتهي بهكذا نتيجة، إذ إن النادر هو بقائها في الإطار الإنساني دون تعديها للإطار الغريزي الجنسي الحيواني.

هل يقبل الرجل في مجتمعنا أن تصطحب زوجته أو أخته أو أبنته معها صديقها إلى المنزل؟! وهل سيتعاطى مع الموضوع على أساس أنها علاقة بريئة ولن تنهي بما لا يمكن أن يقبله؟ إن الإسلام لا يرضى على هكذا نوع من العلاقات، ويرفض أي علاقة خارج إطار المؤسسة الزوجية. فإذا كان لا بد من علاقة فلا بد من ضوابط، وإذا خاف من الوقوع في الحرام فالأفضل بل يجب الابتعاد، أو الزواج الذي شُرع في الأصل لتحقيق العفة والإحصان لكلا الزوجين.

فإذا كان هناك اختلاط في مؤسسات كالجامعات والمعامل والمصانع، مع عدم تحبيذنا للاختلاط مع إمكان الفصل، فلا مانع من بناء حالة صداقة على أن تكون ضمن ضوابط سلوكية شرعية كما أرادها الإسلام منا. فإذا كنت في مؤسسة جامعية لا مانع من قيام صداقة بينك وبين أخت متدينة، بل في بعض الحالات لا بد من ذلك خاصة إذا كانت هذه العلاقة تأتي في إطار الدعوة إلى الله ﷻ داخل المؤسسة، كأن نعمل لمصلحة العمل الطلابي في الجامعة في إطار هذه المؤسسة، بأن نشكل نوعاً من أنواع التجمع الطلابي لخدمة مصالح طلابية ولتحسين الوضع الأكاديمي، وتحسين وضع الطالب، وتحسين وضع المؤسسة

التعليمية، وتحسين وضع الكتاب والمناهج، وهناك الكثير من العناوين التي يمكن أن يعمل كل من الأخوة والأخوات عليها في هذا الإطار.

فمن الممكن أن تنصرف الأخوات لموضوع دعوة الأخوات غير المتدينات للتدين، ويمكن للأخوة الانصراف لدعوة الأخوة غير المتدينين، وبالتالي يجتمعان معاً في الجامعة وخارج إطار المؤسسة الجامعية، ويخططان لكيفية نشر الفضائل التي يؤمنون بها والأمور التي يسعون لنشرها، غير أن الذي يحصل عندنا هو أن بعض الأخوة والأخوات يفتحون علاقة حب لا علاقة عمل أو صداقة في إطار التناصح، فإذا بهم يجلسون ويتنزهون في الجامعة بشكل مُريب كأن يكون ذلك في خلوة غير شرعية، أو يتعاطون بأساليب لا يُقرها الشرع. في حين أنهم لا يحملون الهموم التي تحدثت عنها، فليس همهم الكتاب المدرسي ولا المناهج ولا المؤسسة التعليمية، بل ولا نشر الإسلام وتعميم الفضيلة.

ففي الوقت الذي تجالس فيه الأخت المتدينة صديقها ويتحدثون بطريقة حميمة فإنه، وفي كل دقيقة تمر فتاة سافرة أمام المحجبة ولا تفكر قط أنها تستطيع، بل من واجبها أن تأمر بالمعروف وأن تنهي عن المنكر، والأخطر من ذلك إنهم يدخلون في مواضيع علاقات محببة فيما بينهم، ثم يجلسون معاً حتى في داخل الصف ونتيجة للهيام والعشق لا يفهمون شيئاً مما يشرحه المدرس بسبب الجو الذي يعيشونه، بل إنهم يخرجون من الحصة الدراسية أو المحاضرة لينزلوا إلى الكافيتيريا، ويجلسون معاً ويشربون الشاي، ويدخنون ويدخلون في مواضيع من قصص المجتمع وهي كثيرة، أما التكليف الشرعي المُلقى على عاتقهم فهذا أمر لا يعنيهم بل شغلهم هيامهم وعشقهم عنه.

ويتساءل البعض أنه لماذا تتحدثون دائماً بالتكليف والعمل؟ ولماذا لا تستطيعون أن تبنوا علاقة حب؟ وهل أن الحب حرام؟ هنا يجب أن أكون موضوعياً جداً فإنه لا مانع من أن يختار الإنسان شريكة حياته،

ولكن هناك مانع من أن يتخذ الموضوع على سبيل التسلية فهذه الأمور ليست للتسلية، فليس الموضوع أن أستغل وجودي في الجامعة وعنوان الصداقة لأبني علاقات غير جدية، بل الهدف من ورائها أي شيء سوى الارتباط الزوجي.

وهناك بعض التلامذة يتباهون أن لديهم علاقات مع عدة فتيات يحبونهم، ويفتخرون بأنهم «دون جوان» الجامعة، هذا الكلام غير مقبول وليست هذه صداقة، وليس هذا حباً، بل إنه استغلال وأنانية واعتداء. وما أتكلم عنه ليست أموراً نظرية بل شاهدناها في الجامعة وعايشناها في المشاكل التي تعاني منها الجامعة في هذا المجال. وأنا أقول أن هذه الأخت لو كانت شاهدت أختاً غير متدينة وحدثتها في الدين والإسلام والالتزام، لكان ذلك أفضل بما لا يقاس عند الله من ساعتين تقضيهما مع شاب في كلام لا يفيد وقد يضر.

حتى مع عدم وجود أي من المحاذير التي تحدثنا عنها، وحتى لو أن هذه العلاقة بريئة إلى أقصى الحدود، فأيهما أفضل عند الله عز وجل؟ وأيهما أقرب إليه؟ وأيهما تؤجر عليه أكثر؟ ساعات تقضيها في سبيل الله عز وجل تدعو أختاً إلى الإيمان فتسجل في لوح حسناتها، أم ساعات تقضيها في كلام غير مفيد؟.

قطعاً إن قيامها بدعوة أخت للإسلام هو عند الله عز وجل أفضل بما لا يُعد ولا يُحصى من تضييع الوقت بلا فائدة، وخير دليل على ذلك ما ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله إلى اليمن وقال لي:

«يا علي لا تقاتلن أحداً حتى تدعوه، وأيم الله لأن يهدي الله على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت ولك ولاؤه يا علي»[1].

---

(١) الكافي الجزء ٥ الصفحة ٢٨.

وعليه فإن الوقت الذي تقضيه في سبيل الدعوة لا يُعتبر مضيعة للوقت، بل هو صرف له في مكانه الطبيعي، أما ما تقضيه بلا طائل كتلك التي تصرف وقتها بالمزاح والكلام الفارغ فهي صرفت هذا الرصيد الذي أعطاها إياه الله ﷻ في غير مكانه الطبيعي، ونحن نعلم أن الله ﷻ سيسألنا عنه يوم القيامة، فقد ورد عن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام أنه قال:

«إن الرجل ليُحرم الرزق بالذنب يصيبه، ولا يرِد القدر الدعاء، ولا يزيد العمر إلا البر، ولا يزول قدم ابن آدم يوم القيامة حتى يُسأل، عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه، وعما عمل فيما علم!»(١).

فهذه الساعة التي قضتها في دعوة أختها للإسلام مضمونة عند الله ﷻ وفيها الثواب، بينما تلك الساعة التي أمضتها مع الشاب يتغزل بها وتتغزل به فمن أين ستحصل على أجرها؟ وماذا ستُجيب الله عندما يسألها عن ذلك الوقت الذي أضاعته؟ خاصة وأنه يوجد في المكان الذي تعيش فيه أخوات بحاجة إليها أن تدعوهن إلى الخير وتأمرهن بالمعروف وتنهاهن عن المنكر، وهي مُلزمة شرعا بذلك.

وما يَصْدُق على الأخت ينطبق تماماً على الأخ، فهو أيضاً مسئول عن أمر إخوانه بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وأداء دوره في المؤسسة التي ينتمي إليها ويقضي أكثر أوقاته فيها.

قد يقول البعض أليس من الجائز شرعاً أن نروح عن أنفسنا؟ الم يرد حديث شرعي حول ذلك؟ فقد ورد عن رسول الله ﷺ قوله:

«روحوا عن القلوب ساعة فساعة»(٢).

---

(١) شرح نهج البلاغة لأبن أبي الحديد الجزء ٢٠ الصفحة ٢٥٩.

(٢) كنز العمال الجزء ٣ الصفحة ٣٧.

والجواب عن ذلك أنه لا مانع من الترويح عن النفس ساعة بعد ساعة، ولكن لا على أساس أن يكون كل عمرنا ترويحاً عن النفس، بل ساعة بعد ساعة. إضافة إلى أنه مع وجود تكليف واجب وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا مكان للترويح والراحة.

وبالرجوع إلى موضوع الحب، فإني أقول إن الإسلام لا يمنع من الحب كمقدمة للزواج مع الإلتزام بالضوابط الشرعية في العلاقة بين الجنسين، ولكن الواقع يقول أن كثيراً مما يقال عنه أنه حب هو في الواقع انسياق وراء غرائز حيوانية تنتهي بارتكاب الفاحشة، فكم من الخطايا ترتكب باسم الحب، وقد أجرت شبكة (إسلام أون لاين.نت) خلال الفترة مابين ١٧ إلى ٢٠ فبراير ٢٠٠٨، حول مدى اقتران الحب بين الجنسين بالوقوع في الخطيئة، وأبرز الأسباب وراء ذلك. شارك في الاستطلاع ٣٣٥٨ زائرًا أجابوا على سؤالين، الأول: (هل قادك الحب يومًا إلى خطيئة؟)، والثاني (في رأيك.. لماذا يقترن الحب غالبًا بالخطيئة؟).

وكان أمام المشاركين ثلاثة إجابات لكل سؤال للاختيار من بينهم، حيث كانت إجابات السؤال الأول تنحصر في (نعم ـ لا ـ تراجعت في اللحظة الأخيرة).. وكانت إجابات السؤال الثاني المتعلق بالأسباب على النحو التالي (أسباب اقتصادية ـ تطور وسائل الاتصال ـ غياب الوازع الديني).

وحتى الخميس ٢١ ـ ٢ ـ ٢٠٠٨ كانت نتائج الاستطلاع على النحو التالي:

فيما يتعلق بالسؤال الأول أجاب ٦٦,٣٢٪ من المشاركين بأن الحب قادهم إلى الخطيئة، بينما قال ١٠,١١٪ منهم أنهم تراجعوا في اللحظة الأخيرة، وكانت نسبة المشاركين الذين مروا بتجارب حب (نظيف) خال من الخطيئة ٣٤,٥٦٪.

نتيجة السؤال الأول تعد صادمة بكل المقاييس، إذ كشفت أن نحو

ثلث من شارك في الاستطلاع قد مر بتجربة خطيئة، ويتبدى ذلك أكثر بجمع هؤلاء مع الذين أجابوا بأنهم تراجعوا في اللحظة الأخيرة، أي أنهم في النهاية قد خاضوا مقدمات الخطيئة، أو على الأقل كانوا ينوون أو يتجهون إلى الوقوع فيها، وتبلغ نسبة الفريقين معاً ٦٧,٤٣٪ من مجموع المشاركين، أي ما يزيد على النصف.

أما بالنسبة للسؤال المتعلق بأبرز الأسباب التي تدفع الشباب للانزلاق في هاوية الخطيئة، أرجع ١٥,٥٪ من المشاركين الأمر للعوامل الاقتصادية، وكأنهم يقولون إن الظروف المادية الصعبة التي باتت تسد منافذ الزواج الشرعي أمام الشباب هي التي تدفعهم للقيام بممارسات جنسية خارج إطار الزواج، بينما أجاب ٢٤,١٠٪ منهم بأن ذنب تلك العلاقات يتحمله التطور التقني في وسائل الاتصال، بما يفهم منه توجيه أصابع الاتهام لنمط حياة الرفاهية ومنطق الإتاحة السائد في وسائل الاتصال والتواصل.

في حين جاءت النسبة الكاسحة من المشاركين، بما يمثل ٦,٨٤٪ منهم، مع التعويل على غياب الوازع الديني والكابح الذاتي لدى الشباب كسبب أساسي للزلل والوقوع في الخطيئة، وربما جاء هذا الخيار على هذا الشكل بسبب تشوش مفهوم التدين لدى الشباب، أو حتى عدم اهتمام المؤسسات الرسمية والأهلية بما فيهم مؤسسة الأسرة بالعمل على تنمية القيم الدينية داخل نفوس الناشئة ومن ثم الشباب، ومحاولة فك الربط في عقولهم بين الحب والمتعة الجنسية[1].

إن هذه النتيجة تؤكد على ضرورة أن تكون العلاقة بين الجنسين في مجال الصداقة منضبطة في إطار الضوابط الشرعية، وعدم الانجراف في مجال العلاقات الحميمية التي تفتح الغرائز وتوقع في الحرام.

---

(١) عن شبكة إسلام أون لاين نت بتصرف.

نظرة المجتمع للصداقة بين الشاب والفتاة:

إن النظرة الأغلب للصداقة بين الجنسين، وخاصة في الأوساط التقليدية والمتدينة، هي نظرة يشوبها الشك والاتهام في أغلب الأحيان. ونادراً ما ترى في هكذا مجتمعات علاقات بين جنسين من دون صوغ روايات وحكايات عن ما هو أبعد مما رأوه في أعينهم، بل إن العبارة الأولى التي تطلق في هذا المجال هي: «الله يستر على ما يحصل بينهما»، مع أن علاقتهما قد تكون بريئة إلى أبعد الحدود ولا يوجد بينهما أكثر من الحديث العادي العابر، والذي قد يكون في أمور دينية يرضى الله عنها. والسبب في ذلك يعود أولاً إلى التربية المبتنية على الفصل التام بين الجنسين، وعدم السماح باللقاء بينهما حتى لو كان عابراً، وثانياً لأن مفهوم الصداقة من وجهة نظر إسلامية لم يتبلور لدى مجتمعاتنا إلى الآن، على الرغم من المجالات الكثيرة التي توجد فيها دائماً المرأة إلى جانب الرجل سواء في المدرسة أم في العمل بل في كثير من مجالات الحياة، والحل لا يكون بالنهي عن التقارب مطلقاً إذ إن هذا الأمر بات من المستحيلات، فإنك ترى في الأوساط المتدينة بل في البيئة الحزبية المتدينة مجالات للقاء الرجل بالمرأة، والحل يكون بوضع الضوابط الأخلاقية ورسم حدود هذه العلاقة من خلال مفاهيم وأحكام الإسلام.

ولكن ومع كل التطور الحاصل في حياتنا اليومية نجد أن البعض يعتبر أن هذه العلاقة خاطئة وبعضهم يصل إلى حد اعتبارها خطيئة، هذا من جهة الآخرين أما من جهة نفس الشباب فإن بعضهم يحصرها في إطار الزمالة، والبعض الآخر يرى أنها وسيلة لكسب عدد من الفتيات، وآخرون يعتبرونها وسيلة لرمي شباكهم حول الفتيات لإيقاعهن بحبائل مكرهم والاعتداء عليهن ثم تركهن يلاقين مصيرهن.

أما بالنسبة إلى الآباء، فمنهم من فهم بالفعل الصداقة واستطاع أن يطبقها بشكلها الصحيح، وعامل أولاده على هذا الأساس بعد أن أفهمهم الواقع كما هو، ومنهم من يريد أن يرى في أولاده الشيء الذي تربى عليه هو، ويحاسبهم على ذلك بزمان ومكان غير الذي يعيش فيه. والبعض الآخر استطاع أن يوفق بين ما تربى عليه وما يربي عليه أولاده.

من خلال الاستطلاع السابق على موقع إسلام أون لاين، والذي اشتمل على فئات عمرية واجتماعية مختلفة، لاحظنا أن هناك فئة جديدة من الشباب والفتيات ممن فهموا بالفعل الصداقة، واستطاعوا أن يطبقوها في مجتمع ما زال ينظر إلى هذا النوع من العلاقات نظرة غير متوازنة.

إن الذي نحب أن نلفت إليه في هذا المجال هو الاعتراض على كلا الطرفين، فعلى الطرف الذي يقوم بنسج مقالات خيالية حول هذه العلاقة نقول: إنكم مكلفون بحسن الظن. ولا يجوز لكم اتهام المحصنات ورميهن بما لا يجوز، طالما أن الذي تراه في ظاهره لا يعني بالضرورة أن ما يرتكبانه معاً هو زنا. وقد قال الله سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾(١).

ونسج روايات من الخيال الشيطاني الخصب هو أمر يصل إلى حد رمي المحصنات الموجب للعن، وإن لم يصل إلى حد الاتهام بالزنا.

أما بالنسبة إلى من يقوم بهكذا فعل فنقول: له إنه يوقع نفسه في مواقع التهم، وبالتالي يجب أن لا يلوم من يغتابه، ويتهمه، بما لم يفعله فعلاً بل عليه أن يكون حذراً ويحصر علاقته مع الجنس الآخر بالإطار الموضوعي الطبيعي، الذي يرضى عنه الله سبحانه وتعالى. وقد ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال:

---

(١) سورة النور، الآية: ٢٣.

«من وضع نفسه مواضع التهم فلا يلومن من أساء الظن به»[١].

فعلى كل إنسان حريص على السمعة الحسنة، وهو أمر يسعى له كل عاقل، أن لا يضع نفسه في مواضع التهم فيحصر علاقته مع الجنس الآخر في إطار العلاقة الطبيعية البريئة، أو ينصرف عنها أو يسعى للزواج تحصيناً له ولها من الوقوع في الحرام.

الارتباط بين الشباب على مقاعد الدراسة:

لا يستطيع أحد أن ينكر أهمية الدراسة لتحصيل العلم، التي أصبحت في أيامنا هذه ضرورة، وقد لا تجد دولة لا تعتبر الدراسة إلزامية خاصة في مراحلها الأولى حتى المرحلة الجامعية، ونتيجة لذلك صار الانتقال من مرحلة دراسية إلى مرحلة دراسية أخرى من أهم ما يُشعر الإنسان بالنضج الذي طرأ عليه، وبناء عليه رتب الكثير من الناس عادات وحقوق يكتسبها عقب كل مرحلة.

وكالعادة أضل الشيطان عددًا كبيرًا من الناس فأصبحوا لا يرون إلا شهواتهم المباح منها والمحرم، بل معظمهم يركز على الشهوات المحرمة، وأصبح الطالب الذي ينتقل من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة التكميلية ثم الثانوية يسأل أقرانه عن حقوقه المكتسبة في هذه المرحلة، فمنهم من يدله على التدخين على أنه علامة كبر، مع أنه علامة صغر للنفس وردة لها إلى عصر الطفولة الأولى، التي لا يسكت فيها الطفل إلا بمصاصة لا تعطيه نفس ما تعطيه إياه الرضاعة ولكنه يقنع بها، وأما «مصاصة الكبار» فهي ليست فقط عديمة النفع، بل شديدة الضرر. وربما دله بعضهم على معاكسة الفتيات كدليل على الرجولة، وهي أبعد ما

(١) نهج البلاغة الجزء ٤ الصفحة ٤١.

تكون عن أخلاق الرجولة والفتوة التي من أهمها الغيرة وحماية النساء، نساؤه ونساء غيره، وهكذا.

وتتكرر هذه «النصائح» أو بالمعنى الآخر هذه «الوساوس» عند الانتقال من المرحلة الإعدادية إلى الثانوية، وربما زاد عليها وساوس أخرى في التمرد على النظام العام سواء في البيت أو في المدرسة، وكأن علامة الكبر هو أن يخرج الإنسان على مجتمعه، بينما علامة النضج الحقيقية أن يتأهل الإنسان ليتبوأ مكانًا في مجتمعه، وأن تناط به إحدى وظائفه، والمفترض أن يكون التعليم الدراسي هو نوع من إعداد الأفراد لكي يصير الواحد منهم متخصصاً في مجال قادرًا على أن يأخذ دوره في جماعته البشرية التي يحيا فيها.

وعند الانتقال من الثانوية إلى الكلية فستجد الإلحاح على كل هذه المعاني، بالإضافة إلى التطلع إلى صورة رسمها الاحتلال الأجنبي للجامعة، وبقيت محفورة في ذهن الكثيرين من أبناء المسلمين حتى الآن يتوارثها جيل بعد جيل، إن مجتمع الجامعة في حس الكثيرين هو مجتمع العلاقات المفتوحة بين الجنسين، وإن كانت مصادقة الفتيات في المراحل التعليمية السابقة رغم انتشاره مازال مستهجنًا اجتماعياً.

فالاختلاط بين الجنسين من خلال مجموعة الأصدقاء مقبول إن لم يكن مرغوباً فيه اجتماعياً، ويشترك الشلة الواحدة في اللعب والمزاح، والحِل والترحال والذهاب والمجيء، ولا بأس أن تنشأ على هامش الشلة ثنائيات يتم الاعتراف بها من باقي أفراد الشلة، وكأنه أمر طبيعي، ولهذين «المُعجَبَيْن» حقوق على باقي أفراد الشلة هي القبول والمساعدة في تكريس مظاهر الإعجاب على أرض الواقع، وربما انقلبا إلى «حبيبَيْن» فيضجا حينئذ بالدور الرقابي الذي تمارسه الشلة عليهما، فيخرجا عنها إلى عالم آخر من الانحراف المستهجن حتى من المجتمع.

كل هذه التصورات الخاطئة التي تدور حول الشهوات الدنيئة تدور في أذهان الكثيرين، ونحن نقول إن كل مرحلة جديدة، وكل نضج جديد، وكل مهارة جيدة يجب أن تمثل لدى الشاب المؤمن عبودية جديدة لله رب العالمين مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى:

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾[1].

فيجب على الشاب المؤمن أن يجعل كل مرحلة جديدة في حياته تقربه من الله، وفي كل مجتمع جديد أن يبحث أول ما يبحث عن المسجد وعن رفقة المسجد، ويتعاون معهم على البر والتقوى وان يجعل كل تجربة جديدة من حياته فرصة لزيادة الخير، وبالتالي زيادة نصيبه من الجنة.

من جهة أخرى يجب على كل من الرجل والمرأة الانتباه إلى أنهما إذا كانا يسعيان منذ البداية إلى الارتباط بشكل ناضج فإنهما قد يكونان يُغامران بمستقبل دراستهما، فهذا الطالب الذي في سنته الجامعية الأولى إذا ما أقام علاقة حب فإلى أين ستوصله هذه العلاقة؟ بعض الناس سيقولون لماذا هذا التزمت فماذا سيحصل لو أقام علاقة لخمس سنين إلى حين انتهائهما من الدراسة؟

والجواب أننا وجدنا من خلال التجربة أن كثيراً من هكذا علاقات انتهت إلى أنه ترك جامعته في السنة الثانية ليعمل ويتزوجها. هذا إذا لم تتطور العلاقة إلى علاقة جنسية ويحصل حمل ومصائب سوداء مما يضطره إلى ترك الحياة الجامعية، إلى كثير من الأمور التي تدل على عدم صوابية هكذا علاقة، خاصة إذا لم يتوفر لها دعم واضح ومادي تحديدا من الأهل، أو أن يكون الشاب قادر على العمل إلى جانب دراسته.

---

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢ ـ ١٦٣.

لا نستطيع أن نعتبر الصداقة بلا هدف، بل أعتبر أن هناك صداقة ضمن أهداف راقية، أهداف تؤدي دورا في المجتمع وتُوصل إلى شيء يرضى عنه الله ﷻ، وما تحدثنا عنه في المؤسسة التعليمية إنما أوردناه على سبيل المثال، ويمكن أن نقيس عليه كل الأماكن التي يحصل فيها اختلاط، وإمكانية علاقات مفتوحة كالمصنع وما يحصل بين العمال فيما بينهم، أو بين رب العمل، أو المسئول من جهة وبين العاملات من جهة أخرى والمستشفى، وماذا يحصل بين كل من الطبيب والطبيبة، والممرض مع الممرضة، أو الطبيب مع الممرضة، أو الممرض مع الطبيبة.

ومرة أخرى يقف من يقول لنا لماذا هذا الهجوم على الحب الذي هو حالة إنسانية بريئة تريدون دائماً حرفها بالاتجاه الجنسي، وهذا التزمت منكم أنتم المتدينون أدى إلى مجتمعات متخلفة لا تبتني العلاقات الزوجية فيه على أسس سليمة، بل على تكوين أسر من دون معرفة بين الزوجين، وبالتالي فشل أغلب الزيجات الناتجة عن هكذا تزمت.

والحقيقة إن هذا سوء فهم منكم، فنحن لا نمانع بل ندعو للتعارف قبل الزواج، وهناك فرق بين التعارف في إطار ضوابط شرعية وبين علاقة مفتوحة لا يضمن أحد إلى أين تصل. وقد قال الدكتور عمرو أبو خليل، الأخصائي النفسي والمستشار الاجتماعي بشبكة «إسلام أون لاين.نت» ما نصه:

«لقد اختفى الحب الرومانسي، وحلت محله العلاقات التي يمثل الجنس محورها وارتكازها. فأصبح تحول العلاقة بين الشاب والفتاة إلى علاقة جنسية هو مسألة وقت ليس إلا، لذا أصبح حب النظرات والرسائل الغرامية والسهر لمناجاة القمر. شيئاً مملاً لا يستهوي الشباب، وارتبط معنى الحب بالاستمتاع الجنسي حتى أصبحت الخطيئة ظاهرة لا تخطئها العين الراصدة[1].

---

(١) عن شبكة إسلام أون لاين نت بتصرف.

ويضيف د. أبو خليل:

«أنه كان من نتيجة ذلك أن أصبح العري والسعار الجنسي نمطًا سائداً، ضحاياه هم الشباب الذي أصبحوا في حالة عالية من الإثارة لا تسمح لهم بالانتظار لزواج شرعي سيأتي بعد الثلاثين أو ربما لن يأتي أبداً.

ولتكن كليبات الجنس عبر التليفونات المحمولة والدخول المواقع الإباحية عبر الإنترنت قوى دافعة تسير معها العلاقة بين الصبي والبنت، مع استدعاء ثقافة المصاحبة، بصورة حتمية في اتجاه العلاقة الجنسية، خاصة مع إتاحة الأماكن لقيام هذه العلاقة ممثلة في آلاف الشقق التي يعيش فيها هؤلاء الشباب والشابات وحدهم لسفر الأهل، أو شقق المصايف أو شقق متاحة لذلك الأمر معروفة للجميع، أو حتى أماكن عامة خاصة يسمح فيها للعلاقات أن تتجاوز كل الحدود.

ومع التركيز المكثف على اعتبار هذه العلاقات حرية وتحضراً، نسير في نفس طريق المنظومة الغربية التي تعتبر احتفاظ البنت ببكارتها بعد سن معينة أمرا يحتاج للعلاج النفسي.

ويوضح د.عمرو أبو خليل أنه يتواكب مع ما سبق حالة من الفراغ النفسي والعاطفي الذي يحاول الشباب ملأه بهذه الصورة المادية المتجسدة من العلاقات للحصول على المتعة الجنسية لملء لهذا الفراغ؛ فيزداد إحساسه بالجوع العاطفي والنفسي ويزداد نهمه للمتع الحسية حتى يصل لحالة من عدم الشعور بالطمأنينة والأمن تؤدي به للدخول في دائرة مفرغة.

إن الجميع مسئول، الإعلام، الأسرة، الفراغ، الثقافة المادية، لا بد من إعادة الاعتبار للقيم الأصلية. ولا بد من وقف زحف السعار الجنسي على مجتمعاتنا، وذلك من خلال ملء الفراغ النفسي والعاطفي

والعقلي والسياسي والاجتماعي لشبابنا، وإلا فلن يكون للحب مكان بيننا وستسكن الخطيئة وتعشش في حياتنا»[١].

باختصار فإننا ندعو إلى أن تكون الجامعة مجالاً للدراسة والعلم، لا لإقامة العلاقات التي تدفع نحو العلاقة الجنسية أو الانحراف عن المهمة الدراسية ولا مانع شرعاً من إقامة علاقة صداقة بريئة لا تهدف إلى غايات غير شريفة، وهي مقبولة أيضاً إن أدت إلى علاقة زوجية شرط أن يكون الطرفان وخاصة الزوج مهيئاً لذلك، أو هو على أعتاب التخرج والعمل وجني المال.

أضرار العلاقات المفتوحة:

كثيرة هي الأضرار المترتبة على العلاقات المفتوحة بين الجنسين، وهي تظهر من طيات بحثنا ولكني أردت في هذا المقطع إلقاء الضوء على أهمها، وهذه الأضرار لا تقتصر على الفرد بل تتعداه إلى المجتمع، بل والأمة والأوطان موقعة إياها بأضرار جمة يمكن لنا تلخيصها في هذه العجالة بما يلي:

١ ـ لما كانت غالبية الذين يمارسون هذا النوع من العلاقات هم جيل الشباب وخاصة الطلاب، فإنها تؤدي إلى الفشل الدراسي بسبب إهدار الوقت الثمين في ما لا ينفع، وترك الدرس بل حتى حضور المحاضرات والتمارين.

٢ ـ عادة ما يشوب هذه العلاقات نوع من التوقعات تخيب لدى أحد الطرفين، فقد يكون هدف الشاب هو الوصل إلى علاقة جنسية، ويبقى بعيداً عنها ما يؤدي إلى إصابته بأضرار نفسية كبيرة، أو قد يستطيع الوصول إلى هدفه فيقع محذور الزنا أو الاغتصاب ما يؤدي إلى مشكلة أكبر على صعيد الفرد والمجتمع.

---

(١) عن شبكة إسلام أون لاين نت بتصرف.

وقد يكون الهدف من قبل المرأة مثلاً هو الوصول إلى زواج، ويكون للشاب هدف آخر، فتقع في مشكلة كبيرة نتيجة صدمتها لهذا الواقع الجديد، وبالمحصلة فإنه يترتب على فشل هذه العلاقة كثير من الأضرار النفسية كفقدان الثقة بالنفس والاكتئاب النفسي.

٣ ـ إن أمة يعيش شبابها هذا النوع من العلاقات هي أمة عابثة وغير جادة، ولن تستطيع مواجهة مشاكلها وستكون التبعية الثقافية والفكرية والتكنولوجية هي النتيجة، بل حتى مصيرها سيبقى بيد الأمم الأقوى إن هكذا أمة ستصاب بالضعف والوهن والتقهقر وتسلط الأعداء عليها، ولن تقوم لهكذا أمم قائمة إلا بعد رجوعها إلى دينها وقيامها بعلاقات اجتماعية جادة.

٤ ـ إن استغناء الشباب عن العلاقة الأسرية الطبيعية، واللجوء إلى العلاقات خارج إطارها، سيؤدي حتماً إلى ترك الزواج مع ما يترتب على ذلك من تفشي العنوسة، الذي يترتب عليه أضرار اجتماعية كبيرة وفساد كبير، وكما يقول رسول الله ﷺ فيما رواه عن الإمام الباقر عليه السلام كما ورد عن إبراهيم بن محمد الهمداني:

«كتبت إلى أبي جعفر عليه السلام في التزويج فأتاني كتابه بخطه قال رسول الله ﷺ: إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة وفساد كبير»[(١)].

٥ ـ أما المسألة الأخطر فهي ناتجة عن أن رواج هذا النوع من العلاقات يؤدي إلى شيوع الفاحشة في المجتمع وسهولة التعاطي معها بحيث تصبح أمراً عادياً مقبولاً في المجتمع لا يُستنكر فعله وإنما يُستنكر على من تركه.

---

(١) الكافي الجزء ٥ الصفحة ٣٤٧.

٦ ـ لا تنحصر العلاقات المفتوحة بين الجنسين بين الشباب غير المتزوج، بل هي حاصلة حتى في عالم المتزوجين، وكثيراً ما تؤدي هكذا علاقة إلى فشل الحياة الزوجية، إما نتيجة عدم تحمل المرأة لتمادي الرجل في علاقته مع امرأة أخرى، أو عدم تحمل الرجل لعلاقة مفتوحة لزوجته مع بعض الرجال، ما يؤدي إلى كثرة الطلاق ويوجب تفسخ أواصر الأسرة والتالي تفكك المجتمع.

٧ ـ تصل الأمور في هذا النوع من العلاقة إلى تجاوز مجرد المحادثة العادية للوصول إلى العلاقة الجنسية الكاملة، وهذا يبقى خطراً محدوداً في إطار العلاقة بين الطرفين إن كانا عازبين، أما إن كانا متزوجين أو أحدهما كذلك فإن الخطر من خلال الوقوع في الخيانة الزوجية يصبح أكبر وضرره على المجتمع أخطر.

٨ ـ لو حسبنا ما يصرفه هؤلاء على الاتصالات لوجدنا أن مبالغ طائلة تصرف في هذا المجال، ووقت أطول كذلك، فإن الأضرار المادية والمعنوية المترتبة على هكذا نوع من العلاقات مما لا يمكن إخفائه.

بعد هذا كله نجد أنه من الضروري أن لا نساعد على هكذا نوع من العلاقات، وقصره على مقدار الضرورة مع توفير الضوابط الكاملة لذلك.

المرأة والتعليم:

لا نريد الإكثار من الاستطرادات ولكن هذا الموضوع بطبيعته متشعب وفيه أفكار يفتح بعضها نوافذ على بعض. ومن هذه المسائل موضوع تعليم المرأة ففي هذا المجال ونتيجة المشاكل التي طرحناها في المؤسسات التعليمية يُطرح في الوسط المتدين بشكل كبير موضوع منع بناتهم من الذهاب ليس فقط إلى الجامعة، بل حتى إلى المراحل

التكميلية والثانوية هروباً من مظنة الوقوع في الفاحشة في هذه المؤسسات نتيجة الاختلاط بين الجنسين والعلاقات المفتوحة بينهما، وحقيقة الأمر إن الإسلام لا علاقة له بهذا الموقف الغير منطقي، وإن كان سببه بالنسبة إليهم قد يكون مبرراً بسبب الواقع الموجود في هذه المؤسسات، ما يجعل بعض الآباء وخاصة المتشددين من الناحية الدينية يخافون على بناتهم من الفساد.

والحقيقة إن الإسلام حث على طلب العلم من كل من الرجل والمرأة فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«طلب العلم فريضة على كل مسلم ألا أن الله يحب بغاة العلم»[1].

ولذلك فمن الناحية الموضوعية صحيح أن الواقع الموجود في بعض هذه المؤسسات غير جيد ولكنه كذلك بالنسبة إلى بعضهم، لا إليهم جميعاً، فإذا ما توفر رعاية كاملة من الأهل مع ممارسة دورهم الأساسي في التوجيه والإرشاد وضبط حركة بناتهم، واختيار المؤسسة التعليمية التي تراعي الضوابط الأخلاقية وتضع قوانين تمنع من الاختلاط غير المقبول، والمؤدي إلى الوقوع في الفاحشة، أو التحفيذ عليها فمع مراعاة هذه الأمور يمكن أن نقول إن هذا الخطر يتلاشى ويصبح بعيدا عن أولادهم.

إن المشكلة أدت ببعض الأهل ضعيفي الإرادة وغير الكفؤين والسلبيين في مواجهة المصاعب التي تعصف بحياتنا إلى أن يمنعوا بناتهم من الجامعات ويقولون بشكل قاسي: إن الفتاة بشكل عام مصيرها إلى المطبخ وشهاداتها لا تنفع، فلو استطعنا أن نؤمن الرعاية لبناتنا منذ نعومة أظفارهن فنُفهمهن الإسلام والواقع الذي يعشن فيه وندلهن على

---

(١) الكافي الجزء ١ الصفحة ٣٠.

كيفية مواجهة الأخطار والتحديات في الخارج، ونوعيهن ضمن إطار التوعية اللازمة حينئذ فإن نهيئ لبناتنا الحصانة والمناعة من أن تتأثرن بهذه الأجواء.

الواقع الذي يحصل أننا منذ بداية تربية أولادنا نربيهم بطريقة خاطئة، وهذا موضوع كبير والدخول فيه قد يخرجنا عن الموضوع الأساسي، لكن لا مانع من التعرض لما يهمنا في هذا البحث. إن الأهل عندما يبدءون بالتربية الفعلية لأبنائهم، أي عندما يصل هؤلاء الأولاد إلى السن الذي يصبحون فيه بحاجة إلى تربية وعناية مباشرة، يبدأ الأهل بالتعامل معهم بصورة الأوامر المباشرة من دون إفهامهم الخلفيات الداعية إلى هذا القرار وهذا الأمر، فترى الأهل يقولون لإبنتهم مثلاً لا تنظري إلى هذا، ولا تحتكي بهذا، وإياك أن ترتادي المكان الفلاني، كل هذه الأوامر مُساقة بطريقة الفرض من دون أن نبين لها ما هو هذا الواقع الذي نمنعها عنه، والإنسان مطبوع على حب الاستكشاف وتراه انطلاقاً من سلسلة الأوامر التي يتعرض لها من دون إبداء الأسباب الموضوعية يسعى لاكتشاف ما حُذر منه، فيقع المحذور الذي يسعى الأهل للهروب منه، بعض أساليب التربية الحديثة تقول:

«إذا أردنا أن نجنب الولد الاحتراق بالنار علينا أن نقربها منه ليشعر بحرارتها إذ إنه أصلاً لا يملك مفهوماً للاحتراق، وأي ضرر يمكن أن توقعه به، فالولد يُحب أن يختبر من أجل أن يتعرف. فإذا جعلته يذوق عينة صغيرة من طعام مر فإنه لن يعود إليه، وهو أفضل من أن نقول له إن هذا طعام مر فلا تذقه، لأنه إذا حذرته دائماً فإنه قد يظن أن سبب المنع هو أنه طعام لذيذ تُريد أن تستأثر فيه لوحدك، ولذلك فهو سيُقْدِم في يوم من الأيام على تذوقها».

وأريد أن أوضح في هذا المجال أني لا أريد أن أقول أنه دائماً يجب أن أجعل الولد يُعاين مباشرة الخطر الذي أريد أن أحذره منه، فإن

بعض الأمور لا نستطيع فيها أن نجعله يُقدم حتى على مجرد المعاينة، فلا بد من إلفاته إلى تركها إن من خلال أنها منهي عنها من الله ﷻ، أو من خلال إرشاده إلى ما حصل مع بعض النماذج التي قامت بمثل هذا العمل، المهم إنه لا بد من أن تكون الأوامر والنواهي التي نوجهها لأولادنا مشفوعة بأدلة تجعل هؤلاء الأولاد يمتنعون عن القيام بما حذرناهم من القيام به عن قناعة وفهم.

إن أهم مشكلة نعاني منها في هذا المجال هي أننا لا نُطلع فتياتنا على الواقع كما هو، بل هناك سد أسمه الحرمة، ولا أقصد الحرمة بالمعنى الشرعي بل تلك التي تصدر عن الأهالي، هذا السد نحذرهن أن لا تقربوا له، أما ماذا هناك من أسباب داعية للحرمة فلا نطلعهن عليه، ولماذا؟ لأننا نظن أننا إذا أطلعناهن على هذا الواقع فإننا سنفتح لهن أفكارهن على أمور غير مناسبة، وإذا فتحنا لهن أفكارهن فهذا يعني أنهن ستنحرفن وإذا وصلن إلى المرحلة التكميلية، أو الثانوية أو الجامعية، فإنهن لن يرينها فقط بل ستعاينهن معاينة لصيقة وقد يستطبن الحرام لأنه مستطيب.

وعندما يصبح الأمر واقعاً ويرسل الرجل ابنته بعد سلسلة من الحدود والضوابط والمحاصرة، فإنها تدخل الآن إلى جو هي من الأول تربت ليس على أن تبتعد عنه بل على حب الاستطلاع له، وليس لها أي تجربة، ولا أي فكرة عنه، ولا نظرة عن آثاره السلبية والمشكلات التي ممكن أن تؤدي له، وهو في طبعه مستطيب فتقع فيه من دون أي إحساس بالخطر إلا بعد الوقوع فيه، وتنتهي المسألة ولات ساعة مندم.

نحن نقول للآباء أنكم تعيشون في مجتمع غير متدين، بل قد يكون غير إسلامي، والعناصر الأخلاقية في هذه المؤسسات غير متوافرة للأسف، فلا بد من أن نطلع أولادنا على حقيقة هذه الأمور بالتفصيل شبه الممل، أي أني سأجلس مع أبنتي وأوضح لها أنها الآن ستذهب إلى الجامعة من أجل التعلم وفي الجامعة يوجد أجواء غير مناسبة لم تعتادي

عليها، وهذه الأمور إذا شاهدتها واحتككت بها ممكن أن تؤدي إلى أن يغرك الشيطان لتجربيها، ومن الممكن أن تشعري بشغف لهذه الأمور وحُب لها، فانتبهي فهذه ليست هي الحياة الحقيقية، وليس هذا الشيء الذي تبحثين عنه، انتبهي من إغراءات الآخرين الذين يُزينون لك الباطل حقا والخطأ صواباً، الفتاة عندما تسمع في البداية هذه الأمور من والديها يصبح لديها اطلاع سابق على كل المحاذير التي ممكن أن تقع فيها.

وكمثال على ما قدمنا: لو قال لي والدي أترك التدخين أو ممنوع عليك التدخين فإن ذلك لوحده لن يكون كافياً في ردعي عن التدخين، وسوف أشعر بحاجة لتذوقها وعندها قد أجدها لذيذة. مما يجعلني أتعلق بها بل وأدمن عليها، ويصبح من الصعب علي تركها، ولكن لو قال لي لا تشرب الدخان لأنه مضر وفيه مادة النيكوتين التي تدخل إلى الرئتين وتؤدي إلى خطر الإصابة بالسرطان، أو بالتهابات الرئة فستكون لديّ صورة واضحة واطلاع كامل على مجمل الأمور التي قد أواجهها، وبالتالي فإن ذلك الخطر المتوقع سيكون الحافز الأكبر لأن أترك. أما لو نُهيت عن ذلك بطريقة القرار النهائي والفرمان فإن هذه الطريقة لن تؤدي إلى نتيجة، بل قد تؤدي إلى نتيجة عكسية من خلال حب الاستطلاع الموجود غريزياً في كل إنسان. وما نقوله في هذا المجال ليس بدعة، بل هو أسلوب علمنا إياه الله ﷻ بقوله في كتابه الكريم:

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾(١).

رسالة للآباء:

أحب في هذا المجال أن أوجه رسالة للآباء مفادها: «إياكم أن

---

(١) سورة النحل الآية: ١٢٥.

تمنعوا بناتكم عن العلم، لأن العلم سلاح للمرأة في مجتمعنا، ونحن اليوم بحاجة إلى عدد كبير من المتعلمات، وهناك قضايا نحن بحاجة إليها كثيراً، ويجب أن تقوم بها نساء، فنحن بحاجة إلى طبيبات في مختلف الاختصاصات، وبحاجة إلى ممرضات، وإلى الكثير من صنوف الأعمال التي لا يجوز لجوء المرأة فيها إلى الرجال إلا في حال الضرورة».

فعندما أرسل ابنتي إلى هذه المؤسسة يجب أن أضع لها هدفين:

الأول: هو الهدف الأساسي والأسمى من كل حركة يقوم بها أي إنسان، وهو الحصول على مرضاة الله ﷻ، فعندما أقول لها أنظري إلى مرضاة الله في كل ما تفعلينه، فإنها إن فعلت ذلك لن تخطيء، لا بمعنى أنها ستكون معصومة عن الخطأ، بل بمعنى أنها ستكون أبعد من الوقوع في ذلك، وإن وقعت فإن ذلك سيكون محدوداً وستبادر إلى الإصلاح بسرعة.

من خلال هذا العنوان أي مرضاة الله لن يقف الأمر عند ابنتي على موضوع التعلم فقط، بل سيتعداه إلى القيام بواجبات أخرى من مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونشر رسالة الإسلام، والدفاع عن قضايا الأمة، والعمل لمصلحة الطلاب والمؤسسة التعليمية.

من خلال ذلك أكون قد وسّعت آفاق ابنتي عندما أرسلها إلى هذه المؤسسة، وإذا وسّعت لها آفاقها وأفهمتها الأمور فلن تضيع في الجامعة.

إضافة إلى أننا وبحسب تجربتنا الماضية والمستمرة إلى الآن وجدنا أن هناك دوراً مهماً جداً للأخوات خاصة في المواقف التي لها علاقة بالأخلاق والفضيلة، بل وحتى في المواقف السياسية، وفي مرات كثيرة وجدنا أننا لا نجمع حولنا في موقف سياسي أو مطلبي معين فقط الأخوات المحجبات بل يجتمع حولنا أخوات غير محجبات، وهذه تكون طريقة لهدايتهم وإرشادهم إلى الطريق الصحيح، وبنفس الوقت

نحن نستفيد من المؤسسة التعليمية ولا نمر بها مرور الكرام ونترك فيها أثراً وهذا شيء مهم.

الثاني: العمل للحصول على أعلى المراتب العلمية والتفوق خلال فترة الدراسة، لأن المؤمن يجب أن يكون مثالاً في كل شيء، فكما هو مثال في تدينه وأخلاقه، عليه أن يكون مثالاً يحتذى في تفوقه العلمي، وبذلك يمكن أن يكون هذا التفوق أحد أساليب الدعوة إلى الإسلام، فمن المعروف أن قوة التأثير من المتفوق علمياً على أقرانه أكبر بكثير من الفاشل والراسب، أضف إلى أن أسلوب المتفوق مغاير كلياً ومفيد أكثر من أسلوب غيره، على قاعدة ما ورد في القرآن الكريم:

﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(١).

فعلى كل إنسان منا استخدام كل الإمكانات المتوفرة لديه من أجل الدعوة إلى الإسلام، وبذلك يكون السعي للتفوق واجباً لأنه سيكون طريقا لهداية الآخرين إلى هذا الدين الذي يحث أتباعه على التفوق في الدنيا والآخرة. وهذا ما أكد عليه الإمام الصادق عليه السلام عندما قال:

«أوصيكم بتقوى الله والعمل بطاعته، واجتناب معاصيه، وأداء الأمانة لمن ائتمنكم، وحسن الصحابة لمن صحبتموه، وأن تكونوا لنا دعاة صامتين. فقالوا يا ابن رسول الله وكيف ندعو إليكم ونحن صموت. قال: تعملون بما أمرناكم به من العمل بطاعة الله، وتتناهون عن معاصي الله، وتعاملون الناس بالصدق، والعدل، وتؤدون الأمانة، وتأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، ولا يطلع الناس منكم إلا على خير، فإذا رأوا ما أنتم عليه علموا فضل ما كان عندنا فتنازعوا إليه»(٢).

---

(١) سورة الزمر الآية: ٩.

(٢) مستدرك الوسائل الجزء ١ الصفحة ١١٦.

إذا نظرت إلى قول الإمام الصادق عليه السلام «ولا يطلع الناس منكم إلا على خير» يظهر منها المقصود من كلامنا، فإننا عندما نقول أنه يجب أن يكون طموح الإنسان المؤمن هو التفوق، فهو تماماً المقصود من أن لا يطلع الآخرين منا إلا على خير.

علاقة مفتوحة بقصد الزواج:

إن الزيجات المبتنية على أساس التعرف السريع، ثم الزواج والزفاف بسرعة من دون فترة خطبة للتفاهم والتعرف أكثر فيما بين الطرفين، غالباً ما انتهت بالفشل، وهذا ما يطرح بقوة فكرة التعرف عن كثب قبل الزواج، بحيث أنه لو لم يحصل تفاهم فإن المسألة تنتهي من دون أية آثار سلبية خطيرة. لذلك يطرح الفكرة التالية: إن لكل من الشاب والفتاة الحق بالتعرف على بعضهما عن كثب من خلال علاقة مفتوحة، يصل فيها الطرفان للخروج مع بعضهما البعض في نزهات أو ارتياد مقاهي ومطاعم، ذلك أن التعرف في إطار المنزل لا يُعطي صورة حقيقية لكل من الطرفين عن زوج المستقبل. فما هو رأي الشرع الحنيف في ذلك؟

إننا نحذر من هذا ونعتبر أنْ لا حاجة لكي يحصل التعرف أن يصل الأمر إلى هذا المدى من الانفتاح، بل إن اللقاءات التي تتم غالباً في منزل الأهل أو الأقارب، بخلوة في غرفة مع وجود الأهل في غرفة قريبة تُعطي صورة واضحة للأخ والأخت عن الطرف الذي يريد الاقتران به، ذلك أن ما تريد التعرف عليه هو شكل الزوجين وهذا متاح جداً في بيت العائلة، بل إن الشرع أتاح له التعرف على جسمها من خلال لبس ثوب شفاف والإطلاع على شعرها، فقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة ففي مجال النظر إلى الوجه والجسم من الأمام والخلف، وورد عن الإمام الصادق عليه السلام، أنه سئل عن الرجل يريد أن يتزوج المرأة يتأملها وينظر إلى خلفها وإلى وجهها قال:

«نعم لا بأس أن ينظر الرجل إلى المرأة إذا أراد أن يتزوجها ينظر إلى خلفها ووجهها»[1].

أما حول النظر إلى شعرها ومحاسنها، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله في رده على أحد أصحابه عندما سأله:

«أينظر الرجل إلى المرأة يُريد تزويجها فينظر إلى شعرها ومحاسنها؟ قال: لا بأس بذلك إذا لم يكن متلذذاً»[2].

وأما رؤية جسمها من وراء ثوب شفاف فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه سئل: الرجل يريد أن يتزوج المرأة يجوز له أن ينظر إليها؟ قال:

«نعم وتُرقق له الثياب لأنه يريد أن يشتريها بأغلى الأثمان»[3].

وأما من ناحية الفكر، فإن ذلك يتم من خلال المداولات التي تتم أثناء الزيارات، التي يجب أن تمتد إلى فترة يستطيع كل من الطرفين تكوين صورة واضحة عن الآخر. وهذا يتم من خلال الجلسات المستقلة التي تحصل بين الطرفين بأشراف الأهل.

أما موضوع الدين والأخلاق والسمعة الحسنة فهذا يتم من خلال السؤال عن الطرف الآخر من أقاربه وجيرانه وأصدقائه، إذ إن ذلك قد لا ينكشف من خلال مجرد اللقاءات، لأن كلا الطرفين يحاول إظهار نفسه بأحسن صورة على قاعدة المثل الشعبي الذي يقول: «يتمسكن حتى يتمكن».

فكل ما هو مطلوب التعرف عليه هو الشكل والدين والأخلاق والفهم أو المستوى الفكري وكل هذا من جهة، أما من جهة أخرى،

(١) وسائل الشيعة الجزء ١٤ الصفحة ٥٩.
(٢) وسائل الشيعة الجزء ١٤ الصفحة ٦٠.
(٣) وسائل الشيعة الجزء ١٤ الصفحة ٦١.

فإننا نعتبر أن الشكل الذي تعرضونه للتعرف من خلال العلاقات المفتوحة، إضافة إلى الإشكالات الشرعية التي قد تصاحبه من خلال الخلوة غير الشرعية، أو من خلال الممازحات غير اللائقة، أو الميوعة غير المقبولة، إضافة إلى تعريض السمعة للهتك من خلال مجتمع لا يقبل أن يجلس شاب مع فتاة لا تمت إليه بصلة في مطعم أو مقهى أو أي مكان آخر. فإن هناك مخاطر كثيرة تَحف بالموضوع وهذا أيضا نقوله من خلال التجربة العملية.

قصة وعبرة:

ونعطي لذلك المثال الواقعي التالي: إن هناك أخت ذهبت مع شاب في رحلة خاصة على أساس أنهم سيتكلمون بالزواج، وكان من نيتها أن تعرفه عن كثب، في حين أن نيته كانت أن لا يتكلم في هذا الموضوع، بل أن ينال غايته الجنسية منها. فعندما اختلى بها أقترح عليها أن يعقدا زواجاً مؤقتا حتى لا يحصل الحرام في لقاءاتهم، واعداً إياها بالزواج على أساس أنه بات مقتنعاً بها، وأقسم لها بالله العظيم أنه لن يستغل هذا العقد سوى لرفع حرمة الخلوة لا أكثر ولا أقل، فوافقت مصدقة إياه بما وعدها به، فإذا به يطالبها بأنه بما أنها أصبحت حلالاً له أن تُريه شعرها فلا ضير في ذلك، ثم هذا الجزء من جسدها فذاك، إلى أن وصل التمادي بالعلاقة حتى حصل الدخول وافتضاض البكارة، بل أكثر من ذلك تطور الأمر إلى أن أصبح هناك حملاً، فقال لها بأنه لن يتخلى عنها ولكن لا يستطيع الآن الدخول في هذا الموضوع والأفضل لها الإجهاض على وعد منه أنه سيتزوجها عند أول فرصة، فصدقته مرة أخرى وأجرت عملية الإجهاض لتصطدم بعد ذلك وترى أنه عقد قرانه على أخت أخرى، والأقسى من هذا كله أن عملية الإجهاض التي قامت بها سببت لها فقدان الرحم.

إن هذا المثال القاسي ليس فكرة نظرية، أو قصة ابتدعتها من نسج الخيال بل إنها قصة واقعية، عايشتها واستمعت إلى أطرافها، فما الذي أدت إليه هذه العلاقة المفتوحة التي تدعوننا إليها تحت عناوين الحرية والانفتاح؟ لقد أدى ذلك في هذه الأخت إلى فقد العذرية، وليت الأمر وقف عند هذا الحد بل تعداه إلى فقد القدرة على الإنجاب مستقبلاً، والأخطر من ذلك كله لقد أدى إلى الوقوع في الحرمة الشرعية إن لجهة عدم جواز العقد على البكر من دون إذن أبيها، أو لجهة الجريمة الأكبر والأخطر وهي الإجهاض، التي هي قتل للنفس البشرية من دون أي مبرر شرعي.

نحن لا نقول للشاب أنه ممنوع عليك أن ترى الفتاة التي تريد الارتباط بها، ولنفترض أن لديّ ابنة، وأتى أحدهم وقال لي أريد أن أتزوج ابنتك وأحب أن أجلس معها وأتكلم معها وأنا أعرف هذا الشخص أنه ذا خلق وجيد، فمن الطبيعي أن أوفر لهما الأجواء من أجل التفاهم، وأن يتحدثا مع بعضهما وليس هناك عائلة من العائلات لا توفر للشخص الخاطب خاصة في مجتمعنا أن يجلس مع الفتاة التي يريد الارتباط بها، مرة واثنتان وثلاثة مرات، وحتى لو حصل الاقتناع من الجلسة الثالثة فإن أهل الفتاة يصرون على الجلوس معها أكثر ولكن ضمن جو يحرص على عدم الوقوع في الحرام.

ولكن ما يحصل هو أنه يريد أن يتكلم معها في كافيتيريا، وحتى لا يراهما أحد ويتهمهما بتهمة سيئة يقترح عليها حرصاً منه على سمعتها أن تذهب معه إلى بيته، ثم يقترح عليها حتى لا يقعا في الحرام إجراء عقد زواج مؤقت، ثم يتدرج فيطلب منها خلع الحجاب لأنه لم تعد هناك محرمات بينهما لنرى فيما بعد أنه أصلاً كان يخطط ومنذ البداية إلى حصول هذا الأمر.

وقد يتساءل البعض لماذا تسيئون الظن بكل الناس؟ فليس كلهم

على هذه الحال، إننا نقول لهؤلاء نعم ليس جميعهم هكذا، ولكن هناك مثلهم، وماذا لو كان نصيبك أن تقع مع هكذا نماذج؟! وأنا عندما أعرف أن هناك أناس على هذا النحو وشرف الفتاة لا يمكن أن يعوض، فلا يمكن لأية فتاة استعادة بكارتها، أو في مثل المثال الواقعي استعادة رحمها. عندما أرى هذه المحاذير فأنا لا أسمح لهذه الأمور أن تحصل، فلماذا أوقع نفسي بالحرام وعلى قاعدة المثل الشعبي «الباب الذي يأتيك منه الريح سده واسترح» أو كما يقولون في المثل الشعبي أيضاً: «لا تنم بين القبور فلا ترى الأحلام المزعجة».

هذه العلاقات المفتوحة التي تحصل في مجتمعنا سواء في المعمل أو المصنع أو المتجر أو المدرسة أو الجامعة، ولا أقصد هنا أنها حالة عامة تشمل الجميع فلا يصح أن نكون مجازفين ومعممين، الكثير منها تصل إلى المحاذير التي ذكرنا والتي تؤدي إلى خراب البيوت، ونحن نسمع في وسائل الإعلام أن شخصاً قتل أخته بعدما تبين له أنها حامل من علاقة أرادتها بريئة مع شخص كان صديقها ثم هرب من طريقها وكانت العلاقة ليست بريئة، فنكتشف أنه ليس هناك شيء أسمه علاقة بريئة في هذا الموضوع، العلاقات لا يجب أن تكون مفتوحة بهذا الشكل لأن الخطورة في هذا المجال لا يمكن تحملها.

المطلوب علاقة مضبوطة لا علاقة مفتوحة:

إننا لا ندعو إلى فصل تام بين الجنسين، ولا ندعو إلى رفض العلاقة بينهما أصلا، إذ لو حصل ذلك لما أمكن التعرف المؤدي إلى زواج سليم، إن ما ندعو إليه هو علاقة منضبطة وتقع تحت إشراف الأهل أو المؤسسات التي يتواجد فيها جو الاختلاط، فلو أن شاباً في الجامعة طلبت منه زميلته أن يأتي إلى منزلها للدراسة فما المانع؟ في مجتمعنا يعتبر البعض أن هذه الدعوة جريمة، لأنها بمجرد أن تدعو

صديقها في الجامعة إلى بيتها فإنها ستتعرض للضرب من قبل أبيها وأخيها، أو ستتعرض للسياط الكلامية من الجيران. في حين أنه ما المشكلة في ذلك؟ فإذا أتى الشاب وجلس مع ابنتي أمام ناظري أليس ذلك أفضل من أن تتم اللقاءات من وراء ظهري؟ لأن ابنتي إذا لم تأت هي وهذا الشاب إلى البيت ضمن إطار الأسرة وتحت مراقبتي، فإنها ستجلس معه في الخارج حيث لا أستطيع المراقبة ولا إمساك زمام الأمور. فعلى العكس إن الأفضل أن يأتيا إلى بيتي وتحت رعايتي وإشرافي ومراقبتي والباب مفتوح وأنا أراهم وأرى أن الأمور منحصرة في الإطار الدراسي، من أن يكون ذلك من وراء ظهري حيث لا ضابط يمنعهما من التمادي إلى ما لا تحمد عقباه.

وحتى لو كان لديه فكرة زواج فإنهما سيتفاهمان تحت نظري وهذا أسلم وأفضل. وللأسف فحتى المتدينين يعانون من هذا الموضوع بشكل كبير. فما نحتاج إليه هو ثقافة شرعية تخولنا أن لا نقع في المحاذير التي تحدثنا عنها سابقا.

في الخلاصة إن العلاقات المفتوحة بين الجنسين أمر لا نحبذه، وعلى كافة مستويات العلاقة سواء كانت علاقة بين أرحام، أو زملاء، أو أصدقاء، وإن الانفتاح بالعلاقة كثيراً ما يؤدي إلى مشاكل، منها على صعيد العلاقات الزوجية الغيرة التي تودي بالحياة الزوجية مما يؤدي إلى الطلاق. وحتى في الحياة العادية من دون أن يكون هناك زواج لا بد من أن يكون هناك ضوابط للعلاقة كي لا تخرجها عن كونها علاقة بريئة، ضمن ظروف وبيئة طبيعية وضمن ضوابط شرعية لتصبح علاقة تملؤها الإشكالات الشرعية وتؤدي إلى الوقوع في محاذير شرعية، وكذلك لا بد من الالتفات إلى أبنائنا عندما ينخرطون في مجتمع جديد كالمدرسة أو الجامعة، أو المصنع، أو مكان الوظيفة، ففي الوقت الذي من المهم إعطاء الثقة لهم، إلا إنه لا بد من أن تكون ثقة مضبوطة بمعنى الثقة

الموجهة، فلا أدعهم يشعرون بأني أكبت لهم أنفاسهم في كل شيء ولا بأنهم يملكون الحرية بشكل مطلق. بل نعطيهم المجال الكافي للاحتكاك وتكوين المعرفة بالحياة والقدرة على المواجهة ولكن تحت مراقبتنا البعيدة القريبة، لأنها قد تكون بعيدة في المكان ولكن بمراقبة حثيثة بشكل نجعلهم يخطئون تحت إشرافنا على سبيل التعلم فإن هكذا خطأ يكون مضبوط العواقب، ولكن إذا أخطئوا من دون إشرافنا فساعتئذ ستكون المشكلة الكبيرة.

٨

القمار بأشكاله المختلفة

لعب القمار:

اخترت الحديث عن القمار لا بسبب كونه ظاهرة في مجتمعنا المعاصر، حيث أنه سمة لكل العصور وآفة مدمرة للمجتمع، ولذلك حذر منه الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم، أولاً لخطره وثانياً لكونه ظاهرة متجددة في كل العصور كونه مرتبط بالغريزة الأساسية في الإنسان، وهي حب التملك والحصول على الثروة بأسهل الطرق وأسرعها.

وانطلاقاً مما تقدم تعتبر ظاهرة القمار ظاهرة خطيرة في مجتمعاتنا لا بد من إلقاء الضوء عليها، والتحذير من خطرها المدمر على المجتمع على الصعيد الفردي وعلى الصعيد العام، بل يمكن لنا أن نعتبرها من أخطر الظواهر في عصرنا الحاضر، وتكمن خطورتها في أنها تأخذ أشكالاً مختلفة تلتبس على كثير من الناس، فإذا بهم يمارسون القمار من دون أن يدروا بأنهم يفعلون ذلك، بل إنهم يعتبرون أنفسهم يقومون بالتسلية المباحة التي لا إشكال بها، فإذا بهم ينجرون إلى ما هو أخطر أي دخولهم عالم القمار، ومن أوجه خطورتها أنها في عصرنا الحديث توجهت نحو الأطفال من خلال بعض الألعاب، فإذا بهم ينشئون على

حب القمار، ويكبرون على ذلك ليصبحوا في المستقبل مقامرين، والقمار من الناحية التاريخية آفة من الآفات التي لا ترتبط بعصر أو زمان معين، بل إنها حصلت على مدى العصور والأزمان، ولعله لا يوجد تحديد دقيق للفترة الزمنية التي بدأ فيها اللعب بالقمار ولعله كان من قديم الزمان.

والقمار سبب لمشاكل كبيرة في المجتمع، فإنه من المعروف إن تكوين الثروة من خلال الإنتاج يُفيد المجتمع من خلال تحريك عجلة الاقتصاد، من تشغيل لليد العاملة، وإنتاج لبضائع تُفيد وتطوير للإمكانات الطبيعية المتوافرة، في حين إن القمار هو الحصول على المال من جهة من غير إنتاج لشيء يُفيد المجتمع، وخسارة من جهات لمال كان من الممكن استثماره في تطوير المجتمع الذي يعيشون فيه، فهو تكوين لثروة لدى فرد واحد، من دون فائدة عملية لمجتمع كبير، وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم بقوله سبحانه وتعالى:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾(1).

إن الله ﷻ لا ينفي أن فائدة يمكن أن تحصل من خلال القمار لبعض الأشخاص، سواء من يربح من خلال المقامرة، أو تلك المؤسسات التي تنشأ كدُور للقمار تُساهم في خراب بيوت الآلاف من الناس ليعْمُر بيت بضع عشرات. وكذلك في الخمر فإنه إن استفاد بائعها، ولكن ما هي الخسائر التي يمكن أن تنجم عن تعاطيها في المجتمع وأثرها المدمر عليه.

ليس عجيباً أن يُورد الله دائما الخمر والميسر بشكل متلازم فهما

---

(1) سورة البقرة، الآية ٢١٩.

متشابهان كثيراً، بل إن رفقتهما تكاد لا تنفصم، فإنك نادراً ما ترى مائدة قمار لا خمر عليها، وإن كِلا الآفتان مشتركتان بأنه إن أدمنها أحدهم لا يستطيع بسهولة تركها، والأخطر أنهما مشتركتان في تدمير العائلة التي يبتلى رب الأسرة فيها بالإدمان على أحدها أو كلاهما.

تعريف القمار والميسر:

من المهم عندما نريد التعرض لقضية ما، خاصة في مجال معرفة الحكم الشرعي لها، أن نعرف معنى المفهوم المتعرض له لغة واصطلاحاً. وبالنسبة للقمار هناك لفظان أساسيان لهما علاقة بالقمار، وهما القمار والميسر، ولذلك لا بد من تعريفهما كي نحدد المفهوم من كل منهما، مع الإشارة إلى أن العرف ينظر إليهما باعتبارهما شيئاً واحداً لا مائز بينهما. فالقمار عرفا هو اللعب بآلات معينة بشرط الرهان، وليس هو مطلق المغالبة برهان.

أما من الناحية اللغوية فالقمار كما في القاموس المحيط:

«وقامره مقامرة وقماراً فقمره، كنصره، وتقمره: راهنه فغلبه وهو التقامر»[١].

أما في الشرع فالقمار هو كما نقل الإمام الخميني قدس سره في كتابه المكاسب المحرمة:

«القمار مصدر كل لعب يشترط فيه أن يأخذ الغالب من المغلوب شيئاً سواء كان بالورق أو غيره»[٢].

أما الميسر فإما هو القمار، وإما على ما يظهر من اللغويين، بل من بعض الأخبار انه عبارة عن الجزور التي كانوا يتقامرون عليها، أو

---

(١) القاموس المحيط الجزء ٢ الصفحة ١٢١.

(٢) المكاسب المحرمة (الإمام الخميني) الجزء ٢ الصفحة ٣.

عبارة عن اللعب بالقداح، وهو لعب العرب، وعلى هذا التفسير يكون الميسر اخص من القمار.

وذهب البعض إلى اعتبار القمار مغالبة ومخاطرة فيها المال، أما الميسر فاعتبروا أنه يشمل كل أنواع المخاطرة مما يكون معاوضة، أو يكون رِهاناً، أو يكون معاملة، ولهذا قد يكون في الميسر مقابلة المال، وقد لا يكون.

وعليه يكون الميسر عام والقمار بعض صوره أو أحد شقيه.

الحكم الشرعي للقمار:

القمار حرام من الناحية الشرعية وحرمته مستندة إلى الكتاب والسنة والإجماع. ووقع في حكمه بعض الاختلاف الناتج عن صدق عنوان القمار على اللعب من دون رهن، أو من جهة صدق كون اللعبة الفلانية أو استعمال الآلة المعينة أو التعاطي مع المسألة الفلانية قماراً أم لا.

وقبل الخوض في هذه التفاصيل لا بد من تحديد الحكم الشرعي لأصل القمار، كون الخلاف اللاحق إنما ينتج عن كون المختلف عليه قمار أم لا.

الاستدلال على الحرمة:

يمكن الاستدلال على حرمة القمار من خلال عدة طرق هي على نحو الاختصار. أولها الاستدلال من القرآن الكريم حيث ورد الدليل على التحريم بقوله سبحانه وتعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[(١)].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٩٠.

إن كون الميسر رجس من عمل الشيطان هو دليل واضح على حرمة الميسر، وحيث أن المراد بالميسر هو نفس آلات القمار، وبقرينة حمل الرجس عليها، يكون القمار محرماً. وكون هناك نفع من خلاله فهذا ما لا ينكره أحد، فإن الكثير من المؤسسات التي تدير مسألة القمار تصل أرباحها إلى مبالغ خيالية مع ما فيه من تشغيل لليد العاملة، ولكن هذا النفع إذا ما قيس بالضرر لن يكون له قيمة، بل إن الآثار السلبية ستطغى بحيث تضيع الفوائد المحصلة فالفائدة هي لأشخاص أما الضرر فهو عام يشمل المجتمع بأسره.

ويمكن الاستدلال على الحرمة من خلال جملة من الروايات، الواردة في بيان المراد بالميسر في الآية. والأمر بالاجتناب مطلق شامل لما إذا كان اللعب برهان أو بدون رهان، سيما مع التعبير بأنه رجس من عمل الشيطان.

وقد أشكل البعض على الحرمة المستفادة باعتبار أن الآية الكريمة تحدثت العداوة والبغضاء، وهذا لا يقع إلا من خلال الرهن لا مطلق اللعب بالآلات للترفيه. غير أن هذا غير صحيح لأنه يمكن وقوع التنافس في مجرد الغلبة مع الخصم والتي هي ليست بأقل من التنافس في تحصيل الأموال، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن وقوع البغضاء ليس علة للحكم، حيث أنه حرام سواء وقعت البغضاء أم لم تقع، إذ لا يمكن أن نقول إذا أمن الإنسان الوقوع في الحرام يحل له اللعب.

أما من حيث الروايات التي استدل بها على الحرمة فهناك عدد كبير منها بحيث يخرج سردها الكتاب عن توجهه فهو ليس كتاباً فقهياً، حتى نتعرض لكل الروايات ونجمع بينها ونطرد ما لم يصح منها ونتمسك بالصحيح ومن هذه الروايات، ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في موثقة زرارة حيث قال:

«انه سئل عن الشطرنج ولعبة شبيب التي يقال لها لعبة الأمير، وعن لعبة الثلث، فقال: أرايتك إذا ميز الله الحق والباطل مع أيهما تكون، قال: مع الباطل، قال: فلا خير فيه»[1].

فقوله: (لا خير فيه) وان لم يدل لو خلي ونفسه على التحريم، لكن مقتضى إطلاق الشطرنج وغيره شمولها لما إذا كان اللعب برهان، ولا شبهة في حرمته، فيكون ذلك قرينة على أن قوله (لا خير فيه) كناية عن حرمة الارتكاب واللعب. ومقتضى إطلاقها عدم الفرق بين جعل الرهن وعدمه، ولا خصوصية لما ذكر في الرواية، فتدل على حرمة اللعب بكل آلة قمار.

اللعب بآلات القمار:

لا إشكال في كون اللعب بآلات القمار مع الرهن هو المصداق العملي للقمار، وبالتالي فهو حرام شرعاً بلا خلاف، والرهن هو مال يتفق عليه المقامرين ويكون من نصيب الرابح ويدفعه الخاسر في اللعب، ولكن مع وضوح الحرمة في اللعب وقع الكلام في حرمة اللعب بآلات القمار من دون رهان، كالذين يلعبون بالورق المعد للقمار للتسلية فقط، وهذه المسألة هي من المسائل التي وقع فيها الكثير من الخلاف بين الفقهاء، وهي من الأمور التي كثيراً ما يقع فيها المؤمنون، إما عصياناً، أو اشتباهاً، ولذلك كان لا بد ونحن نتحدث عن القمار والمشاكل المترتبة عليه من تبيان وجهة النظر الفقهية في هذا المجال، وهنا لا بد من تبيان أمور مهمة كي لا نقع بمشاكل في حياتنا العملية وهذه الأمور هي على الشكل التالي:

(١) وسائل الشيعة الجزء ٢٣٨ الصفحة ١٢.

١ ـ اللعب مع الرهن:

بينا أعلاه أن اللعب بآلة القمار مع الرهن حرام شرعاً وأن هذا الحكم وصل إلى أن يكون ضرورياً فلا نزيد.

٢ ـ ملكية الرهن:

لو ارتكب أحدهم الإثم الشرعي ولعب بآلة القمار مع الرهن، وربح من خلال ذلك مالاً فما هو حكم هذا المال؟ وهل يجوز له تملكه والتصرف فيه؟ الحقيقة إن هذا المال هو أبرز مصاديق السحت وبالتالي لا يجوز للرابح في القمار تملك هذا المال، لأنه أكل للمال بالباطل ويدل على ذلك

قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[١].

فأكل المال من خلال القمار ليس أكلاً للمال بالحق، بل هو أكل للمال من خلال عمل محرم وهو الباطل بعينه، وبنفس الوقت ليس هذا الأكل تجارة لأنه لا يوجد بيع وشراء، ويدل على ذلك أيضاً ما ورد في تفسير نفس هذه الآية الكريمة حيث سئل الإمام الصادق عليه السلام عنها حيث قال:

«عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ قال: وكانت قريش يقامر الرجل بأهله وماله فنهاهم الله عن ذلك»[٢].

وهذا الحديث الشريف يدل بوضوح على أن المقصود من حرمة

---

(١) سورة النساء، الآية: ٢٩.

(٢) وسائل الشيعة الجزء ١٢ الصفحة ١٢٠.

أكل الأموال بالباطل الوارد في الآية الكريمة هو الكسب من خلال القمار. ولا يقال هنا ألم يرضى المقامر الآخر بأخذ الرابح للمال، فيكون قد أخذه عن طيب نفس ورضا؟ إذ إن المسألة غير مرتبطة برضا الطرفين أو الأطراف بإعطاء ماله للآخر، بل إن نفس المعاملة محرمة وبالتالي لا يحلل المال المكتسب من خلالها الرضا وعدمه.

٣ ـ اللعب بآلات القمار مع عدم الرهن:

ذهب البعض إلى عدم حرمة اللعب بأدوات القمار، فضلاً عن غيرها، باعتبار أن حرمة القمار مستندة إلى حرمة أكل المال بالباطل، الذي هو مصداق للقمار، وبالتالي يكون غاية إطلاق الآية الكريمة هو حرمة أكل المال المتحصل بسبب القمار، فإن لم يكن هناك مال من خلال عدم الرهان فلا حرمة، وبالتالي فإن اللعب بأدوات القمار فضلاً عن غيرها من دون رهان ليس بحرام. وبالتالي فإن الذين يذهبون إلى أن الروايات التي يظهر منها حرمة اللعب ليس حرمة مطلق الباطل وكل ما ألهى عن ذكر الله، بل ما كان كذلك وكان مؤدياً إلى أكل المال بالباطل الذي هو أساس الحرمة.

وهذا الرأي ناقضه العدد الأكبر من الفقهاء الذين ذهبوا إلى حرمة اللعب بآلات القمار مع رهن ومن دونه، وبالتالي فإنهم يرون أن اللعب بأدوات القمار ولو كان للتسلية هو غير جائز من الناحية الشرعية، وقد استندوا في ذلك إلى إطلاق آية الخمر والميسر التي لم تميز بين الرهن وعدمه، ولكن وقع الاعتراض بأن صدق عنوان الميسر والقمار لا يكون إلا مع الرهن كما ورد في مجاميع اللغة فقد ورد في القاموس المحيط:

«وقامره مقامرة وقماراً فقمره، كنصره، وتقمره: راهنه فغلبه، وهو التقامر»[1].

---

(١) القاموس المحيط الجزء ٢ الصفحة ١٢١.

فحيث لا رهان لا قمار حتى لو كان المستعمل في اللعب آلة من آلاته، ولكن بالرجوع إلى الأحاديث الشريفة وهي كثيرة ورد النهي عن مجرد اللعب بآلات القمار ولو من دون رهن. فقد ورد في الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام في حديث المناهي قال:

«نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن اللعب بالنرد والشطرنج والكوبة والعرطبة وهي الطنبور والعود ونهى عن بيع النرد»[1].

ودليل هذه الرواية على النهي عن اللعب بآلة القمار ولو من دون رهن واضح. وفي رواية أخرى عن الإمام الباقر عليه السلام فيما رواه علي بن ابراهيم في تفسيره عن أبي الجارود أنه قال من تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[2] قال: «أما الخمر فكل مسكر من شراب إلى أن قال: وأما الميسر فالنرد والشطرنج، وكل قمار ميسر، وأما الأنصاب فالأوثان التي كانت تعبدها المشركون، وأما الأزلام فالأقداح التي كانت تستقسم بها المشركون من العرب في الجاهلية، كل هذا بيعه وشراؤه والانتفاع بشيء من هذا حرام من الله محرم وهو رجس من عمل الشيطان، وقرن الله الخمر والميسر مع الأوثان»[3].

فنجد أن الرواية الأولى نهت عن اللعب بأوراق القمار بشكل مطلق ولو من دون رهن في حين أنه من رواية أبي الجارود ورد توصيف النرد والشطرنج بأنه ميسر، وبالتالي فإنه وبالجمع العرفي بين الروايتين يمكن لنا الاستدلال على حرمة اللعب بأدوات القمار مطلقاً حتى من دون رهان.

٤ ـ الرهن باللعب بآلة غير معدة للقمار:

يمكن الرهان على أي شيء وليس بالضرورة استعمال آلة لذلك،

---

(١) وسائل الشيعة الجزء ١٢ الصفحة ٢٣٣ ـ ٢٣٤.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٩٠.

(٣) وسائل الشيعة الجزء ١٢ الصفحتان ٢٣٩ ـ ٢٤٠.

فيمكن الرهان على من يصل قبل الآخر في السباق، أو من يصل حجره إذا رماه مسافة أكبر، أو أي شيء من هذا القبيل، فهل يكون هذا من القمار؟ وهل يكون هذا الفعل محرماً من الناحية الشرعية كما هي حرمة القمار؟ أو أن هذا الأمر جائز ولا إشكال فيه؟.

ذهب الفقهاء إلى حرمة ذلك أيضاً لصدق القمار عليه عرفاً، وما ورد التحريم فيه العنوان، وأما ما ورد من عناوين خاصة فهي من باب المصاديق لا أكثر ولا أقل. ويمكن الاستدلال على الحرمة أيضاً من قوله سبحانه وتعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾[1].

فلا يجوز تحصيل المال بالأسباب الباطلة كالقمار والبخس والسرقة ونحوها. ويؤيده استثناء التجارة عن تراض، فكأنه قال: لا يجوز تحصيل الأموال بشيء من الأسباب الباطلة، لكن لابد وان يكون بنحو التجارة عن تراض، فتدل الآية بإطلاقها على حرمة كل لعب يكون فيه رهن.

هذا إضافة للإجماع على الحرمة، وإن أُشكل على هذا الإجماع بأنه مدركي، ولورود النصوص الكثيرة في حرمة الرهان على أي شيء ما خلا الرهان على الخيل، والنصل، والخف، والريش، فقد ورد في الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«إن الملائكة لتنفر عند الرهان، وتلعن صاحبه ما خلا الحافر، والخف، والريش، والنصل، وقد سابق رسول الله صلى الله عليه وآله أسامة بن زيد وأجرى الخيل»[2].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٢٩.

(٢) من لا يحضره الفقيه الجزء ٤ الصفحة ٥٩.

وأما دلالة الرواية على الحرمة، فلقوة ظهورها في الرهان، بمعنى السباق واللعب برهن لا بمعنى المال المرهون، أو جعل الرهن سيما مع استشهاده بمسابقة رسول الله ﷺ أسامة بن زيد، بل هو دليل على إن المستثنى السباق برهن بالمذكورات، أي أن السباق الجائز هو ما كان فّي خف أو حافر أو ريش أو نصل، فيكشف عن إن المستثنى منه هو حرمة السباق برهن إذا كان بغيرها. وأما اللعن فالظاهر منه أن العمل الموجب له محرم، وقد استعملت مادة اللعن في القرآن الكريم فيما يقرب من أربعين مورد، ولم يرد واحد منها في الكراهة. ومن خلال جميع ما تقدم نصل إلى أن الرهان ما خلا الأمور المتقدمة حرام من الناحية الشرعية.

٥ ـ المال المأخوذ كرهن بآلة غير معدة للقمار:

بغض النظر عن حلية اللعب بالآلات غير المعدة للقمار مع الرهن وعدمه، فما هو حكم المال المأخوذ بموجب هذا الرهان؟ الظاهر أنه من الناحية الشرعية إن هذا المال لا يحل لآخذه، وذلك لورود أحاديث تنهى عن تملكه منها ما رواه محمد بن قيس عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«قضى أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام في رجل أكل وأصحاب له شاة فقال: إن أكلتموها فهي لكم، وإن لم تأكلوها فعليكم كذا وكذا، فقضى فيه: أن ذلك باطل لا شيء في المؤاكلة من الطعام ما قل منه وما كثر، ومنع غرامته فيه»[1].

فمقتضى الحديث الشريف أن الرهان حرام من الناحية الشرعية، مع أن ذلك لم يكن بآلة من آلات القمار، فقضى أمير المؤمنين الإمام

---

(١) الكافي الجزء ٧ الصفحة ٤٢٨.

علي عليه السلام أنه لا شيء في المؤاكلة، فهي ليست من المعاملات التي أمضاها الشارع، كما أمضى المزارعة والمساقاة وغيرها، فأكلهم للشاة كان بالإباحة المالكية، وعدم وفائهم بالشرط هو من كونهم غير ملزمين بالوفاء شرعاً بالشرط الفاسد.

٦ ـ اللعب بغير الآلات المعدة للقمار بلا رهان:

لا ينبغي الريب في عدم صدق عنواني القمار والميسر عليه، ذلك إن هذه الآلات ليست الآلات للقمار، إضافة إلى إنه لا رهان الذي هو مقوم من مقومات القمار. وحيث أنه لا دليل على حرمة مجرد اللعب، فبالتالي لا إشكال في عدم حرمة اللعب بالآلات غير المعدة للقمار إن كان بلا رهان.

٧ ـ أنواع جديدة من القمار:

في عصرنا الحديث هذا كثرت الفنون التي ابتدعها الناس للرهان والقمار، وبعضها للأسف صار من الأمور التي يدمنها أطفالنا، وتدخل في شخصيتهم، بحيث يصبحون عند كبرهم مقامرين من الدرجة الأولى، ففي المدرسة تجد ما يطلق عليه (السحبة)، وهي أن تدفع مالاً وتأخذ مثلاً كيساً، أو علبة يكون في داخلها، إما عبارة جرب حظك مرة أخرى، أو أنه ربح ما يفوق سعره ما دفعه ثمناً للسحبة، وهذا نوع من أنواع المراهنة والقمار وهو حرام من الناحية الشرعية، نعم لو كان ما هو مقابل ما دفعه من ثمن موجود في ضمن السحبة فإن الإشكال يرتفع من جهة ولكن المشكلة التربوية تبقى على حالها، ومن هذا القبيل ما تجده في مدن الملاهي والسوبر ماركت وغيرها من الأماكن التي يوجد فيها هكذا نوع من عروض.

٨ ـ أوراق اليانصيب:

ذهب أكثر الفقهاء إن لم نقل أن هناك إجماعاً بينهم على حرمة بيع

أوراق اليانصيب، والتي هي أوراق يشتريها شخص ما بمبلغ محدد ثم يعمل قُرعة فيما بين المشترين، فمن خرج رقمه بواسطتها يربح الجائزة المحددة لهذا الرقم، والعلة في الحرمة أنها مشابهة لما نهى الله سبحانه وتعالى عنه مما كان يحصل في الجاهلية في موضوع الإستقسام بالأزلام حيث قال:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

فإن الذي كان يحصل في هذا الموضوع قد تم شرحه من قبل الإمام الرضا عليه السلام في جوابه على عبد العظيم بن عبد الله الحسني حيث قال:

«.... قلت: (وان تستقسموا بالأزلام)؟ قال: كانوا في الجاهلية يشترون بعيراً فيما بين عشرة أنفس ويستقسمون عليه بالقداح، وكانت عشرة: سبعة لها أنصباء، وثلاثة لا أنصباء لها، أما التي لها أنصباء فالفذ، والتوأم، والنافس، والحلس، والمسبل، والمعلى، والرقيب، وأما التي لا أنصباء لها فالفسيح، والمنيح، والوغد، فكانوا يجيلون السهام بين عشرة فمن خرج باسمه سهم من التي لا أنصباء لها ألزم ثلث ثمن البعير، فلا يزالون بذلك حتى تقع السهام الثلاثة التي لا أنصباء لها إلى ثلاثة منهم فيلزمونهم ثمن البعير ثم ينحرونه ويأكله السبعة الذين لم ينقدوا في ثمنه شيئاً، ولم يطعموا الثلاثة الذين نقدوا ثمنه شيئاً فلما جاء

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

الإسلام حرم الله تعالى ذكره ذلك فيما حرم فقال ﷺ: ﴿...وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ﴾»[1].

ومن الواضح أن اليانصيب مشابه لهذا الأمر، فكما أن الثلاثة هنا دفعوا ثمن البعير ففي اليانصيب هناك مجموعة أكبر من الناس يدفعون الجائزة لمجموعة أخرى من الرابحين، وبالتالي يمكن اعتبار هذا الأمر مطابقاً لما نهى الله سبحانه وتعالى عنه وبالتالي يُحكم بحرمته.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنه يمكن أن يقال أنه في موضوع الأزلام هناك بعير، وبالتالي قد يكون بذل المال في إزائه مصححاً لهذا البذل ومع ذلك نهى الله سبحانه وتعالى عنه، أما في اليانصيب فلا يوجد بعير ولا شيء يبذل المال بإزائه، بل هناك استيلاء على أموال الآخرين من خلال عملية هي مصداق للقمار بشكل واضح، وبالتالي فإن الحرمة سببها كون اليانصيب مصداقاً من مصاديق القمار. وذهب فقهاء آخرون إلى أن الحرمة ناتجة عن الغرر والجهالة، فإن ما تدفع المال بإزائه غير معروف، واحتمال الحصول عليه ضعيف جداً، إضافة إلى عدم صدق البيع على هذه المعاملة، ومن المعروف أن كل معاملة دائرة بين الغرم الذي هو ما يُصيبُ الإنسان في ماله من ضررٍ بغيرِ جنايةٍ، منه أو خيانة وبين الغُنم الذي هو الفوز بالشيء من غير مشقة. وبالتالي فإن أي معاملة لا يدري فيها المتعامل هل يكون غانماً أم غارماً تكون معاملة محرمة، وعليه فإن كل هذه الأمور تؤدي إلى الحكم بحرمة اليانصيب بيعاً وشراءً.

نعم لو كان الأمر كما يحصل في بعض الحالات، من قيام بعض المؤسسات الاجتماعية الخيرية بتصدير أوراق يانصيب بقصد دعم عمل هذه المؤسسات فهذا لا إشكال فيه، كون الدفع كان بقصد التبرع للجمعية وليس في مقابل الحصول على الورقة أو الجائزة ومع ذلك فلو

---

(١) من لا يحضره الفقيه الجزء ٣ الصفحة ٣٤٤ ـ ٣٤٥.

وقعت القرعة عليه فيصح له تملك هذا المال بلا إشكال. غير أن بعض الفقهاء ذهبوا إلى حرمة حتى هذا النوع من اليانصيب، حتى لو كان سيضع ما سيحصله في عمل الخير كبناء المساجد مثلاً، فإن الأموال المحصلة تبقى على حرمتها، ولا يمكن التقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى لأنه لا يطاع من حيث يعصى، ولأن الله ﷻ طيب لا يقبل إلا طيباً.

ومن هذا القبيل أيضاً ما تقوم به بعض المؤسسات التجارية من توزيع أوراق يانصيب مجاناً مقابل الشراء بقيمة معينة، فهذه أيضاً لا إشكال فيها، والمال المأخوذ فيما لو وقعت القرعة عليه جائز ولا إشكال في تملكه.

٩ ـ شهادات الاستثمار:

شهادات الاستثمار هي عبارة عن شهادات يصدرها بعض البنوك في بعض الدول، ويقوم الزبائن بشرائها من البنك ويجري السحب عليها شهرياً، والشهادة التي تفوز تربح مبلغاً كبيراً من المال، مع احتفاظ صاحب الشهادة برد الشهادة إلى البنك وأخذ قيمتها في أي وقت شاء. ومن الناحية الشرعية وبغض النظر عن الرأي الشرعي في المعاملات البنكية لجهة كونها ربوية وعدم ربويتها، فقد اختلفت أراء الفقهاء في هذه الشهادات، فمنهم من قال بأنها مثل اليانصيب، وبالتالي فهي معاملة من معاملات القمار والميسر وهي من الكبائر، وبالتالي فهي محرمة والمبلغ الذي يفوز به صاحب الشهادة الرابحة سحت لا يجوز تملكه. ومنهم من اعتبر أنها تختلف باختلاف طبيعتها، فإن كانت مجانية فهي من قبيل الهبة التي لا إشكال في صحتها إن كانت المعاملة مع البنك في الأصل جائزة، ومن قبيل ذلك في الحكم ما لو كانت قيمتها جزء من المبلغ الذي يحتسبه البنك لصاحب الإيداع، ومنهم من قال بجوازها مطلقاً باعتبار أنها لا تأخذ حكم اليانصيب أولاً لأن صاحب الإيداع لا يشتريها، وثانياً لأن الهدف الأساسي من إيداعه للمال في البنك هو

حفظه لا الحصول عليها، وهي إنما جاءت إليه عرضاً ومن دون قصد منه. وأنا استقرب الرأي الأخير وإن كان الأمر بالاجتناب عن القمار الذي هو أعظم من مجرد النهي يقتضي الاحتياط بالابتعاد عما يُشتبه بأنه كذلك، فكيف بما هو من الناحية الموضوعية يعتبر كما هو رأي عدد معتبر من الفقهاء منها، وكما أفاد به بعض أهل الخبرة في هذا المجال.

١٠ ـ الجوائز على المشتريات:

في عصرنا الحديث اشتهر قيام بعض المؤسسات والمحلات التجارية بنشر إعلانات في الصحف وغيرها عن تقديم جوائز لمن يشتري من بضائعهم المعروضة، مما يُغري بعض الناس على الشراء من هذا المحل دون غيره، أو يشتري سلعاً ليس له فيها حاجة طمعاً في الحصول على إحدى هذه الجوائز التي قد يحصل عليها وقد لا يحصل.

وهنا يوجد نوعان من الهدايا. النوع الأول وهو الهدية المتصلة بالسلعة والتي تأخذها بمجرد شرائك لها، وهذا من قبيل الهدية لا إشكال فيه. والنوع الثاني هو الهدية التي تخرج بالقرعة بأن يأخذ كل مشترٍ لسلعة ورقة لها رقم محدد وتجرى القرعة بعد مدة محددة ويربح الهدية من يخرج رقمه بالقرعة، وهنا إن كانت هذه الورقة الموزعة مع السلعة لا يُدفع بإزائها المال فهي هنا أيضاً لا إشكال في الهدية، كونه لم يدفع بإزائها المال، وما دفع بإزائه المال هو نفس السلعة، وبالتالي لا غبن ولا غرر على كلا المتبايعين، ولا يقع هنا إشكال البعض بأنه لو لم يكن هناك هدية أو سحب للقرعة لما اشترى هذه السلعة وتوجه لغيرها، أو لم يشتر بالأصل، إذ ليس لديه رغبة بالشراء في الأصل لولا ذلك، لأن ذلك يكون من قبيل الداعي للعمل الذي لا يؤثر في تغيير الحكم الشرعي المتعلق به، سواء أكان في الأصل حراماً أم كان حلالاً، وبالتالي فإن عمله جائز شرعاً كون ما فعله من عقد تتوافر فيه جميع شروط الصحة.

أما إذا كان سيدفع في مقابل هذه الورقة مبلغاً من المال مهما كان سعره، أو أن السلعة سيزيد سعرها بهذا الاعتبار ففي ذلك إشكال، من كون هذه المعاملة نوعاً من أنواع القمار المحرم شرعاً، والمؤدي إلى أكل أموال الناس بالباطل. وبالتالي فإن الجائزة التي تحصل من طريقه محرمة، لكونها من الميسر المحرم شرعاً وهو القمار. وهذه المقامرة ليست من التجارة التي تباح بالتراضي، بل هي من الميسر الذي حرمه الله لما فيه من الغرر والخداع وأكل المال بالباطل، ولما فيه من إيقاع الشحناء والعداوة بين الناس.

نعم هنا إشكال من نوع آخر وهو أخلاقي، لجهة أن ذلك يعتبر نوعاً من التنافس غير الشريف، كونه نوع من الإغراء الذي يؤدي إلى رواج سلعته وكساد سلع الآخرين المماثلة ممن لم يقم بنفس فعله.

بيع الآلات القمار:

حرمة لعب القمار من الأمور التي أجمع عليها المسلمون على اختلاف مذاهبهم، بل إنها ضرورة من ضروريات الدين بحيث أن منكرها كافر بإجماع المسلمين أيضاً، كون هذا الإنكار يعتبر تكذيباً لكتاب الله ﷻ ولرسوله الكريم ﷺ ولا إشكال في كفر من يفعل ذلك.

هذا من جهة حرمة اللعب، ولكن حرمة بيع أدوات القمار فإنها تستند إلى كثير من الأحاديث الشريفة، منها ما ورد في حديث أبي الجارود المتقدم والتي نصت بشكل واضح على حرمة بيع ما كان آلة من آلات القمار.

كما إننا بيّنا حرمة اللعب بالآلات القمار سواء برهن أو من دون رهن، فإن كانت كذلك فيكون بيعها وصنعها حرام لأن لا استعمال لها سوى بالحرام، ومع انحصار الاستفادة منها بالحرام يكون بيعها حراماً،

وبيعها حرام أيضاً لكونه نوع من أنواع الإعانة على الإثم والعدوان ولا إشكال في حرمة ذلك.

مشكلة من الواقع:

يسأل بعض الناس أنه ماذا لو اضطر الإنسان إلى بيع اليانصيب، كأن لم يكن لدى هذا الشخص إمكانية لعمل آخر؟ والجواب أنه في الأصل لا يجوز له ممارسة هذه المهنة وهي حرام، والمال الحاصل منها سحت بلا إشكال، ولكن لو اضطر الإنسان لهكذا عمل فبعد أن يبذل كل جهده في البحث عن عمل آخر ويأسه من ذلك فإنه يجوز له أن يبيع بالمقدار الذي يخرج فيه عن الاضطرار، بمعنى أنه لو كان بحاجة إلى مبلغ معين فإنه يجوز له أن يعمل للحصول على هذا المبلغ فإذا حصّله لا يجوز له أن يعمل أكثر من ذلك، والسبب أن الضرورات تقدر بقدرها ولا يجوز التعدي إلى خارج إطار الضرورة وإلا كان متعدياً.

وقد مر معنا أثناء علاجنا لقضايا بعض الناس حالات من هذا النوع لم تجد عملاً واضطرت إلى أن تعمل ببيع اليانصيب، ومن ثم أدمنت على هذا العمل وأصبح مهنتها الأساسية، وبنوا مستقبلهم على هذا الأساس، والسبب في ذلك أن هؤلاء عندما وجدوا أن الحل قد حصل لم يقوموا ببذل أي جهد للبحث عن عمل آخر، وألِفوا هذا العمل واستسهلوه، في حين أن واجبهم كان يفرض عليهم أن يقوموا ببذل أقصى الجهد للحصول على عمل آخر جائز شرعاً، وإلى حين تحصيلهم له يعملوا على أن يكون تحصيلهم لمعيشتهم من خلال بيع اليانصيب لا يتعدى الحاجة الضرورية، كيلا يدخل إلى جيوبهم مال محكوم بكونه سحت، في حين إن بعض الأشخاص سمعوا منا وامتثلوا الحكم الشرعي فوفر الله سبحانه وتعالى لهم المخرج، وحصلوا على عمل مناسب أكملوا على أساسه حياتهم من دون مشاكل ورزقهم الله ﷻ من رزقه

الواسع الوفير، وهو الذي وعدنا أننا لو اتقيناه فإنه سيوفر لنا المخرج بقوله تعالى:

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[1].

إن المسألة تعتمد أساساً على أن ينسجم المرء مع التزامه ودينه، فلا يقوم بفعل ما نهاه الله سبحانه وتعالى عنه، ولا ترك ما أمره بفعله، ومن يقم بذلك فإن الله سبحانه وتعالى سيوفر له المخرج الملائم من كل مشاكله.

مشاكل عملية:

اخترت من الحياة العملية، ومن خلال ما واجهت من قضايا، بعض العناوين الأساسية لما يمكن أن يحصل من مشاكل تؤثر على الحياة بشكل عام والحياة الزوجية بشكل خاص، وقد يكون هناك عناوين أخرى، غير أن هذه أهمها وهي على الشكل التالي:

أ ـ تداول المال من دون فائدة للمجتمع:

من المشاكل العملية التي تحصل بسبب القمار هو إن دفع المال في هذه العملية يكون عادة بلا أية فائدة للمجتمع، ومن المعروف أن الإسلام يريد أن يتم تداول المال في المجتمع بشكل يؤدي إلى استثماره في فائدة هذا المجتمع، بأن يكون المال سبباً لإنتاج مواد أو سلع يكون لها إسهام في سد حاجات المجتمع، وبطريقة أبسط أقول أن الإسلام

---

(١) سورة الطلاق، الآية: ٢.

يريد أن يكون الفرد في المجتمع منتجاً، فإذا كان لديه مال يستخدمه في مشروع إنتاجي يُثمره وينتج ما يحتاجه المجتمع، كأن ينشئ مصنعا أو يبني مزرعة أو أي عمل تجاري، وقد ورد عن إبن عباس رضي الله عنه أنه قال:

«كان رسول الله ﷺ إذا نظر إلى الرجل فأعجبه قال: له حرفة؟ فإن قالوا لا قال: سقط من عيني، قيل: وكيف ذاك يا رسول الله؟ قال: لأن المؤمن إذا لم يكن له حرفة يعيش بدينه»[1].

وكلام رسول الله ﷺ هذا يعني أن الإسلام يريد أن يكون كل فرد من أفراده، ولكي ينال احترام الله ورسوله عنصراً منتجاً مفيداً. وانطلاقاً مما تقدم فإن القمار هو بذل للمال من دون أية فائدة مرتجاة، ومن دون أي إنتاج ومن يمكن أن يستفيد منه حيث أن الله ﷻ لم ينكر وجود بعض هذه المنافع، هو لمن يعمل في هذا المجال كموظف، أو محاسب، أو للشركة التي أنشأت مركز القمار، أو مؤسسته، وهذه المنفعة مهما بلغت إلا إنها لا تقارن بحجم الضرر الناتج عن تضييع المال، أو العداوة، والبغضاء التي ستنتشر في المجتمع أو أية آفة أخرى مما عرضناه أو سنعرضه.

ب ـ صرف المال وعدم إبقاء شيء للعائلة:

إن المقامر إن ربح مرة فهو سيخسر ألف مرة، ونادراً ما ترى إنساناً كوّن ثروة من وراء القمار، بل إن التجربة العملية والاستقراء يؤكدان أن كل من أدمن القمار وقع بخسائر أدت في كثير من الأحيان إلى تدمير حياة المقامر خاصة، وحياة المحيط الذي حوله بشكل عام. وبالتالي فإنه لا يمتلك من المال ما يكفيه لقماره فكيف لنفقة عياله، فيصرفه كله على القمار ويترك العائلة بلا نفقة، فهمه الأكبر هو السعي

---

(١) مستدرك الوسائل الجزء ١٣ الصفحة ١١.

لتحقيق حلمه في ربح كبير يجعله وبسهولة من أغنى الأغنياء، أما العائلة ونفقتها وطعامها ودوائها وحاجاتها الضرورية فهي لا تهمه، ولا يفكر فيها وعليها أن تنتظر معه اليوم الذي سيربح فيه فيُعوِض عليهم كل ما خسروه.

إن الحياة التي تعيشها هذه الزوجة تصل إلى مرحلة تصبح معها لا تطاق فما الذي تفعله؟ هل تسكت وتترك هذا الزوج يُبَدِد كل ماله في الهواء وفي بيته بطون جائعة، وأجسام عُريانة، وأبدان مريضة؟ أو تقوم بمحاولةٍ لاستنقاذ ما أمكن من مال لنفقتها ونفقة أولادها؟ أليس هذا سرقة؟ وهل يجوز لها فعل ذلك؟

من الناحية الشرعية إذا تمنع الرجل عن إعطاء زوجته نفقتها، جاز لها بعد استئذان الحاكم الشرعي أن تأخذ من ماله حقها من دون علمه، وهي بذلك لا تكون سارقة، وهذه ليست سرقة، بل استنقاذ لحقها الواجب عليه منه، وبالتالي فإن هذا مالها وليس ماله، وقد يقال إذا كان هذا مالها فلما استئذان الحاكم الشرعي؟ والجواب إن ذلك أولاً تنظيم لإدارة شؤون المجتمع كي لا يتحول كل واحد منا حاكماً ومُنَفِذاً، وثانيا لأنه قد يرى الحاكم مصلحة في استدعائه واتخاذ قرارات تُلزمه من خلال حجز راتبه في مؤسسته وقبضه من الزوجة مباشرة، أو بأية وسيلة أخرى غير تلك التي قد تُوقِعها في إشكالات هي بغنى عنها، وثالثاً إننا لو فتحنا هذا الباب فإن ذلك سيجعل الكثير من الزوجات السيئات يقومون بسرقة أزواجهن، ثم عند سؤالهن عن ذلك يدعين أن أزواجهن، لا ينفقون عليهن، فاضطررن لاستنقاذ حقهن منهم، وهذا يؤدي إلى فساد وفوضى كبيرين في المجتمع، والإسلام يحرص على أمن المجتمع وسلامة أفراده.

ج ـ بيع كل شيء بسبب الحاجة إلى المال للمقامرة:

من الطبيعي إن المقامر خاسر لا محالة كما قلنا، وهو يسعى من

خلال مرضه هذا إلى أن يكرر لعبه مرة بعد أخرى لأن الشيطان يزين له سوء عمله هذا فيُمنيه بأنه سيربح مرة أخرى، وأمام هذا الوضع يبدأ بالضغط على زوجته أو ابنته أو أي فرد آخر من أفراد العائلة ليبيعوا الذهب أو أي شيء ثمين آخر، ويعِدهم بردِه إليهم ولكنه لا يفعل لأنه سيعود للخسارة من جديد فيطالبهم بمبلغ أكثر مما قبضه منهم في اليوم التالي، فيبيعون جزءاً منه محاولين الحفاظ على شيء منه لا للزينة بل لغدر الزمان كما يقال، ولكن الذي يحصل أنه سيخسر مرة أخرى. ويُفكر ملياً بعد أن يعود إلى البيت مساء، وعلى ضوء تزيين الشيطان يطلب منهم أن يبيعوا الذهب المتبقي معهم، وقد يطلب منهما أن يبيعوا شيئا آخر لتأمين مبالغ كافية لتجربة ثالثة، ورابعة، بل وللمرة الألف، وفي كل مرة يعود خاسراً، فيبدأ بالضغط من جديد عليهم ليبيعوا ما تبقى، وأمام الضغط ينصاعوا له ويبيعوا ما تبقى ولكنه يخسر مرة أخرى، وعليه يُصبح مفلساً تماماً ولا يبقى له من المال شيء، ولا بد هنا من أن يفش خلقه بالأولاد والزوجة، ومع أنه وصل إلى مرحلة الإفلاس فيظل يُمني النفس بربح يُنقِذه مما هو فيه، فهو قد أدمن وأصبح مريضاً لا علاج له، وبمجرد أن يأتي آخر الشهر يأخذ معاشه ومباشرة إلى طاولة القمار ليخسره مرة أخرى، ويضيع كل شيء وفي هذه الحالة، وبعد استحالة شفاء هذا الرجل من مشكلته هذه، قد يصل به الأمر كما حصل مع بعضهم ممن عاينا مشكلتهم، أن يطلب من زوجته أن تبيع شرفها لزملائه في طاولة القمار أو لمن استدان منه في مقابل أن يحصل على المال، وهو ولأنه كما يقول لها كريم سيشكر لها هذه التضحية، ولن يطالبها بها، وستصبح بعينه أفضل من السابق، لأنها بالنسبة إليه ضحت من أجله بأغلى ما تملك، وهنا نوعان من النساء الأغلب منهن يلجأن إلى الهروب من هذا الواقع واللجوء إلى القضاء الشرعي مطالبين بالطلاق، في حين أن البعض الآخر ينصاع تحت حجة ضغط الظروف، والتمسك بالعائلة

وعدم تفككها إلى تنفيذ رغبته، والفاجعة تحصل عندما يطلب منها ذلك مراراً لتصبح مومساً، أو أنه وبعد حصوله على ما يريد تسقط من عينه ويطلقها، لأنها بالنسبة إليه وبعد عودة وعيه إليه امرأة غير شريفة سلمت جسدها لشخص آخر غيره، فتسقط هذه العائلة في كل الأحوال التي تحدثنا عنها في مهاوي الرذيلة، أو تصل إلى الطلاق مع ما يلازم ذلك من تفكيك الأسرة وضياعها.

إن الحل الأفضل للمرأة في هذه الحالة، وقبل وصول الأمر إلى هذه المراحل الخطيرة، هو أن تطلب الزوجة الطلاق مع الاحتفاظ بأولادها، لأنه أي الزوج يشكل خطراً عليهم، وليكن ذلك من خلال الحل الحبي، فإن أصر الزوج على عدم الطلاق تلجأ المرأة إلى الحاكم الشرعي، الذي يجبر الزوج إما على ترك ما هو عليه مع ضمانات كافية أو الطلاق، فإن رفض كلا الأمرين فإن الحاكم الشرعي يمكن له أن يطلقها منه مع تحميله كافة المسؤوليات المترتبة على ذلك.

د ـ صرف الوقت في اللعب وإهمال العائلة:

من المشاكل الناتجة عن لعب القمار، وإن لم تؤد إلى خسارات مالية كبيرة، كأن يكون الزوج محظوظاً على طاولة القمار، أو أن يكون غنياً لا تؤثر الخسارة عليه، مشكلة ذلك الوقت الطويل الذي يقضيه الزوج على طاولة القمار، ففي الصباح الباكر يذهب إلى عمله ليأتي بعد الظهر ليأكل سريعاً وينام بضع ساعات ليُجهز نفسه لتلك الليلة، التي يحتاج فيها إلى كامل حضوره الذهني، فإذا ما حاولت زوجته سؤاله عن بعض الأمور الخاصة بالبيت والعائلة كان نصيبها الصد، إن لم يكن الإهانة وتوجيه الكلمات النابية، فإذا ما استيقظ سارع إلى طاولة القمار ليسهر عليها إلى قُبيل الفجر، فيعود خاسراً متعباً فينام ثم في الصباح يذهب إلى عمله، وهكذا تدور الأيام وحتى أيام العطلة التي من المفترض أن يُفَرِغها لعياله يكون سلفا قد اتفق مع شركائه في اللعب

على الاجتماع للعب في النهار وفي الليل ليكون لهم فرصة طويلة لذلك.

في هذه الحالة يصبح هذا الزوج بالنسبة إلى عائلته كأنه غير موجود، بل إن حضوره كغيابه، حتى لو تحدثنا عن الموضوع الجنسي فإنه لا يجد الوقت لذلك، فعندما يعود في آخر الليل إلى بيته تكون الزوجة قد نامت، إضافة إلى أنه وبسبب تعبه غير قادر جسدياً، وبسبب خسارته يكون غير قادر نفسياً، وتعيش هذه الزوجة المعاناة من ذلك بشكل كبير، وتُقاسي صُنوف عذاب نفسي لا يُطاق بحيث تتحول حياتها إلى جحيم ومهانة كبيرين.

وقد يتطور الأمر عند البعض إلى درجة فش الخلق كما يقولون بالزوجة، فإذا ما عادوا من خسارتهم أيقظوها ليضربوها، والسبب أن الخاسر في القمار يؤمن كثيراً بما يسمى بالنحس وقلة الحظ، فبعض النساء جاءتني مَضروبة ضرباً مبرحاً، والسبب في ذلك أن هذه الزوجة طالبته قبل ذهابه إلى اللعب بأمور لها علاقة بالعائلة، ما أدى إلى أن تؤخره ساعة أو أكثر بقليل عن موعد اللعب،إ فرفض ولكنها أصرت ووقع بينهما نقاش، وقال لها إن هذا الذي حصل منك سيؤثر علي اليوم وفأل شؤم قد يؤدي إلى أن لا أوفق فو الله إن خسرت لأضربنك ضرباً قاتلاً، ونامت هذه المظلومة تدعو الله أن يُربحه لا حباً فيه بل خوفاً من النتيجة المترتبة على خسارته، ولكنه خسر وجاء في الليل ومن دون أدنى إنذار ابتداء بالضرب وهي نائمة في فراشها لتستيقظ مرعوبة، ويستيقظ الأطفال كذلك، ولم تستطع التخلص منه إلا بعد أن أوسعها ضرباً، ونامت تلك الليلة عند الجيران الذين شَهِدوا معها بما فعله زوجها، وعندما واجهنا الزوج بما تقوله زوجته اعترف واعتذر بأنه خرج عن صوابه طالباً فرصة أخيرة، ونصحناه بترك ما هو فيه فإن القمار سبب أساسي لما يقع فيه من المشاكل، ووعد خيراً غير أن الذي حصل أنه عاد إلى مثل ما كان عليه، وعادت إلينا مضروبة أكثر من ذي قبل، فإن

إدمان القمار تماماً كإدمان المخدرات وإن كانت تأثيراته الجسدية أقل خطورة، إلا إن النتيجة على المستوى العائلي مشابهة لأي إدمان آخر. وفي هذه المرة رفضت الزوجة الصلح وأصرت على الطلاق وحصلت عليه، إن هذه الآفة وغيرها من الآفات يجب أن يُعمل على تخليص المجتمع منها، كي يرتاح من كل ما يؤدي إلى خرابه.

هـ ـ الوقوع في مشاكل مع المقامرين الآخرين:

من الانعكاسات الخطيرة المترتبة على القمار، مسألة حالة البغض التي تترتب بين المقامرين نتيجة لخسارة أحدهم، خاصة في مورد الخسارات الكبيرة، فيقوم الخاسر بضرب الرابح، وقد يصل في بعض الأحيان إلى قتله، وكثيرة هي الحالات الموجودة في السجون بسبب مشاكل ناتجة عن المقامرة، وهذا بنفس الوقت الذي فيه أثر سلبي على القاتل والمقتول يكون له أثر أكبر على عائلتيهما، فإن قتل أحدهما الآخر تكون النتيجة أن عائلة المقتول فَقَدت مُعيلها بالموت، وعائلة القاتل فقدت معيلها بالسجن أو حتى بالموت أيضاً إن حكم بالإعدام.

هذا الأمر نبه إليه الله ﷻ بقوله في كتابه الكريم:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾(١).

إن الآية تُوضح إن القمار مدعاة لتدخل الشيطان بشكل كبير، فإدمان المرء على القمار يؤدي إلى فتح باب كبير لتدخل الشيطان الذي يعمل على استغلال حالة الغضب الناتجة عن الخسارة، ليُوقع العداوة والبغضاء بين المقامرين بشكل يؤدي إلى إبعادهم بالمطلق عن ذكر الله المؤدي لأن يتركهم الله ﷻ يواجهون مصيرهم بطريقة تؤذيهم، بسبب سوء اختيارهم كما يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٩١.

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[1].

يجب التنبه إلى أن الإنسان بمجرد قيامه بالمحرم يكون ناسياً لذكر الله، فإذا ما تمادى وأدمن على الحرام يصل إلى مرحلة ينسى فيها نفسه، ويقع في محاذير ما كان ليقع فيها لو تنبه لذكر الله سبحانه وتعالى.

و ـ السياسي ومن يعمل بالشأن العام إن لعب القمار:

قد يكون لاعب القمار من السياسيين الذين لهم وضع خاص في المجتمع، كأن يكونوا من أصحاب الرأي المؤثر في توجه البلاد نحو اليمين أو الشمال بناء للتوجهات التي يتخذها هذا السياسي، فإن كان من لاعبي القمار سهل على خصومه السياسيين في الداخل استغلال هذه النقطة فيه، وجعله يتراجع عن مواقف محقة كل ذلك بسبب خسارات كبيرة حصلت له بسبب القمار، ما اضطره معها إلى بيع موقفه السياسي لخصمه الذي لا يعطيه المال إلا إذا بدل هذا الموقف. إن الخطورة في هذا المجال تظل مقبولة إن وقفت عند حدود الخصومة السياسية في الداخل على مواقف لا يتأثر بها الوطن بشكل يقع في براثن أعدائه. أما إذا استفاد من هذا الموقف أعداء الأمة من خلال إيقاع هذا السياسي المقامر في حبائلهم، وتحت وطأة حاجته الماسة للمال يشترون مواقفه ليصبح عميلًا لهم ضد مصالح بلده، فإن الخطورة هنا تصبح أكبر بكثير، لأن الخطر سيكون على مستوى الوطن بأكمله، وبالتالي فإن إبعاد من يتعاطى مع هذه الآفة عن المواقع السياسية بقوانين ملزمة أمر لا بد منه، لحماية الوطن من أمثال هؤلاء سواء على الصعيد الداخلي العام، أم على صعيد الوطن في أمنه ووجوده أمام الأخطار الخارجية المتمثلة بأعداء وطننا الذين يتربصون به شراً. إن هؤلاء عندما يقامرون فإنهم لا يقامرون ويغامرون بمالهم بقدر ما يغامرون ويقامرون بمصير وطنهم.

---

(١) سورة الحشر، الآية: ١٩.

ز ـ المرأة إن لعبت القمار:

ليس فقط الرجال يلعبون القمار، بل إن هناك نساء يقامرن، والانعكاسات على النساء تكون مشابهة لما يحصل مع الرجال، وفي بعض الجوانب تكون أكثر خطورة في حين في بعض الجوانب قد تكون أقل خطورة.

مثلاً في جانب الاضطرار إلى بيع ما يملك للحصول على المال قد تلجأ الزوجة إلى بيع ذهبها ومدخراتها، فإن انتهى كل شيء تقوم بعض النساء ببيع أغلى ما عندهن وهو شرفها.

قصة وعبرة:

وقد عاينت في بعض الحالات أن امرأة تلعب القمار وزوجها لا يدري، ونتيجة للخسارة المتكررة باعت ذهبها ولم تقف عند هذا الحد بل لجأت إلى بيع أرض ورثتها عن أهلها، وعندما لم يعد معها مال اقترضت من أحد المرابين الذي تعرفت عليه من خلال رفيقة لها تلعب مثلها القمار، واضطرت إلى الاقتراض مرة وأخرى حتى كبر المبلغ ولم تستطع الوفاء لأنها كانت دائماً تخسر ما خلا النذر القليل، وزاد على ذلك الربا الفاحش المتراكم إلى أن وصل إلى تهديدها بتسليم الأوراق التي وقعتها لإثبات القرض كسندات أمانة إلى زوجها، أو تسلمه نفسها وترضى بأن تزني معه، فهو من بادئ الأمر وضع هذا الأمر نُصب عينيه فهي امرأة جميلة في ريعان شبابها وهو يعرف إلى أين المصير، وذهبت هذه المرأة إلى قرينة السوء التي دلتها على هذا الشخص لتقول لها عن الكارثة التي حصلت وما طلبه منها هذا المرابي اللئيم، فإذا بها تفاجئ بأن رفيقتها تقول لها وهل يوجد لديك خيار آخر؟ وافقي على ذلك فأنا أيضاً أفعل هذا، وأحصل على المال كي أؤمن ما أحتاجه من مال لطاولة القمار، ولن يعرف زوجك بذلك فأنا أعلمك أموراً تساعدك على إخفاء هذا الموضوع عنه.

المهم إن الزوج اكتشف يوماً بيعها لقطعة الأرض من الذي اشتراها منها بالصدفة، وكم تفاجئ بأنه لم يعلم بذلك سوى بعد سنتين ونصف تقريباً، فقفل عائداً إلى بيته كالمجنون ليدخل عليها في وقت لا يُتوقع حضوره فيه ليجد أن زوجته تجلس مع رفيقاتها على طاولة لم يدر عندما اشتراها لماذا أصرت أن تكون دائرية وذات لون اخضر، وتذكر أنه قال لها: فلنختر طاولة أخرى فهذه مُعيبة تشبه طاولة القمار، ولكنها قالت له إنها جميلة وتتناسب مع لون المكان الذي ستوضع فيه، أما اليوم فبدت الصورة واضحة جداً لديه فزوجته باعت كل ما لديها لهذا السبب، وهو اليوم كزوج مخدوع ضاقت الدنيا بوجهه، وكما قال لي فكر للحظة بأخذ مسدسه الذي يضعه في غرفة مجاورة وقتلها وقتل نفسه بعد ذلك، ولكنه امتنع عن ذلك بسبب أولاده فما ذنبهم إن ابتلوا بأم سيئة إلى هذا الحد؟

الذي قام به هو قيامه بطرد النساء من البيت وتحذيرهم بعدم المجيء مرة أخرى وتهديدهم بإخبار أزواجهن إن هن عدن إلى بيته مرة أخرى، ثم تفرغ لزوجته ليطرح عليها تساؤلات كثيرة: من أين تحصلين على كل هذا المال لتلعبي؟ كم أصبح لك تقومين بهذا الأمر؟ وكانت إجابات كاذبة واحدة تلو الأخرى، وأنها لم تبع شيئاً، وأنها شريفة لا تؤذي زوجها. ولكن الصدمة كانت كبيرة عندما أعلمها بمعرفته بأنها باعت الأرض، وسألها أن تصارحه بكل شيء له علاقة بالأموال، فاعترفت له ببيع الذهب وصرف كامل مدخراتها في البنك وبيعها الأرض، ولكنها لم تُبلغه عن بيعها لأغلى ما لديها وهو شرفها، غاية ما أخبرته به في هذا الشأن أنها أبلغته بأنها استدانت من فلان مبلغاً كبيراً من المال. وهنا ثارت ثائرة الرجل لأنه يعرف أن هذا الرجل مشهور بعلاقاته النسائية، وأنه خَرّب بيوتاً عدة من وراء ذلك، وأنه مختص بإعطاء ديون لنساء تحتجن المال لسبب أو آخر كي يقعن في حبائله لاحقاً وينال منهن ما يريد، وواجهها بالأمر بل إنه اتهمها بأنها ما

حصلت على هذا المبلغ إلا ببيعها لشرفها، ولكنها أصرت على النكران وإنها لم تفعل شيئا من ذلك، بل كل ما فعلته هو أنها استدانت مبلغاً لا يصل في أصله إلا ربع المبلغ المتراكم عليها بسبب الربا.

الزوج الغاضب قام بضربها وأخرجها من البيت إلى بيت أخيها ليضعه أمام الواقع الحاصل وطلب منهم اللقاء لدينا لأنه لا يريد الاستمرار.

في يوم اللقاء وبعد سماعنا للقصة أردنا أن نواجه الزوجة على إنفراد وتم سؤالها عن ما يتخوف منه الرجل لعلنا نستطيع معالجة الأمر، فأصرت على النُكران وأصر هو على الطلاق تحت عنوان أنه لا يرضى حتى لو كان الأمر بحدود الأمور المالية وممارسة القمار وصرف الأموال دون أي أمر آخر فإنه يعتبر هذه الأمور خيانة ويصر على طلب الطلاق.

تم إقناعه بالتأجيل لعل الأمور تتغير وطلبنا منه أن يفكر في هذه الفترة بانعكاسات الأمر على العائلة بسبب الطلاق خاصة الأولاد فما ذنبهم، لم يقتنع ولكن بشكل صوري أوحى لنا بذلك لأن هناك فكرة في رأسه يريد تحقيقها، وبعد ثلاثة أسابيع وكنت أظن أن الأمر قد حُل واقتنعا بتجاوز الأمر فعادة تحصل مثل هذه الأمور، ولكن في الأسبوع الثالث وجدته على باب مكتبي يحمل مسجلة ليُسمعني اعترافاً من ذلك المرابي بأنه قام ولعدة مرات بالعشرات كما يقول بالزنا مع هذه المرأة، ويتبجح بالقول لقد حصلت منها على المال وعلى الجنس إنها تجارة رابحة.

قلت له وهل تصدق في زوجتك قول مراب فاسق، عليك أن تعرف إن كثيراً من الناس يتبجحون بأنهم فعلوا أموراً كثيرة فقط من باب التفاخر، ولكنهم في واقع الأمر لم يفعلوا شيئاً منها، بل هو كذب من أجل تفاخر أجوف لا قيمة له.

ففاجئني أنه واجهها بالشريط واعترفت بكل ما ورد فيه وأمام

أخيها، فعقدنا للجميع جلسة وسألنا الزوجة عن ذلك فاعترفت بأنها كذّبت وروت قصتها بالكامل، وما فعل القمار بها وكيف أن الشيطان سيطر عليها طالبة إعطائها فرصة فإنها تريد التوبة والعودة لأولادها، وليسجني في البيت ولا يعطيني المال ويقفل علي الباب لا أفتحه لأحد كل ما أريده أن أبقى مع أولادي، حاولنا إقناع الزوج بهذا الحل لكنه رفض مطلقاً مجرد التفكير به وأصر على الطلاق، وإنه لن يسمح لها بأن تكون أماً مربية لأولادها تربيهم على الانحراف، ولو أنه يستطيع لقتلها وأراح المجتمع منها، ولكنه يكتفي بما يستطيعه ويريد الانصراف للاعتناء بأولاده، وفعلاً حصل الطلاق.

إن مقامرة المرأة من هذه الناحية قد تكون أخطر من مقامرة الرجل، لأن المرأة قد تُوقِع أهلها وعائلتها في مشاكل لا يمكن حلها.

باختصار القمار آفة اجتماعية منذ قرون عديدة، ولكنها في أيامنا هذه تطورت وأخذت أبعاداً وصوراً مختلفة، وباتت سبباً في مآسي اجتماعية كبيرة، فكم من العائلات تفككت، وكم من الأسر ضاعت بسبب معاقرة أحد أفرادها وخاصة الأب للقمار. ومن جهة أخرى فإن القمار صرف للأموال من دون أية فائدة اقتصادية، أو تثمير للثروة العامة للأمة، بل هي صرف للمال بلا طائل، وهو مصداق لأكل المال بالباطل الذي نهى عنه الله سبحانه وتعالى وحرمه. ويجب التنبه لأشكال القمار غير المباشرة التي انتشرت هذه الأيام بكثرة، كاليانصيب واللوتو وغيرهما مما بينا في طي البحث.

واللعب بآلات القمار حرام من الناحية الشرعية، سواء أكان ذلك برهن أو من دون رهن، والمال المقبوض بسبب هذا الرهن سحت لا يجوز تملكه وهو أكل للمال بالباطل. وهنا يأتي السؤال الأهم وهو هل يعتبر اللعب بآلة غير معدة للقمار ولكن مع الرهن حرام من الناحية الشرعية أو ليس حراماً؟ والجواب أن الرهن بحد ذاته يعتبر سبباً في

تحريم المال المقبوض كونه يصدق عليه أيضاً عنوان أكل المال بالباطل ولا يجوز تملكه كونه من السحت الحرام.

وقد بينا من خلال البحث حرمة بعض أوجه القمار، من قبيل اليانصيب وفي بعض الحالات شهادات الاستثمار أما الجوائز على المشتريات فهي ليست حراماً إن كانت من قبيل الهدية، أما إن كانت من قبيل ورق اليانصيب مع دفع مال في إزائها فهذا حرام كما اليانصيب.

وكما يحرم اللعب بالآلات القمار برهن ومن دونه كذلك، يحرم بيع هذه الآلات وصنعها كونها محرمة الاستعمال كيفما كان مما يجعل بيعها وصنعها نوع من الإعانة على الأثم.

وقد ثبتت حرمة القمار من خلال الآيات والروايات، إلا إن هناك إضافة أخرى وهي إن أضراراً كبيرة ستحصل للمجتمع بسبب القمار، وهو سبب آخر لحرمتها، أو أنها نتيجة لهذه الحرمة منها إنها تداول للمال من دون فائدة للمجتمع، وتؤدي إلى أن يصرف رب العائلة كل ماله في القمار، وعدم إبقاء شيء منه للعائلة،أو أن يبيع الإنسان كل ما يملكه مهما كان قيماً، حتى إن كان شرفه في سبيل الحصول على المال للمقامرة. ومن ذلك صرف الوقت من دون فائدة، وإهمال قضايا قد تكون مهمة من قبيل عمله ورعايته لأسرته. ومن المعروف أن القمار كما في الآية الكريمة يؤدي إلى إيقاع البغضاء والعداوة بين المقامرين وإدخالهم فيما لا تحمد عقباه والتي قد تصل إلى حد القتل.

المصادر والمراجع

أسم الكتاب	أسم المؤلف	دار النشر	الطبعة
١ ـ القرآن الكريم	****	*****	****
٢ ـ الاشارات في علم العبارات	خليل بن شاهين الظاهري	مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر ـ	الأولى
٣ ـ بحار الأنوار.	العلامة ألمجلسي	مؤسسة الوفاء «لبنان»	الثانية
٤ ـ تاج العروس من جواهر القاموس.	محمد مرتضى الزبيدي.	مكتبة الحياة ـ لبنان.	الثانية
٥ ـ تاريخ ابن خلدون	العلامة ابن خلدون.	دار إحياء التراث العربي. ـ لبنان ـ .	الرابعة.
٦ ـ تحرير الوسيلة.	الإمام الخميني ـ قدس سره ـ.	مؤسسة مطبوعاتي إسماعيليان إيران قم.	الثانية.
٧ ـ تحف العقول عن آل الرسول.	الشيخ إبن شعبة البحراني	مؤسسة النشر الإسلامي «إيران ـ قم»	الثانية
٨ ـ تفسير ابن كثير.	أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي.	دار المعرفة. بيروت ـ لبنان.	١٤١٢هـ.

٩ ـ تفسير الجلالين.	جلال الدين المحلي ـ جلال الدين السيوطي.	دار المعرفة. بيروت ـ لبنان.	الثانية.
١٠ ـ تفسير مجمع البيان.	أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي.	مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت لبنان.	الأولى
١١ ـ تفسير الميزان.	العلامة السيد محمد حسين الطبطبائي قدس سره.	مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين قم إيران.	الأولى.
١٢ ـ تفسير نور الثقلين	الشيخ عبد علي بن جمعه ألعروسي الحويزي.	مؤسسة إسماعيليان «إيران ـ قم»	الرابعة.
١٣ ـ تهذيب الأحكام.	الشيخ الطوسي	دار الكتب الإسلامية إيران ـ طهران.	الأولى
١٤ ـ توحيد المفضل.	علي المفضل بن عمر الجعفي.	المطبعة الحيدرية النجف الأشرف العراق.	الثانية.
١٥ ـ ثواب الأعمال وعقابها.	الشيخ الصدوق	دار الكتب الإسلامية إيران ـ طهران.	الأولى
١٦ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن.	أبي جعفر محمد بن جرير الطبري.	دار الفكر بيروت لبنان.	١٤١٥هـ
١٧ ـ جريدة الشرق الأوسط.	*****	****	أعداد مختلفة

١٨ ـ جواهر المطالب في مناقب الإمام الجليل علي ابن أبي طالب ﷺ.	محمد بن أحمد الدمشقي الباعوني الشافعي.	مجمع إحياء الثقافة الإسلامية قم المقدسة.	الأولى.
١٩ ـ دار السلام.	العلامة ميرزا حسين ألنوري الطبرسي.	مؤسسة الوفاء بيروت لبنان.	الأولى.
٢٠ ـ سير أعلام النبلاء.	الذهبي.	مؤسسة الرسالة بيروت لبنان.	التاسعة.
٢١ ـ شبكة إسلام أون لاين.	موقع الكتروني.	*****	****
٢٢ ـ شرح أصول الكافي.	مولى محمد صالح المازندراني.	مؤسسة الوفاء بيروت لبنان.	الأولى.
٢٣ ـ شرح نهج البلاغة	إبن أبي الحديد	دار إحياء الكتب العربية	الأولى
٢٤ ـ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية.	إسماعيل بن حماد الجوهري.	دار العلم للملايين بيروت.	الرابعة.
٢٥ ـ علل الشرائع	الشيخ الصدوق	المكتبة الحيدرية العراق ـ النجف الأشرف.	الأولى
٢٦ ـ عوالي اللئالي	الشيخ إبن أبي جمهور الإحسائي.	مطبعة سيد الشهداء «إيران ـ قم».	الأولى
٢٧ ـ عيون الحكم والمواعظ	الشيخ علي بن محمد الليثي الواسطي	دار الحديث إيران.	الأولى

٢٨ ـ غرر الحكم الحكمة .	السيد عبد الواحد الآمدي	مطبعة العرفان «لبنان ـ صيدا»	الأولى
٢٩ ـ فتح الأبواب بين ذوي الألباب وبين الأرباب في الاستخارات.	علي بن موسى ابن طاووس الحسني الحلبي.	مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث .	الأولى
٣٠ ـ القاموس المحيط	الفيروز آبادي	دار العلم للجميع «لبنان ـ بيروت».	الأولى
٣١ ـ الكافي	الشيخ الكليني	دار الكتب الإسلامية إيران ـ طهران.	الثالثة
٣٢ ـ كتاب الرضا عن الله بقضائه.	عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا البغدادي.	الدار السلفية بومباي.	الأولى
٣٣ ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال.	المتقي الهندي	مؤسسة الرسالة «لبنان ـ بيروت».	الأولى
٣٤ ـ كنز الفوائد.	العلامة ابن الفتح محمد بن علي الكراكجي.	مكتبة المصطفوي قم إيران.	الثانية.
٣٥ ـ لسان العرب	العلامة إبن منظور	دار إحياء التراث العربي «لبنان ـ بيروت».	الأولى
٣٦ ـ مجمع البحرين .	الشيخ ألطريحي	مكتب نشر الثقافة الإسلامية إيران	الثانية
٣٧ ـ مختار الصحاح.	محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي.	دار الكتب العلمية بيروت لبنان.	الأولى

٣٨ ـ مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل.	المحقق النووي الطبرسي	مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث لبنان.	الأولى
٣٩ ـ مسند الإمام الرضا عليه السلام.	الشيخ عزيز الله عطاردي الخبوشاني.	مؤسسة طبع ونشر آستان قدس الرضوي. إيران.	١٤٠٦ هـ.
٤٠ ـ مصباح المتهجد.	الشيخ الطوسي قدس سره.	مؤسسة فقه الشيعة بيروت لبنان.	الأولى
٤١ ـ معجم ألفاظ الفقه الجعفري.	الدكتور أحمد فتح الله.	مطابع المدوخل الدمام السعودية.	الأولى
٤٢ ـ معجم لغة الفقهاء.	محمد قلعجي	دار النفائس «لبنان ـ بيروت».	الأولى
٤٣ ـ المكاسب المحرمة	الإمام الخميني (قدس سره).	مؤسسة إسماعيليان قم إيران.	الثالثة.
٤٤ ـ مكارم الأخلاق.	الطبرسي.	منشورات الشريف الرضي إيران.	السادسة.
٤٥ ـ من لا يحضره الفقيه.	الشيخ الصدوق	منشورات جامعة المدرسين في الحوزة العلمية إيران ـ قم.	الثانية
٤٦ ـ المنجد في اللغة والأعلام.	جماعة من اللغويين	دار المشرق بيروت لبنان.	الثامنة والثلاثون.
٤٧ ـ الموسوعة الفقهية المسرة.	الشيخ محمد علي الأنصاري.	مجمع الفكر الإسلامي قم إيران.	١٤١٥ هـ
٤٨ ـ موسوعة ويكيبيديا.	موقع الكتروني.	*****	****

٤٩ ـ موقع جمعية الفلك الالكتروني.	******	****	****
٥٠ ـ نهج البلاغة	الإمام علي عليه السلام	دار المعرفة «لبنان ـ بيروت».	الأولى
٥١ ـ وسائل الشيعة.	الشيخ الحر ألعاملي	دار إحياء التراث العربي «لبنان ـ بيروت».	الأولى
موقع WWW.ned.Nid.no.	موقع الكتروني.	****	****

المحتويات